

المنهل

AL MANHAL

مجلة العرب الأدبية الثقافية

العدد (٥٨٥) المجلد (٦٥) العام (٦٩) المحرم وصفر ١٤٢٤ هـ - مارس وأبريل ٢٠٠٣ م

مسابقة
المنهل الثقافية
فسيحة المسابقة داخل العدد

الريحاني رسالة
غير منشورة

قصيدة النثر
مخلوق هجين

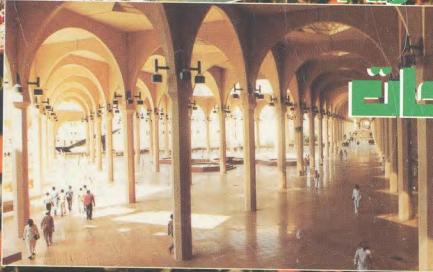
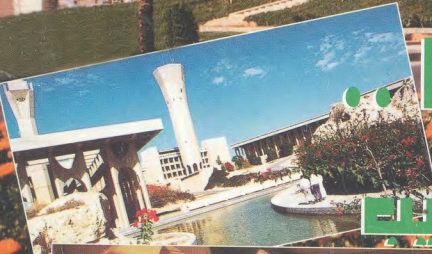
المعجم العبري ..
على خطى
المعاجم العربية

جامعاتنا ..

وضرورة تعريب

المصطلحات

العلمية



خالد منقلا

مجلة شهرية للأدب
والعلوم والثقافة

تصدر في المملكة
العربية السعودية - جدة
عن دار المنهل
للصداقة والنشر المحدودة

أولى أمهات الصحافة السعودية

أسسها المغفور له

عبد القدوس القاسم الأنصاري

عام ١٣٥٥هـ / ١٩٣٧م



العدد ١٣٥٥

المركز الرئيسي

جدة الشرقية ص.ب ٢٩٢٥
رمز بريدي ٢١٤٦١
بريقا: المنهل
فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣
تليفون: ٦٤٢٧٨٣١ ٦٤٣٩٧٦٥
٦٤٢٣١٢٤ ٦٤٢٥٦٨٧
الرياض: ص.ب ٢٩٠
تليفون: ٤٥٤٢٤٣٢

مقال

جردان الانسانية



هؤلاء اليهود «جردان» الانسانية، ليس
لهم هم إلا أن يعيشوا في الأرض فساداً،
كما تعيث الجردان فساداً سواء بسواء.

وفي غريزة الجردة، السعى الحثيث في نشر الأوبئة الفتاكة بدون
موجب وبث سموم الامراض الوييلة بدون سبب .. اللهم إلا حب الفساد
للفساد، وحب الايذاء لمجرد الايذاء.

وفي طبيعة اليهودي السعى الحثيث لنشر الفتن بين الناس، وتأريث
العداوات واضرام نيران الإحن، وبث المبادئ الهدامة في أرجاء العالم،
لمجرد الانتقام ولسوء النية وخراب الضمير.

وسيادة اسرائيل في جزء من فلسطين .. مهما ضاقت شقته - معناه
الصارخ ايجاد «بؤرة جراثيم رسمية» لتقويض ما بلغت اليه الانسانية في
شئتي مراحلها من سمو واصلاح وخير وحضارة .. ذلك لأن اليهود شرمة
موتورة من سائر أجناس البشر، لا تختص بعداوتها العميقة، المسلمون دون
النصارى، ولا العرب دون العجم، ولا يسלטون نيران تحولهم المتأججة على
شعب دون آخر .. الجميع في انظارهم أعداء وعليهم - كما يوحي اليهم
منطقهم الملتوي - أن يقضوا عليهم بالتدريج ليلخو لهم الجو .. هذا عدو
صديق حتى يمتصوا منه ما فيه زاد لبلوغ مرادهم .. وهذا عدو مظاهر
يحاولون طرده ارضا يعدوهم الصديق .. وهكذا دواليك ..

ولماذا لا يعتقد الشعب اليهودي هذه الفلسفة المجرمة ازاء البشرية عامة
أليست قد اضطهدتهم جميعاً، وسامتهم صنوف الغداق والهوان في مختلف
الحقب والبقاع ؟

وبعد فلا يأمن العرب هذه الحية الرقطاء الغدارة المنذسة منذ نحو نصف
قرن في تلال فلسطين وفي اغوارها وسهولها، فهذه الحية لا قطرة لديها من
وقاء، وكل عقد أو عهد معها مصيرها الى الانحلال السريع، والزوال المريع.
وما على العرب وقد هبوا، لتمزيق اوصال جسمها التث، الا أن يعملوا
بقول شاعرهم الحكيم:

لا تقطنن نبت الاقعى وتتركها

إن رمت نجحاً فاتبع رأسها الذنبا

«عبد القدوس الأنصاري»

شعبان ١٣٦٧هـ
يونيو ١٩٤٨م

سعر النسخة:

السعودية ١٠ ريالاً - قطر ٨ ريالاً - المغرب ٩ دراهم - مصر جنيهان
تونس ٨٠٠ مليم - الكويت ٦٠٠ فلس - عمان ٦٠٠ بيسه - الامارات ٨ دراهم
البحرين ٧٠٠ فلس - موريتانيا ١٠٠ أوقيه - الأردن ٥٠٠ فلس.

صاحب المجلة

رئيس التحرير

نبيه بن عبدالقدوس

الأنصاري

مستشار التحرير

أ.د/ عبدالرحمن الأنصاري

نائب رئيس التحرير

المدير العام

زهير بن نبيه الأنصاري

عزيزي القارئ

عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمّل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلاً عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.

إشارة

تحفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط في الاسهامات عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية، للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الإشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.

تكسرت النصال على النصال

بانتهاؤ الخلافة الراشدة، بمقتل سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه في (٦٦١م) دخل العالم الاسلامي في معارك دامية، لم يستقر بعدها إلا لفترات قصيرة، ولعل موقعة صفين في (٦٥٧م) على نهر الفرات كانت بداية انشقاق هذا البنيان المرموض، وتعاقبت على شرقنا الاسلامي دول وممالك وامبراطوريات، (الأموية - العباسية - المغول - الصليبيون - الفاطميون - الأيوبيون - العثمانيون) ثم الاستعمار الغربي الذي جثم على صدر هذه الأمة حتى ما بعد منتصف القرن الفائت، وكم سالت دماء طاهرة نقية لإخراج المستعمر من كل الأرض الاسلامية والعربية.

وخرج الاستعمار، وجاء أبناء جلدتنا، وسعد الناس بهم بادي الأمر، وظنوا بهم خيراً، وحلموا ما شاؤوا أن يحلموا، الحرية، الديمقراطية، العدل، والعيش الكريم !!!

ولما أفاقوا، تقطّب منهم الجبين، وتمنوا لو أنهم ما أفاقوا من حلمهم، وآلآن، بلوح في الأفق مستعمر جديد، له من ترسانة الإبادة والتدمير ما لا قبل للبشرية بها.

وهكذا: تطل أم الأرض تداعي علينا (كما تداعي الأكلة الى قصعتها).

ونحن كثرة كاثرة، ولكثنا !!

رئيس التحرير

العنوان البريدي: E-mail: AL-Manhal@Al-manha.Com.sa

عنوان موقع الإنترنت: URL: WWW.AL-Manhal.Com.Sa



٤ - تمريب التعلیم العالی =
هل هو ضروری حقاً
(قضية المده)

د محمد القاسمي

١٦ - القصص النبوي

د عبد الباسط حموده

٣٠ - المنظور النقدي في الاسلام

د اسماعيل الحسني

٣٨ - رسائل غير منشورة للاديب والرحالة أمين الريحاني

د عصام وهدان

٤٤ - تقليد وتجديد

د طاهر تونسي

٤٦ - من مشكاة الأمل - شعر

احمد محمود مبارك

٤٨ - ميلاد القصيدة في الشعر العربي المعاصر

السيد احمد المخزنجي

٥٨ - سيرورة الشعر وعلاقتها بالابداع والتلقي

د حمود يونس

٦٤ - أحماض أدبية (اللوحة العاكس في بوح الفاكس)

د احمد عطية السعودي

٦٨ - الفيضانات تهدد الحياة

وجدي أبو الريحة

٧٢ - رحلة في الذاكرة (د محمد

جاد البنا)



د محمد رجب البيومي

٧٦ - إعادة النظر في كتابة التاريخ الاسلامي

عبد الله بن ناصر الحديب

٨٢ - المرأة واللغة

د مصطفى عبد الواحد

٨٦ - لقاء وحوار مع الشاعر الكبير عبد المنعم عواد

حوار: عقيل ناجي المسكين

الاشتراكات

جريدة ت: ٦٤٣٢١٢٤

قيمة الاشتراك السنوي

للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال

قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال

ن ت ل

ن ت ل

الشركة السعودية للتوزيع/ جدة

٨٠٠٢٤٤٠٠٧٦ - وكالة الأهرام

للتوزيع/ القاهرة ٥٧٤٧٠٤٤ -

الشركة التونسية للصحافة/

تونس ٣٣٢٤٩٩ - الشريفة

للتوزيع/ الدار البيضاء ٤٠٠٢٢٣ -

- شركة الامارات للطباعة والنشر

والتوزيع/ أبوظبي ٤٥٦٥٠٠ -

دار الثقافة للطباعة/ الدوحة

٤١٤١٨٢ - وكالة التوزيع

الأردنية/ عمان ٦٣٠١٩١ - دار

اقرأ للنشر/ الخرطوم ٤١٨٠٩ -

الشركة المتحدة لتوزيع الصحف

والمطبوعات د.م/ الكويت/

٢٤٢١٤٦٨ - مؤسسة الهلال

لتوزيع الصحف/ البحرين/

المنامة ٥٣٤٥٥٩ -

الاعلانات:

يراجع بشأنها

الإدارة ت: ٦٤٣٢١٢٤



طبع بمطابع شركة المدينة المنورة

للطباعة والنشر - جدة تليفون :

٦٣٩٦٠٦٠ - فاكس : ٦٣٩٤٠٩٥

٩٢ - الفروق في اللغة (بين الرواية والشهادة)

د. ياسين بن ناصر الخطيب

٩٦ - أمراء الحرم عبر التاريخ

السيد ضياء محمد عطار

١٠٠ - التأليف المعجمي عند اليهود ومصادره العربية

سعید کفایتی



١٠٦ - طبرق

الصهيونيين في
تفريخ كراهيتهم

د. نصر محمد عطواني

١١٨ - أدباء وأدبيات من الخليج العربي - (خلف احمد خلف)

عبد الله الشباط

١٢٠ - اجهزة الادارة في النظام الاسلامي (٢٠١)

د. محمد ضياء الحق

١٢٨ - نبات الاخر لمرض الكلى

د. محي الدين لبنية



١٣٤ - العقم عند الرجال

د. عبد الرحمن عبد اللطيف

١٣٨ - ادارة الطلب على الطاقة

غسان أبو السعود

١٤٧ - مجلة هذه العدد (١٣٩).

١٧٠ - شذرات الذهب

د. أبو حسام

١٧٤ - مسك الختام

محمد حمد الصويغ

**** المربية اذا أقصيت**

من مبادئ العلم حكم

عليها بالضمف والانزواء

ص ٤

**** الذي لا يحسن قراءة**

خطبه يفقد ذاته

ص ٣٠

**** ارضاء الذائفة العامة اكسب**

الشعر القديم الطابع الجماهيري

ص ٥٨

**** ادعاء التماسك التكام**

بين الذكر والأنثى

مدعاة لاضراب نظام الحياة

ص ٨٢

**** آلية السرد في الابداع**

الشمري انتجت «القصة

الشمسية»

ص ٨٦

**** المهجم المبري يفيد كثيراً**

من مهاجم المربية

ص ١٠٦

**** ما أسماه (قصيدة النثر)**

مخلوق هجين منفصل

عن التسيو والنظم

ص ١٥٤



انفصام بين السلطة والمثقف :

تشكل قضية التعريب وجهها من وجوه الانفصام بين صناع القرار وبين المثقفين في عدد من الأقطار العربية. فصناع القرار وأصحابه يعتقدون مخلصين أن شعوبهم لا تستطيع أن تمتلك ناصية العلم والتقانة ما لم تستعمل «لغة العلم» نفسها في التعليم [١]. والمقصود بـ «لغة العلم» إحدى اللغات الغربية التي قطع الناطقون بها شوطا بعيدا في التقدم العلمي والتكنولوجي، كاللغة الإنجليزية أو اللغة الفرنسية. ولهذا فإن الأغلبية الساحقة من الجامعات العربية تستخدم الإنجليزية (في المشرق العربي) أو الفرنسية (في المغرب العربي) في التعليم العالي، خاصة في تدريس العلوم والطب والهندسة والزراعة.

أما المثقفون والمختصون واللغويون والجامعيون فيرون أن تحسين نوعية التعليم، ليقود عملية التنمية، يستوجب استخدام اللغة الوطنية في جميع مراحل التعليم وفي جميع تخصصاته ومواده.

ويرى بعضهم أن خيار أصحاب القرار في الدول العربية ليس جديداً أو من تركة الاستعمار الغربي في بعض بلداننا العربية، وإنما هو خيار قديم ظهر إبان عصر النهضة العربية الحديثة في القرن التاسع عشر الميلادي. فيذكرون أن الوزير المصلح خير الدين التونسي (١٨١٠ - ١٨٩٠) صاحب كتاب «أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك» أسس المدرسة الصادقية في تونس عام ١٨٧٥، لكي تكون أداة لاستيعاب علوم أوروبا وتقنياتها، وذلك قبل أن تقع تونس في قبضة الاستعمار الفرنسي. ومع ذلك فقد جعل الفرنسية لغة لتدريس العلوم والتقنيات في حين كانت العربية تستعمل لتدريس الإنسانيات والآداب في المدرسة نفسها [٢].

أسباب استعمال اللغة الأجنبية في التعليم العالي:

يسوق أنصار استعمال اللغة الأجنبية في تدريس العلوم الأساسية

هل هو

ضروري حقاً.

تعريب

التعليم

العالي



بقلم : د. علي القاسمي - الرباط

رابعاً: إن المصطلحات التي تم توحيدها في مؤتمرات التعريب العربية ونشرها مكتب تنسيق التعريب لم يتم توزيعها بشكل كاف ولم تصل من يحتاجها. وهي، بعد ذلك كله، مجرد مولدات لم يكتب لها الانتشار والاستعمال ولم تبلغ درجة المصطلحات.

خامساً: إن استعمال اللغة الأجنبية في الجامعات ييسر لطلابنا النابغين متابعة دراساتهم العليا في البلاد المتقدمة.

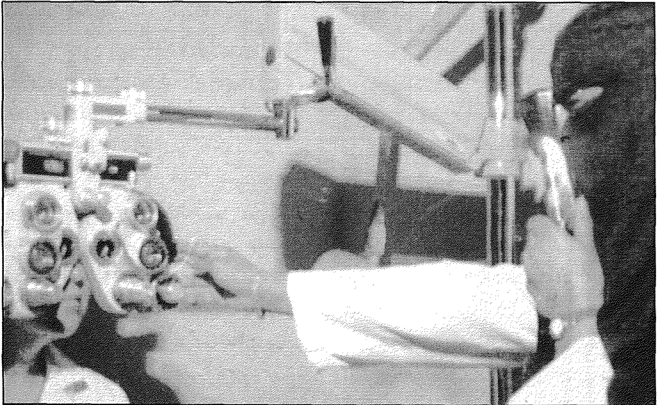
سادساً: إن معظم أساتذة التعليم العالي تلقوا علومهم في جامعات أجنبية وبلغة أجنبية، ولذلك يصعب عليهم أن يحاضروا باللغة العربية وأن يصوغوا الترجمة العربية الصحيحة لما تعلموه.

والتطبيقية عدة مسوغات أهمها ما يأتي:

أولاً: عدم استيعاب اللغة العربية العلوم والتقنيات، فهي لا تتوفر على المصطلحات العلمية والتقنية الكافية للتعبير عن المفاهيم المستجدة التي يحتاج إليها التعليم العالي.

ثانياً: قلة المراجع من الكتب والوثائق العلمية باللغة العربية بسبب ضعف حركة الترجمة العلمية والتقنية إلى اللغة العربية.

ثالثاً: إن المصطلحات العلمية والتقنية المتوفرة باللغة العربية ليست موحدة على صعيد الوطن العربي فهي تختلف من قطر لآخر بل من جامعة لأخرى في القطر الواحد.



المثقفون وتعريب التعليم العالي:

أما المثقفون وأصحاب الخبرة والاختصاص في اللسانيات والتربية وقضايا التنمية، فإنهم يختلفون في الرأي مع الساسة وصناع القرار حول قضية تعريب التعليم العالي. فهم مجمعون على أن من مصلحة الأمة العربية تعريب التعليم بجميع مراحلها وجميع تخصصاته. وقد ظهر هذا الإجماع جلياً في مناسبات عديدة ووثائق كثيرة منها مثلاً:

- ١ - نصّت دساتير الدول العربية على أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية في البلاد.
 - ٢ - نصّت المادة التاسعة من الاتفاقية العربية الثقافية التي وقعتها حكومات الدول العربية عند تأسيس جامعة الدول العربية عام ١٩٤٥ على ما يلي:
- «الوصل باللغة العربية الى تأدية جميع أغراض التفكير والعلم الحديث وجعلها لغة الدراسة في جميع المواد في مراحل التعليم في البلاد العربية».

- ٣ - أوصت مؤتمرات اتحاد الجامعات العربية بتعريب التعليم العالي، وعلى الخصوص المؤتمر الرابع للاتحاد الذي عقد تحت شعار «تعريب التعليم العالي» في جامعة دمشق في الفترة من ٢١/٤ - ٢٥/٥/١٩٨٢م وشارك فيه ٣٦ جامعة عربية وألقي فيه عشرون بحثاً حول تعريب التعليم العالي. فقد أوصى هذا المؤتمر المسؤولين العرب باستكمال تعريب التعليم العالي في

سابعاً: إن التطور السريع في العلوم والتقنيات يولد كماً هائلاً من المصطلحات العلمية والتقنية يقدّرها بعضهم بخمسين مصطلحاً جديداً كل يوم، بحيث لا يمكن مواكبة تعريب هذه المصطلحات، خاصة وإن عمل المجامع العربية يتسم بالبطء والعسر.

ثامناً: إن اللغة العربية لا تتوفر على معاجم علمية متخصصة تعرف المصطلحات العلمية والتقنية الحديثة وتحدد مفاهيمها، وأما المجامع العامة

فهي مجرد نقل لمداخل من المعاجم القديمة فلا تواكب تطور اللغة في مفرداتها ومدلولاتها وتراكيبها، ولا تشمل على ما يستجد من ألفاظ حضارية.

تاسعاً: عدم امتلاك الطالب الجامعي اللغة العربية الفصحى، خاصة في التعبير الشفوي والكتابي، وذلك لأن قواعد النحو العربي مثقلة بالظواهر الشكلية والعلل المنطقية الصورية الزائفة، ولأن الخط العربي يخلو عادة من الشكل ما يجعله بعيداً عن الأمانة في تمثيل اللغة المنطوقة، كما أنه ما زال جامداً عند أنماط معينة في كتابة بعض الكلمات.

عاشراً: إن ما يقرب من ٨٠٪ من المعلومات المتوفرة في شبكة المعلومات الدولية هي باللغة الإنجليزية. فإذا أردنا لأبنائنا الاستفادة من تقنيات الاتصال الحديثة، لا بدّ لنا من استخدام الإنجليزية في تدريس العلوم والتقنيات ليتمكنوا منها [٣].

*** العربية ..
أساس الوحدة
في الوطن
العربي
والقاسم
المشترك بين
كل المسلمين.**

**** الطلاب**

العرب في

الخارج

يغرسون

بلفات

الشموب

الذين وفدوا

إليهم

حكومات الدول العربية، والمؤسسات المعنية فيها، خاصة وزارات التربية، ووزارات التعليم العالي، والجامع اللغوية والعلمية، والجامعات، والاتحاد العلمي العربي، والمنظمات والهيئات العلمية المعنية بالموضوعات المطروحة على المؤتمر، وغيرها[٧].

دواعي استعمال اللغة العربية في التعليم العالي:

ويتساءل المرء عن الدواعي التي تجعل اللسانيين والجامعيين والمختصين يصرون على ضرورة استعمال اللغة العربية في تدريس العلوم والتقنيات وفي البحث العلمي. وعندما ندقق النظر في دراساتهم، نقف على عدة اعتبارات داعية الى ذلك، أهمها ما يلي:

الاعتبارات القومية :

اللغة عنوان الشخصية القومية المتفردة لكل أمة من الأمم، وهي مقوم رئيس من مقومات وجود الأمة ووحدتها ويقائنها، لأن استخدام لغة مشتركة يؤدي الى وحدة الشعور والفكر والثقافة بين المجموعات البشرية الناطقة بها. فباللغة تدون نتاج عقول أبنائها، وبواسطتها ينتقل التراث من جيل الى جيل، وبألفاظها وتراكيبها ودلالاتها يتم التفكير والتعبير والتواصل.

واللغة العربية هي أساس وحدة الوطن العربي. ولا شك أن التفريط بها أو التقصير في تنميتها ونشرها سيلحق ضرراً بالغاً في وحدة أمتنا الروحية

جميع تخصصاته[٤].

٤ - اشتملت قرارات مؤتمري وزراء التعليم العالي العرب المنعقدتين في الجزائر (١٩٨١) وفي تونس (١٩٨٣) على توصيات بضرورة تعريب التعليم العالي.

٥ - أوصى الاجتماع الأول للهيئة العامة للاتحاد العربي للتعليم التقني المنعقد في بغداد ١٦ - ٢٠/٤/١٩٨٣م، بتعريب التعليم التقني[٥].

٦ - أوصت «ندوة تعريب التعليم

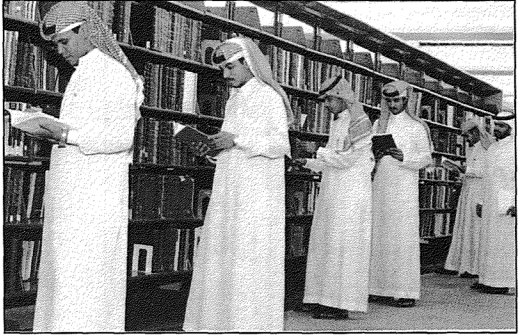
العالي والجامعي في ربع القرن الأخير» التي عقدها اتحاد المجامع العلمية واللغوية العربية في الرباط ٢٩/١١/١٩٨٤م، بتعريب التعليم العالي بأجمعه[٦].

٧ - تضمنت قرارات مجلس وزراء الصحة العرب، خاصة في دورته المنعقدة في الخرطوم (١٩٨٧) ودورته المنعقدة في طرابلس (١٩٨٩)، الدعوة الى تعريب كليات الطب.

٨ - أوصت مؤتمرات التعريب التسعة التي عقدها مكتب تنسيق التعريب التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (وهي وكالة متخصصة من وكالات جامعة الدول العربية) الحكومات العربية بتعريب لغة التعليم في مراحله كلها، وبخاصة مرحلة التعليم العالي في جميع تخصصاته ومواده. وقد عقدت هذه المؤتمرات في الرباط ١٩٦٦، والجزائر ١٩٧٣، وطرابلس الغرب ١٩٧٧، وطنجة ١٩٨١، وعمّان ١٩٨٥، والرباط ١٩٨٨، والخرطوم ١٩٩٤، ومراكش ١٩٩٨. وشارك في كل مؤتمر من هذه المؤتمرات وفود تمثل

الى هجرة الأدمغة.

ومن ناحية أخرى، إذا كانت العلوم الأساسية والعلوم التطبيقية تدرس باللغة الأجنبية التي لا يجيدها إلا نسبة محدودة من الطلاب الذين درسوا في المدارس الأجنبية الخاصة، فإن العلم يبقى مقصوراً على



النخبة. وفي ذاك نوع من التمييز الاجتماعي لا يتماشى مع روح العدل والمساواة والديمقراطية التي نتوخاها؛ إنه تمييز لغوي بين المواطنين ينتج عنه احتكار المعرفة العلمية من قبل قلة ضئيلة من المواطنين.

الاعتبارات اللغوية :

اللغة كائن حي يخضع لقانون الاستعمال والإهمال في علوم الحياة الذي يفيد أن «كل عضو يُستعمل ينمو ويكبر، وكل عضو يهمل يضمحل ويصغر». فإذا استعملنا اللغة العربية في تدريس الآداب والإنسانيات والاجتماعيات فقط ولم نستعملها في تدريس العلوم والتقنيات، فإن مفرداتها وألفاظها الحضارية ومصطلحاتها وتراكيبها ستنمو في الميدان الأول وتتجمد وتنحسر في الميدان الثاني، بحيث تغو بعد فترة لغة شواء عرجاء كرجل له رجل صحيحة وأخرى مشلولة.

وتطلعاتها المستقبلية... وإذا كانت النخب العلمية في البلاد العربية تتثقف وتتعلم بلغات مختلفة، فإن ذلك سيؤدي الى تكوين جماعات ذات ثقافات متباينة، كالمثقفين بالإنجليزية في المشرق العربي والمثقفين بالفرنسية في المغرب العربي، وهم مختلفون في مصادر ثقافتهم وعلومهم، ومختلفون في طرائق تفكيرهم وسلوكهم. وهذه الظاهرة المستفحلة تزيد من الانقطاع الثقافي بين أطراف الأمة العربية وتجعل من الصعب عليها الاستفادة من نتائج البحوث المنشورة، وتحول دون التعاون بين جامعاتنا في البحث العلمي وتبادل الأساتذة والباحثين وانتقال الطلاب. ولهذا نجد أن جامعاتنا تتعاون مع جامعات أجنبية أكثر مما تتعاون مع جامعات عربية. وتشير الإحصائيات الى أن عدد الطلبة العرب الذين كانوا يدرسون في الخارج في منتصف التسعينيات وصل الى ١٧٥ ألفاً، ولكن لم يكن سوى ٢١,٤٪ منهم يدرسون في دولة عربية أخرى[٨]. ويشكل هذا الوضع أحد الأسباب المؤدية

**** تعدد**

لغات

الدراسة في

الخارج نتج

عنه تعدد

في الألسن

والأنكار .

**** المدارس**

الخاصة

احتكار

للمعرفة في

أيدى

القادرين .

**** العربية**

إذا أتصيت

عن مبادئ

العلم حكم

عليها

بالضعف

والانزواء .

الاعتبارات التربوية

والعلمية :

يسوق أساتذة

الطب والعلوم والتقنيات

الداعين الى تعريب

التعليم العالي جملة من

الاعتبارات التربوية

والعلمية تنصب على

ضعف التحصيل العلمي

لدى الطلاب الذين يتلقون

دروسهم بلغة أجنبية.

وأهم هذه الاعتبارات ما

يلي:

١ - إن التعليم عملية

مستمرة متصلة، وثمة

ترابط بين مستوياته التي

يعتمد فيها اللاحق على

السابق ويتأثر به ويتفاعل

معه. والتعليم بذلك يشبه

التاريخ وأحداثه، وما

تقسيمنا له إلى فترات إلا

قضية تنظيمية خارجة

عنه. فالتعليم العالي

يقوم على ما تعلمه

الطالب في التعليم

الابتدائي والثانوي،

وتتضاف مفاهيمه الى

وتقع على جيلنا هذا مسؤولية الحفاظ على عالمية

اللغة العربية، لأننا ورثنا لغة راسخة منذ أكثر من ستة

عشر قرناً، وتمتاز بثرائها اللفظي والنحوي وبتوفرها

على نظام اشتقاقي متطور، ولها رصيد معرفي هائل،

وتستخدم حالياً لغة رسمية في المنظمات الدولية

والإقليمية كالأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصة مثل

اليونسكو، والاتحاد الدولي للمواصلات السلوكية

واللأسلكية، والمنظمة العالمية للأرصاد الجوية؛ وتعدّ

إحدى اللغات العالمية الكبرى الثلاث، هي والإنجليزية

والإسبانية[٨]. فإذا أقصيناها عن ميادين العلم

والتقانة، فإننا سنقضي عليها بالضعف والهوان، لأن

عالم المستقبل يسوده العلم وتحكمه التقنيات، أو كما

يقول محمد العربي ولد خليفة، سنحولها الى لهجة

فقيرة معدومة الموارد والتجديد ونقضي على قاموسها

اللغوي بالتوقف والجمود، فتعسي مقتصرة على التعبير

عن الحاجات اليومية الموروثة عن الأجداد[٩].

الاعتبارات النفسية :

إن أول درس تلقنه جامعاتنا لطلابها الذين

يتخصصون في العلوم الأساسية والتطبيقية هو أن

لغتهم ليست لغة علم وليست وسيلة مناسبة للبحث

العلمي. وينتج عن ذلك حتما جفاء بينهم وبين تراثهم،

وعقدة نفسية تلازمهم طوال حياتهم. وقد وصف

بعضهم هذه العقدة النفسية بعقدة احتقار الذات،

ووصفها بعضهم الآخر بعقدة النقص، وسماها بعضهم

بـ «عقدة الخواجة» التي تؤدي بالفرد الى الشعور بأن

أصحاب اللغة الأجنبية هم أفضل منا في كل شيء..

* الكتب

العلمية

الترجمة لا

سوق لها ولا

طلب عليها.

* اللغة

بنية لسانية

فكرية

نفسية

اجتماعية.

* تعريب

التعليم أولا

ثم ترجمة

المراجع.

* اللغة

التي لا يفكر

بها ابناؤها

تموت

وتنزوي.

منظومة المفاهيم التي

تكونت في ذهن الطالب

أثناء المراحل التعليمية

السابقة، فإذا تلقى

الطالب تعليمه العالي

مصوبيا في ألفاظ لغته

وقوالها، فإنه يسهل عليه

استيعابه وإضافته الى

مخزونه المعرفي في

منظومة مفهومية

متكاملة. وفي هذا يقول

الأستاذ الدكتور على

محمد كامل الذي تلقى

تعليمه العالي في

بريطانيا وعاد الى مصر

ليدرس في كلية الهندسة

بجامعة عين شمس: «أود

أن أؤكد عن تجربة أنني

ما فهمت بعض ما

درسته بالانجليزية إلا

عندما حاولت أن أعبر

عنه بالعربية في

محاضراتي وأنسق بينه

وبين سائر المادة من

مفاهيم» [١٠].

٢ - يواجه الطالب

العربي الذي يتلقى تعليمه

بالغة الأجنبية ثلاث مشقات في أن واحد:

(أ) - مشقة فهم اللغة الأجنبية.

(ب) - مشقة فهم المادة العلمية.

(ج) - مشقة تخزينها في ذهنه ضمن المنظومة

المفهومية التي تكونت لديه من جراء تحصيله العلمي

بالغة العربية خلال التعليم الابتدائي والثانوي.

ويواصل الدكتور على محمد كامل حديثه عن

صعوبات التعليم باللغة الأجنبية فيقول: «اكتشفت أنني

لو ألقيت نصا كاملا بالسرعة المعتادة في الكلام لاتخذ

بعضه طريقه الى ما يدونه الطالب من مذكرات في

الخطوات التالية:

أ - تفهم سياق النص الإنجليزي.

ب - ترجمته ذهنيا الى العربية التي يفكر بها

الطالب.

ج - تفهم المحتوى العلمي للنص العربي.

د - اختصار النص العربي ليضعه في قالب المذكرة

المكتوبة.

هـ - ترجمة النص المختصر الى الإنجليزية

لتدوينه» [١١].

وهكذا اضطر الاستاذ أن يفعل كما يفعل بقية

الأساتذة فيترجم بعض ما قاله باللغة الأجنبية الى

اللغة العربية لمساعدة طلابه على الفهم، فأُست

محاضراته خليطا هجيناً، يقول عنه الأستاذ الدكتور

محمد توفيق الرخاوي، أستاذ التشريح في كلية الطب

بجامعة القاهرة: «إننا لا ندرّس بالعربية، طبعاً، كما

أننا، في الحقيقة، لا ندرّس بالإنجليزية كما هي

الإنجليزية أبداً، ولكننا ندرّس خليطاً شاذاً من

الإنجليزية المتعلمة والعربية المكسرة، واللاتينية التي لا نعلم منها الآن حتى ولو الشيء اليسير» [١٢].

ولهذا فإن الدكتور الرخاوي يقترح تدريس الطب بالعربية، لأن الأستاذ يفكر ويتكلم بالعربية والطالب يسمع ويفهم بالعربية في يسر وبساطة وسهولة، وهو الشيء الطبيعي ولأنه لا يصح إلا الصحيح، والحق أحق أن يتبع، و«ما انتفع قوم بعلم لم يزرعوه في لغتهم» [١٣].

ويروي الدكتور أحمد ذياب الذي درّس علم التشريح في جامعة باريس باللغة الفرنسية، و«هو أمر عادي»، ثم عاد إلى تونس ليدرّس نفس المادة في جامعة صفاقس باللغة الفرنسية، ولكنه بعد مدة تأكد له أن مستوى الطلاب باللغة الفرنسية لا يؤهلهم لفهم الدروس فأخذ يدرّس التشريح باللغة العربية لمدة ثلاث سنوات (١٩٨٥ - ١٩٨٨م) وكان «إقبال الطلاب على الدرس وموافقتهم على استعمال العربية بنسبة ٩٧٪» وقد كان ذلك «أمراً يدهش جداً كما يقول، ثم يتساءل: «ولكن هل نحن أمة تقبل بديهيات الأمور؟» لأن تجربته الناجحة قد «أجهضت» [١٤].

إن الطالب الذي يتلقى تعليمه باللغة الأجنبية لا يستطيع الإبداع، لأنه لا يتمكن من استيعاب المادة العلمية وتمثلها، فاستيعاب المعرفة ييسر تمثيلها في البنية الفكرية للفرد مما يمكنه من الإبداع والابتكار بها.

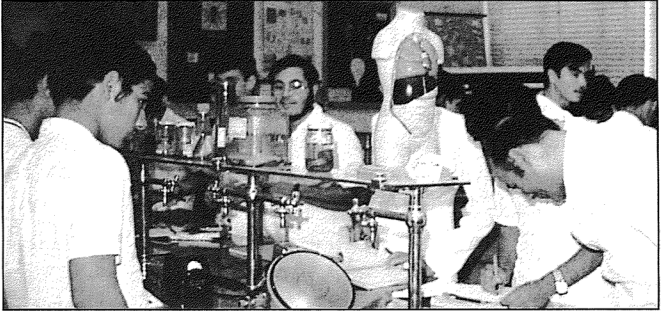
الاعتبارات الاقتصادية والتنموية :

إن تعليم العلوم والتقنيات بلغة أجنبية يؤدي حتماً إلى انغلاق الجامعة على نفسها وعدم انفتاحها

على محيطها الاجتماعي والاقتصادي، وإلغاء دورها القيادي في عملية التنمية البشرية الشاملة، وتقليص القيمة العملية للبحوث العلمية التي تجربها، والسبب في ذلك واضح وبسيط وهو أن أغلبية أبناء الشعب لا تجيد اللغة الأجنبية، فإتقان لغة أجنبية يحتاج إلى استعداد خاص وسنوات طويلة من التعلم والتدريب، وهو ما لا يتوفر للأغلبية الساحقة من الشعب التي لا تواصل تعليمها حتى آخر الشوط.

ومن ناحية أخرى، فإن الجامعي الذي تلقى تعليمه باللغة الأجنبية يكون تأثيره في محيطه محدوداً، وتفاعله مع العاملين معه قاصراً، فالطبيب لا يستطيع أن ينقل معلوماته الطبية إلى العاملين معه من مرضين ومساعدين وعمال، ولا يستطيع أن يتواصل مع مرضاه ويشرح لهم أسباب مرضهم وأعراضه وعلاجه ووسائل الوقاية منه، ولا يستطيع أن يكتب لهم تقريراً يفهمونه عن حالتهم الصحية ومرضهم، ولا يتمكن من كسب ثقتهم لأنه لا يستطيع التواصل معهم بسهولة. والمهندس هو الآخر لا يستطيع رفع كفاءة العاملين معه من تقنيين وفنيين وعمال مهرة بسبب الحاجز اللغوي. وكذلك المهندس الزراعي الذي لا يتمكن من التواصل بغالعية مع المرشدين الزراعيين والفلاحين وموظفي الخدمة الاجتماعية، وهكذا.

ولقد روى لي مهندس مغربي أسس شركة صغيرة خاصة، أنه كان يعطي إرشاداته وتعليماته إلى العاملين بالشركة في اجتماع يعقده في بداية كل أسبوع. ولكنه لاحظ أنهم لا يتبعون إرشاداته ولا ينفذون تعليماته جميعها بل يطبقون بعضها بشكل معكوس. فظن في بداية الأمر أنهم إنما يفعلون ذلك



مثلاً أن بعض الأقطار العربية ما تزال تستخدم لغتين في إدارتها ومرافقها الاقتصادية ما يؤدي إلى عرقلة العمل وإضاعة الكثير من الوقت والجهد والمال.

الاعتبارات الثقافية :

إن استعمال اللغة الأجنبية في التعليم العالي يؤدي إلى ضعف الترجمة إلى اللغة العربية لانتفاء حاجة الأساتذة والطلاب والباحثين إلى الكتب المترجمة ما داموا يستخدمون المراجع الأجنبية في لغاتها الأصلية. وتدلنا إحصائية أجريت في المملكة المغربية على أن ٩٧,٥٪ منها كانت في الآداب والنقد الأدبي والحضارة العربية الإسلامية، لأن الكتب العلمية المترجمة لا سوق لها ولا طلب عليها [١٥]. وهكذا يُحرّم الجمهور الذي لا يتقن اللغة الأجنبية من المعرفة العلمية التي كان يمكن أن تصل إليه عن طريق الترجمة.

تصوروا لو أن الخليفة المأمون قرر تدريس كتب

نتيجة عدم إخلاصهم أو يفعلون ذلك عمداً وكيداً لإلحاق الخسائر بالشركة. غير أنه اكتشف بعد ذلك أنهم لا يفهمون إرشاداته التي يعطيها باللغة الفرنسية بصورة كاملة أو يفهمونها بصورة معكوسة لعدم معرفتهم الوظيفية باللغة الفرنسية. وهنا واجهته صعوبة صبّ التعليمات التقنية بلغة عربية يفهمونها، لأنه تلقى تعليمه في مدارس البعثة الفرنسية بالرباط ثم في المدرسة (الكلية) المحمدية للمهندسين التي تستعمل اللغة الفرنسية في التدريس والبحث.

إن أوروبا الموحدة لا تملك لغة مشتركة واحدة، ولهذا فهي تنفق أموالاً

كثيرة جداً على الترجمة بين لغاتها. أما العرب فهم يملكون لغة عالمية واحدة، ومع ذلك فهم لا يستثمرون هذه الميزة حتى في القطر الواحد، إذ نجد

*** التعريب
لا ينفي تعلم
اللغات
الأجنبية.**

* عند تعريب التعليم تتوفر المراجع اللازمة له .

يختلف عن تعريب
المصطلحات . وحتى
إذا استخدم الأستاذ
المصطلح العلمي بلفظه
الأجنبي، فإن هذا لا
يمنعه من استخدام
العربية في تعريف
المفهوم الذي يعبر عنه
ذلك المصطلح، وضرب
الأمثلة بها على

الفلسفة اليونانية وعلوم الهند وآداب الفرس بلغاتها
الأصلية بدلا من ترجمتها الى العربية، فهل كانت تلك
المعارف ستننتشر وتتناقل، وهل سينبغي في البلاد
الإسلامية فلاسفة كابن سينا وابن رشد، وعلماء كابن
الهيثم والبيروني، وأطباء كالزهرابي وابن الجزار؟
ومن ناحية أخرى فإن الجامعي الذي يتلقى
تعليمه العالي باللغة الأجنبية تنقطع عادة صلته بتراث
أمته وآدابها . وهكذا تغدو ثقافته أجنبية بالرغم عنه .

مناقشة مسوغات استعمال اللغة الأجنبية:

١ - إن القول بعدم قدرة اللغة العربية على
استيعاب العلوم والتقنيات الحديثة تنقضه الدراسات
اللسانية الإحصائية التي تؤكد توفر العربية على نظام
اشتقاقات غني يتيح لها توليد ملايين الكلمات الجديدة .
فقد أحصى سيبويه ٣٠٠ وزن وأحصى ابن القطاع
١٢٠٠ وزن . واتضح منذ عهد الخليل بن أحمد الذي
ابتكر نظام التقليات لاستغراق جميع المفردات
المستعملة والممكنة والمهملة، أن عدد الكلمات التي يمكن
أن تتألف من حروف الهجاء العربية يتجاوز ١٢ مليون
كلمة . وتقدر إحصائية تقريبية قام بها أحد الباحثين
عدد الكلمات العربية الممكنة الوجود بأكثر من ١٦,٥
مليون كلمة [١٦] . وإذا ما علمنا أن معظم المصطلحات
هي من نوع المركب اللفظي البسيط أو المعقد الذي
يتألف من كلمتين أو أكثر [١٧]، نأكد لنا أن اللغة
العربية تستطيع أن توفر لنا عند الحاجة جميع ما
نحتاجه من المصطلحات .

٢ - إن القول بعدم توفر المصطلحات المعربة
الكافية للتعليم العالي يرد عليه بالقول إن تعريب التعليم

تطبيقاته، وإجراء المناقشة بها مع طلابه . ولا يشكل
المصطلح إلا نسبة ضئيلة من المادة العلمية، فنسبة
المصطلحات العلمية في أي كتاب طبي، مثلا، لا تمثل
أكثر من ٢٪ فقط من النص [١٨] . إن المصطلح لفظ
يدل على مفهوم محدد أما اللغة فهي بنية لسانية فكرية
نفسية اجتماعية . وتعريب التعليم ضرورة وشرط
لتعريب المصطلحات، لأن الاستعمال الفعلي للمصطلح
في السياقات اللغوية المختلفة هو الذي يرسخه ويوضح
دلالته ويثبتها [١٩] . ولهذا فإن تعريب التعليم ينبغي أن
يسبق تعريب المصطلحات إضافة الى أن المصطلحات
الجديدة تتوالد وتتناقل يوميا . فإذا انتظرنا تعريبها
أولا قبل أن نعرّب التعليم، فإننا سننتظر الى ما لا
نهاية .

٣ - إن القول بعدم توفر المراجع العلمية المعربة
التي يحتاجها التعليم العالي، يُردّ عليه بالقول إن هذه
المراجع العلمية العربية لن تتوفر ما دام تعلّم العلوم يتم
باللغة الأجنبية لانتقاء الحاجة إليها، كما أسلفنا . فلكي
تنشط حركة ترجمة المراجع العلمية والتقنية الى اللغة

تدريس موادهم. وقد أثبتت التجارب العديدة في هذا المضمار أن الصعوبة التي تواجه هؤلاء الأساتذة محدودة وتتنحصر في الأسابيع القليلة الأولى من التعريب.

٧ - أما القول بعدم توفر معاجم علمية باللغة العربية تشتمل على تعريفات دقيقة لمفاهيم المصطلحات العلمية والتقنية، فإن الببليوغرافيات المتعددة للمعاجم العلمية والتقنية المتوفرة باللغة العربية لا

تؤيد ذلك القول، كما سنوضح ذلك لاحقاً. أما فقر المعاجم العربية العامة للمصطلحات العلمية الحديثة وتفسيراتها، فيرد عليه الدكتور حسين نصار بالقول: «إذا كان المراد التفسير الدقيق الحديث للكلمات، فإن ذلك لا يتأتى إلا باستخدام المفكرين لهذه الكلمات، ومنحهم المعاني المحددة لها. فإن لم يفعلوا، بقيت هذه الكلمات محتفظة بالرواسب القديمة، هلامية المعنى، ولم يستطع أصحاب المعاجم إلا أن يأتوا بها في تفسيراتها الماثورة في المعاجم القديمة. فمستوى اللغة وتطورها مرتبطان أوثق الارتباط بمستوى الأمة الثقافي وتطورها» [٢٠].

٨ - إن القول بعدم امتلاك الطالب الجامعي اللغة العربية الفصيحة يدعونا إلى القول بأن امتلاك اللغة يتأتى من كثرة استعمالها والمران عليها، وهذا يتطلب تعميم استعمال اللغة العربية الفصيحة في جميع مراحل التعليم ومختلف المواد. ولكن قولنا هذا لا يعفيانا من ضرورة تيسير النحو العربي، وتحسين

العربية يتوجب علينا أولاً تعريب التعليم العالي والتقني. ولكي تتوفر المراجع العلمية العربية الأصلية لاد من تعريب البحث العلمي.

٤ - إن القول بأن المصطلحات العلمية العربية ليست موحدة على نطاق الوطن العربي، وما وُجد منها لا يسد الحاجة، سنناقشه بالتفصيل في الفقرة الخاصة بدور المصطلح العلمي العربي الموحد في تعريب التعليم العالي.

٥ - إن القول بأن استعمال اللغة الأجنبية في التعليم الجامعي ييسر لطلابنا النابغين متابعة دراساتهم العليا في البلاد المتقدمة، يرد عليه بالقول إن التعريب لا يلغي تعليم اللغات الأجنبية واستخدامها في الاطلاع على المراجع الأجنبية أو في مواصلة الدراسة في الخارج. إضافة إلى أن هؤلاء الطلاب النابغين يمكنهم تعلم اللغة الأجنبية في البلاد المناسبة لدراساتهم العليا حتى وإن لم يدرسوا لغتها من قبل، في حين أن وقف التعليم العالي على لغة أجنبية معينة، كالفرنسية مثلاً، سيؤدي إلى

حصر متابعة الدراسة العليا في الدول الناطقة بالفرنسية وليس في أمريكا أو بريطانيا أو روسيا، مثلاً.

٦ - إن القول بأن معظم أساتذة التعليم العالي تلقوا تعليمهم بلغة أجنبية ويصعب عليهم أن يحاضروا باللغة العربية صحيح حقاً، وينبغي أن تنظم لهؤلاء الأساتذة دورات تدريبية على استعمال اللغة العربية في

لجان التعريب لا تستطيع مواكبة الكم الهائل المتدفق يوميّاً من المصطلحات.

طرائق تدريس اللغة العربية، وزيادة كفاءة معلمي اللغة العربية ومدرسيها.

٩- إن القول بفقر الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنت) بالمادة العربية صحيح تماما ويتطلب منا تشجيع علمائنا على فتح مواقع عربية على هذه الشبكة تضم مساهماتهم العلمية، كما يتوجب على الجامعات العربية التوسع في إنشاء مواقع معربة لها، وتوفير البرامج الدراسية العربية على الشبكة التي يستطيع الاستفادة منها كل من له القدرة على التعلم ولم تتح له ظروفه الالتحاق بالجامعة. فالشبكة الدولية للمعلومات توفر الوسيلة اللازمة للتوسع في التعليم العالي والانتقال به من تعليم الخاصة الى تعليم العامة.

دور المصطلح الموحد في تعريب التعليم العالي:

سعت الأمة العربية الى تنمية لغتها وتوحيد ألفاظها الحضارية وتنمية مصطلحاتها العلمية والتقنية لتكون لغتها أداة مشتركة لتيسير الاتصال بين أبنائها في مختلف الأقطار، واستمرار التواصل بين الأجيال، فأنطت جامعة الدول العربية عام ١٩٦٩ بالمكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي مهمة توحيد المصطلحات العلمية والتقنية التي تضعها الجامعات اللغوية والعلمية والمؤسسات المعنية في الأقطار العربية. وبعد إنشاء المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عام ١٩٧٠م بوصفها وكالة متخصصة من وكالات جامعة الدول العربية، ألحق بها المكتب وصار اسمه مكتب تنسيق التعريب.

ازدواجية المصطلح العلمي العربي :

إن ظاهرة ازدواجية المصطلح العلمي والتقني

العربي التي تلمسها في تعدد المصطلحات العربية التي تعبر عن المفهوم الواحد، بحيث يختلف المصطلح من قطر عربي الى آخر، تعود الى أسباب عديدة أهمها:

(١) تعدد المؤسسات التي تضطلع بوضع المصطلحات العربية، كالمجامع اللغوية والعلمية، والجامعات، ولجان الترجمة والتعريب في وزارات التربية، ودور نشر المعاجم، وغيرها.

(٢) اختلاف في منهجيات وضع المصطلحات، ففي حين يفضل بعضهم، مثلاً، وسائل لغوية معينة كالاشتقاق والمجاز يميل بعضهم الآخر الى وسائل أخرى كالاقتراض والتعريب، فتكون النتيجة وجود لفظين للتعبير عن الشيء الواحد، مثل هاتف وتلفون، ومصرف وبنك.

(٣) اختلاف في لغة المصدر، ففي حين ينطلق وضع المصطلحات العربية في دول المشرق العربي من اللغة الإنكليزية، تُتخذ الفرنسية في دول المغرب العربي منطلقاً لوضع المصطلحات العربية.

(٤) ثراء العربية في المترادفات وأشباه المترادفات، فاللفظ الأجنبي الواحد قد يُترجم الى العربية بألفاظ متعددة ذات مدلولات متقاربة.

(٥) ازدواجية المصطلح في لغة المصدر، فتنتقل الى العربية عندما يترجم مصطلحان مترادفان يستعملان للدلالة على مفهوم واحد بلفظين عربيين مختلفين.

(٦) إغفال التراث العربي عند وضع المصطلح، إذ توضع أحياناً مصطلحات جديدة لمفاهيم قديمة سبق أن وضعت لها مصطلحات عربية مبثوثة في كتب التراث [٢١].

منهجية وضع المصطلح العلمي العربي :

استعمل منه وما استقر منه من مصطلحات علمية عربية.

٥ - مسابقة النهج الدولي في اختيار المصطلحات العلمية.

٦ - استخدام الوسائل اللغوية في توليد المصطلحات العلمية بالأفضلية طبقاً للترتيب التالي: التراث، والفولكلور (لما فيه من مجاز واشتقاق وتعريب ونحت).

٧ - تفضيل الكلمات العربية الفصيحة المتواترة على الكلمات المعربة.

٨ - تجنب الكلمات العامية إلا عند الاقتضاء بشرط أن تكون مشتركة بين لهجات عديدة.

٩ - تفضيل الصيغة الجزلة الواضحة، وتجنب النافر والمحذور من الألفاظ.

١٠ - تفضيل الكلمة التي تسمح بالاشتقاق على الكلمة التي لا تسمح به [٢٢].

ثم عقد المكتب ندوة عام ١٩٩٣م في رحاب مجمع اللغة العربية الأردني بهدف «تطوير منهجية وضع

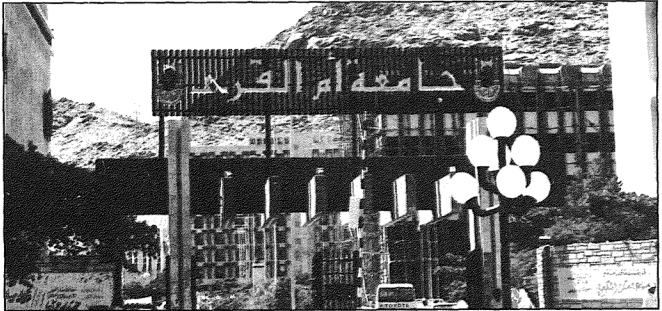
ومن أجل القضاء على بعض أسباب ازدواجية المصطلح العربي، فإن مكتب تنسيق التعريب عقد في مقره بالرباط في شباط/ فبراير ١٩٨١ ندوة «توحيد منهجيات وضع المصطلح العلمي العربي» شارك فيها ممثلو الجامعات اللغوية والعلمية والمراكز اللسانية ووزارات التربية والتعليم في الوطن العربي. وخلصت الندوة إلى إقرار جملة من المبادئ الأساسية الواجب اتباعها عند وضع المصطلحات العلمية الجديدة. وفيما يلي خلاصة أهم هذه المبادئ :

١ - ضرورة وجود مناسبة أو مشاركة أو مشابهة بين مدلول المصطلح اللغوي ومدلوله الاصطلاحي.

٢ - وضع مصطلح واحد للمفهوم العلمي الواحد ذي المضمون الواحد في الحقل الواحد.

٣ - تجنب تعدد الدلالات للمصطلح الواحد في الحقل الواحد، وتفضيل اللفظ المختص على اللفظ المشترك.

٤ - استقراء وإحياء التراث العربي وخاصة ما



المصطلح

الأجنبي

الواحد

يترجم في

عدة

مصطلحات

عربية.

الحاضر والمستقبل [٢٥].

حقق مكتب تنسيق التعريب

في توحيد المصطلحات العلمية

العربية، اتبع في النصف الأول

لهجية تتلخص في ما يلي:

عدد المكتب الموضوع أو المجال

موضوعات التعليم الثانوي)

مائة بمصطلحاته الإنجليزية

يوم خبراء المكتب ومتخصصوه

بجمع المقالات العربية لتلك المصطلحات، من أعمال

الجامع اللغوية والجامعات والمعاجم، وتنسيقها في

مسرد يشتمل على المصطلح الإنجليزي والمصطلح

الفرنسي والمقالات العربية مع ذكر المصدر لكل

مقابل.

٣ - إرسال المسرد المنسق إلى الجهات المعنية في

الوطن العربي لإبداء الرأي فيه وتسجيل الملاحظات

عليه.

٤ - عقد ندوة علمية مصغرة أو أكثر يشارك فيها

اللغويون والمختصون في ذلك الموضوع لمناقشة

المقالات العربية، ومقارنتها مع مقابلاتها الأجنبية،

واختيار أفضل المقابلات في ضوء مدلوله العلمي

وصياغته اللغوية.

٥ - تقديم المسرد المعدل إلى لجنة متخصصة في

مؤتمر التعريب لدراسته وإقراره ولبصدر عن المكتب

في معاجم موحدة (لا تشتمل على تعريفات) توزع على

جميع الأقطار العربية [٢٦].

وفي أواخر الثمانينيات من القرن العشرين،

أجريت تعديلات على هذه المنهجية لتصبح على الوجه

التالي:

المصطلح العربي» المذكورة وكـ

سبيل نشر المصطلح المـ

وإشاعته [٢٣].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن

اللغوية والعلمية العربية كانت

إنشائها منهجيات علمية مستـ

آخر ما توصلت إليه اللسـ

والمعجميات وعلم المصطلح من

وطرائق. وقد عقد اتحاد الجامع

ندوة «إقرار منهجية موحدة وضع

المصطلح العلمي العربي وسبل توحيده وإشاعته» في

دمشق خلال شهر أكتوبر ١٩٩٩م، تضمنت مبادئ لا

تختلف كثيرا عن المبادئ المتبعة عالميا. كما أن

الجامع العربية تخضع عملية وضع المصطلحات إلى

خطوات عديدة لتضمن سلامتها، وتتلخص هذه

الخطوات فيما يلي:

أ - تضع المصطلحات لجنة مؤلفة من لغويين وعلماء

مختصين في المجال العلمي الذي تنتمي إليه تلك

المصطلحات.

ب - يناقش مجلس المجمع تلك المصطلحات

ويعدها.

ج - يعرض المجمع تلك المصطلحات على مؤتمره

العام الذي يضم أعضاء من عدد من الأقطار العربية،

لدراستها وإقرارها [٢٤].

منهجية التوحيد :

يقصد بالتوحيد اختيار مصطلح واحد من بين

المصطلحات العربية المترادفة التي تعبّر عن مفهوم

واحد واعتماده في الاستعمال لتحقيق التواصل الفعال

بين أبناء اللغة العربية وتحقيق استمرارياتها لغة للعلم

٥) يعقد المكتب ندوة متخصصة لدراسة المشروع والمقترحات تمهيدا لعرضه على مؤتمر التعريب لإقراره [٢٧].

كما شرع المكتب بمراجعة المعاجم الموحدة التي أصدرها في ضوء التطورات لإضافة ما استجد من مصطلحات، وإضافة التعريفات للمقابلات العربية.

الجودة النوعية للمصطلحات الموحدة :

ويعد هذا كله، يمكننا القول إن باستطاعتنا الاطمئنان للقيمة العلمية والجودة النوعية للمصطلحات العربية الموحدة. لأن تلك المصطلحات في معظمها قد وضعتها في الأصل المجامع اللغوية والعلمية والجامعات والمؤسسات المعنية، ولأن المجامع العربية تتبع في توليد المصطلحات منهجيات علمية تسير على المبادئ التي أرسنها المنظمة العالمية للتقييس (ISO) في جنيف. كما أن المكتب هو الآخر اتبع منهجية للتوحيد لا تختلف عن المنهجيات المتبعة في توحيد المصطلح الفرنسي أو الألائني أو الاسكندنافي. وأن الذين يشاركون في إعداد مشاريع المعاجم الموحدة ومراجعتها وإقرارها هم من بين أفضل المختصين في البلاد العربية.

بيد أننا نتفق مع الرأي القائل إن هذه المقابلات العربية تبقى مجرد مولدات في بطون المعاجم ولن تكتب لها الحياة وتصبح مصطلحات فعليه إلا عندما يشيع استعمالها بين المختصين وفي غرف الدرس ومختبرات البحوث، ويتم تداولها في المراجع والكتب المدرسية والمطبوعات الأخرى، ووسائل الإعلام.

الكفاية الكمية للمصطلحات الموحدة:

أما من الناحية الكمية، فينبغي الإشارة أولا إلى

١) يختار المكتب موضوع مشروع المعجم المراد إعداده دون التقيد بمستوى دراسي معين.

٢) يتعاقد المكتب مع مؤسسة علمية متخصصة في مجال المشروع لتختار الخبراء وتتابع العمل وتشرف على الإنجاز، وتسلمه كاملا إلى المكتب وهو يشتمل على: المصطلح الإنجليزي، والمصطلح الفرنسي، والمقابلات العربية التي وضعتها المجامع والمؤسسات المتخصصة، والمقابل الموحد المقترح، وتعريف المقابل المذكور.

٣) يبعث المكتب بمشروع المجمع إلى اثنين من المجامع اللغوية والعلمية العربية لإبداء الرأي وإعطاء الملاحظات بالإضافة أو التعديل أو الحذف.

٤) تقوم المؤسسة العملية التي أعدت المشروع بتعديله في ضوء الملاحظات الواردة عليه من الجمعيين.

**** المعاجم
الفردية
تصطبغ
بفكر
مؤلفها.**

**** التعريب
ضرورة
قومية.**

**** مجامع
اللغة العربية
بطيئة
الاستجابة.**

**** (الجوال
النقال ..
الخلوى ..
المحمول)
كلها**

**ترجمات
لمصطلح
واحد.**

بعمّان، ونشرته هناك عام ١٩٨١م. وكان هذا المعجم قد عرض على المؤتمر الرابع للتعريب بطنجة عام ١٩٨١م فأقرّه.

(٢) المعجم العربي الزراعي في ألفاظ العلوم الزراعية ومصطلحاتها، بجزئته: الأول: وهو خاص بالإنتاج النباتي (المحاصيل الحقلية)، والثاني: ويتناول مصطلحات الإنتاج الحيواني. وقد أعدته المنظمة العربية للزراعة في الخرطوم وعرض على المؤتمر الخامس للتعريب بعمّان عام ١٩٨٥م.

(٤) المعجم الموحد الشامل للمصطلحات التقنية والفنية، الذي أعده اتحاد المهندسين العرب وطبع في الكويت.

(٥) معجم مصطلحات السكك الحديدية، الذي أعده الاتحاد العربي للسكك الحديدية بحلب في سوريا. وقد عرض هذا المعجم على المؤتمر الخامس للتعريب بعمّان عام ١٩٨٥م.

(٦) معجم المصطلحات الرياضية العربية، الذي أعده الاتحاد العربي للألعاب الرياضية بالرياض في المملكة العربية السعودية، بتعاون وتنسيق مع الأمانة العامة لجامعة الدول العربية (إدارة الشباب والرياضة) ومكتب تنسيق التعريب، ونشره في تونس عام ١٩٨٩م.

هذه مجرد أمثلة على المعاجم المتخصصة الموحدة التي تصدرها منظمات أو اتحادات عربية متخصصة، أما المعاجم الموحدة التي نشرها مكتب تنسيق التعريب والتي تضم حصيلة المصطلحات الموحدة التي أقرتها مؤتمرات التعريب، فإنها تناهز ثلاثين معجماً، وتضم حوالي مائة وخمسين ألف مصطلح. واليك بيانها:

وجود عدد كبير من المعاجم المتخصصة الموحدة التي أعدتها منظمات متخصصة استناداً إلى المصطلحات التي وضعتها المجامع والمؤسسات المعنية العربية، ويتعاون مع مكتب تنسيق التعريب أحياناً. ومن أمثلة هذه المعاجم المتخصصة الموحدة ما يلي:

(١) المعجم الطبي الموحد، الذي يشتمل على ١٥٠٠٠ مصطلح، والذي أصدره اتحاد الأطباء العرب بالتعاون مع منظمة الصحة العالمية، وتولى أمانة اللجنة المكلفة بإعداده الدكتور هيثم الخياط. وكانت طبعته الورقية الأولى قد صدرت في بغداد عام ١٩٧٣م، وأعيد طبعها في القاهرة عام ١٩٧٧م، وصدرت طبعته الثانية في جامعة الموصل في العراق سنة ١٩٧٨م. أما الطبعة الثالثة المزيّدة المنقحة فقد صدرت في سويسرا عام ١٩٨٣م. وله تسعة إصدارات محسوبة، آخرها الإصدار الخامسة عام ١٩٩٦م. وهو متوفر في الشبكة الدولية للمعلومات (الإنترنت) على موقع المكتب الإقليمي لشرق المتوسط لمنظمة الصحة العالمية بالقاهرة. وقد استفاد هذا المعجم من جهود رواد تعريب الطب العربي من أمثال المرحوم الدكتور تحسين الخياط والرحوم الدكتور حسنى سبّح. كما أن عدداً من أساتذة الطب في الوطن العربي استخدموا مصطلحاته في مؤلفاتهم الطبية باللغة العربية، ومن هؤلاء الدكتور محمد توفيق الراوي (مصر) في مؤلفاته العديدة عن التشريح، والدكتور لهلايدي (المغرب) في مؤلفه عن التشريح الطبغرافي، والدكتور أحمد ذياب (تونس) في دروسه الطبية.

(٢) المعجم الموحد لمصطلحات الحاسبات الإلكترونية الذي أعدته المنظمة العربية للعلوم الإدارية

رقم المعجم	اسم المعجم	عدد المصطلحات	مكان وتاريخ الطبع	عدد الصفحات (حجم متوسط)
١	المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات	٣٠٥٩	تونس ١٩٨٩	٢٧٦
٢	المعجم الموحد لمصطلحات الفيزياء العامة والنوية	٦٣١٨	تونس ١٩٨٩	٥٦٤
٣	المعجم الموحد لمصطلحات الرياضيات والفلك	٤٠٧٤	تونس ١٩٩٠	٣٥٢
٤	المعجم الموحد لمصطلحات الموسيقى	٨٤٦	تونس ١٩٩٢	١٢٠
٥	المعجم الموحد لمصطلحات الكيمياء	٤٥٣٥	تونس ١٩٩٢	٣٩٢
٦	المعجم الموحد لمصطلحات الصحة وجسم الإنسان	٢١٤٦	تونس ١٩٩٢	١٧٦
٧	المعجم الموحد لمصطلحات الآثار والتاريخ	٣٠١٨	تونس ١٩٩٣	٢٧٣
٨	المعجم الموحد لمصطلحات علم الأحياء	٦٥٩٦	تونس ١٩٩٤	٥٦٠
٩	المعجم الموحد لمصطلحات الجغرافيا	٢٧٠١	تونس ١٩٩٤	٣٢٢
١٠	المعجم الموحد لمصطلحات التجارة والحاسبة	٨٨٤٦	تونس ١٩٩٥	٦٩٦
١١	المعجم الموحد لمصطلحات الطاقات المتجددة	١١٨٠	تونس ١٩٩٦	١١٥
١٢	المعجم الموحد لمصطلحات التعليم التقني (كهرباء - طباعة) ج (١)	١٣٨٣	تونس ١٩٩٦	٣٩٠
١٢	المعجم الموحد لمصطلحات التعليم التقني (البناء والتجارة) ج (٢)	٣٧٣٤	تونس ١٩٩٦	٣٢٠
١٣	المعجم الموحد لمصطلحات العلوم الإنسانية	١٧٤٠	تونس ١٩٩٧	٣٨٣
١٤	المعجم الموحد لمصطلحات القانون	١٥٨٧	تونس ١٩٩٦	١٥٢
١٥	المعجم الموحد لمصطلحات السياحة	٣٢١٢	تونس ١٩٩٦	٢٦٤
١٦	المعجم الموحد لمصطلحات الزلازل	١٩٦٢	تونس ١٩٩٦	١٦٧
١٧	المعجم الموحد لمصطلحات الجيولوجيا	٤٦٢٣	المغرب ٢٠٠٠	٤٠٤
١٨	المعجم الموحد لمصطلحات الاقتصاد	٢٠٣٩	المغرب ٢٠٠٠	٢٧٨
١٩	المعجم الموحد لمصطلحات النفط (البترول)	٦٠٨٩	المغرب ١٩٩٩	٥٠٠
٢٠	المعجم الموحد لمصطلحات البيئة	١٧٤٧	المغرب ١٩٩٩	٢٥٠
٢١	المعجم الموحد لمصطلحات الهندسة الميكانيكية	٢٨٢٨	المغرب ١٩٩٩	٢٠٠
٢٢	المعجم الموحد لمصطلحات الفنون التشكيلية	١٥٤٢	المغرب ١٩٩٩	٢٠٠
٢٣	المعجم الموحد لمصطلحات الإعلام	٣٤٢٨	المغرب ١٩٩٩	٢٨٣
٢٤	المعجم الموحد لمصطلحات التقنيات التربوية	١٣١٤	المغرب ١٩٩٩	٢٢٠
٢٥	المعجم الموحد لمصطلحات الارصاد الجوية	٢٠٣١	المغرب ١٩٩٩	١٨٢
٢٦	المعجم الموحد لمصطلحات المياه	٢٢٠٤	المغرب ٢٠٠٠	٢٨٨
٢٧	المعجم الموحد لمصطلحات المعلوماتية	٣٢١٠	المغرب ٢٠٠٠	٣٧٥
٢٨	المعجم الموحد لمصطلحات الاستشعار عن بعد	١١٩٦	المغرب ٢٠٠٠	٢٥٤
٢٩	المعجم الموحد لمصطلحات علوم البحار	٤٢١٧	المغرب ٢٠٠٠	٣٣٥

الفرد الاطلاع على محتويات المعاجم الموحدة معجما معجما، أو الاستفسار عن المقابل لمصطلح من المصطلحات بإحدى اللغات الثلاث: العربية والإنكليزية والفرنسية. كما يشتمل الموقع على كشاف لمحتويات أعداد مجلة اللسان العربي الثلاثة والخمسين. ويستطيع المستعمل مراسلة المكتب بواسطة البريد الإلكتروني على عنوانه التالي: Magazine @ arabization.org.ma

الدور الحضاري للمصطلح العلمي العربي الموحد:

إن الهدف الأساس من توفير المصطلحات العلمية العربية الموحدة هو إيجاد لغة علمية عربية مشتركة يفهما جميع العلميين والتقنيين في مختلف الأقطار العربية، وتكون أداة فاعلة للتعليم والبحث والتأليف والترجمة في مجال العلوم والتقنيات الحديثة، وشبكات المعلومات العربية والدولية، والدوريات العلمية، ووسائل الإعلام والاتصال المسموعة والمرئية والمقروءة، بحيث تيسر التبادل العلمي بين الجامعات العربية، وتبادل الأساتذة والباحثين، وانتقال الطلاب من جامعة عربية الى أخرى.

ولكي يقوم المصطلح الموحد بدوره العلمي والحضاري، يتوجب على جامعاتنا العربية الالتزام باستعماله دون غيره في خمسة أنشطة أساسية: (التعليم - البحث العلمي - الترجمة - الدوريات العلمية - مواقع الجامعات على شبكة المعلومات الدولية «الإنترنت»).

الخلاصة :

إن جميع الدلائل العلمية المستقاة من تجارب

يتضح من ذلك كله، أن المصطلح العلمي الموحد متوفر وكاف لتعريب التعليم العالي في مرحلته الجامعية الأولى (أي الإجازة)، على الأقل. وإذا كانت المراحل العليا من التعليم الجامعي تعتمد أساسا على البحث العلمي ونتائجه، فإن المصطلحات الجديدة التي تولد للتعبير عن المفاهيم المستحدثة، يولدها الباحثون أنفسهم إذا كان البحث يقوم به باحثون عرب ويجري باللغة العربية. أما إذا كانت المفاهيم العلمية وافدة فإن الحاجة لمقابلها العربي في تعليم مغرب هي التي تتفق الذهن عن مصطلحات عربية لها .

توفير المصطلحات العلمية العربية الموحدة لمن يحتاجها:

من الانتقادات المحقة التي كانت توجه الى مكتب تنسيق التعريب أن المكتب لا يطبع من مجلته ومعاجمه الموحدة سوى بضعة آلاف نسخة من كل مطبوع، وهذا العدد المحدود لا يسد حاجات مؤسسات التعليم العالي وغيرها من المؤسسات المستفيدة في الوطن العربي. ولهذا فإن المصطلحات الموحدة تبقى محصورة في نطاق ضيق، فلا يكتب لها الشيعوع والانتشار والاستعمال. وينتج عن ذلك عدم قيام المصطلح العلمي الموحد بدوره المرجتي.

بيد أن تقنيات الاتصال الحديثة ساعدت على حل المشكلة. فقد أنشأ المكتب وحدة الشبكة المعلوماتية، التي من بين مهامها تخزين المصطلحات الموحدة وتزويد المستعملين بها. وتحقيقا لذلك أخذت الوحدة في توفير إصدارات محوسبة لجلة اللسان العربي وللمعاجم الموحدة، كما أنشأت موقعا لها على الشبكة الدولية للمعلومات (الإنترنت) عنوانه: WWW.arabization.org.ma بحيث يستطيع

الأمم الأخرى، ومن خبرة مفكرينا وأساتذتنا في التعليم العالي، تشير إلى أن الجامعات العربية لا تستطيع أن تقوم بدورها القيادي في التنمية البشرية ما لم يجري إصلاحها في أهدافها وبنيتها ومناهجها وطريقة تسييرها، وما لم نعرّب التعليم العلمي والتقني فيها. وينبغي التأكيد هنا على أن الدعوة للتعريب لا تعني بأي شكل من الأشكال إهمال اللغات الأجنبية أو التقليل من شأنها، فهي، كما يقول الدكتور كمال بشر، «الأداة الأساسية والفعالة التي تمكننا من ملاحظة ما يجري في العالم من نشاط علمي يزيد من معارفنا وينمي قدراتنا وطاقاتنا، ويدفعنا إلى التعمق والتجويد. وانحسار هذه اللغات عن الساحة العلمية يستتبع حتما حصرنا في دائرة ضيقة تحدّها أسوار العزلة التي تعني الجمود» [٢٨]. ولقد بينا في هذه الدراسة أن جميع مستلزمات التعريب متوفرة ولا نحتاج إلا إلى أمرين: **أولهما**: توفر الإرادة الصادقة لدى أصحاب القرار، **وثانيهما**: منهجية واضحة في التعريب تتضمن برنامجاً زمنياً يلتزم به ويُطبق [٢٩]. لتعريب المراجع الأساسية والبرمجيات [٣٠]، باستخدام المصطلحات العلمية العربية الموحدة، وتدريب الأساتذة المعنيين على استعمال اللغة العربية في التدريس والبحث العلمي.

الهوامش:

- (١) أدلى بهذه الفكرة واستخدم هذا المصطلح بالذات السيد الهادي نورية الوزير الأول التونسي في خطابه الافتتاحي لمؤتمر وزراء التربية العرب المنعقد في تونس عام ١٩٧٩م.
- (٢) عبد اللطيف عبيد، «حال الترجمة في تونس وعلاقتها بالوضع اللغوية» في مجلة التعريب، العدد ٢٦، حزيران/يونيو ٢٠٠١م ص ٨٦. ونحن نميل إلى أن الوزير المصلح كان يرمي من وراء ذلك إلى تمكين طلاب

- المدرسة الصادقية من اللغة العربية، واللغة الفرنسية المستعملة في تدوين العلوم والتقنيات من أجل أن يقوموا بترجمة تلك العلوم إلى اللغة العربية على غرار ما فعله محمد علي الكبير في مصر.
- (٣) تناول عدد كبير لا يُحصى من الدراسات قضية التعريب، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:
 - ابراهيم السامرائي، العربية تواجه العصر (بغداد: الموسوعة الصغيرة ١٠٥، ١٩٨٢).
 - أحمد مطلوب، دعوة إلى تعريب العلوم في الجامعات (الكويت: دار البحوث العلمية ١٩٧٥).
 - حسين نصار، «اللغة العربية في التعليم الجامعي» مؤتمر تعريب التعليم العالي في الوطن العربي، بغداد ٤ - ٣/٧/١٩٧٨م.
 - خضر بن عليان القرشي، «تعريب العلوم ووضع المصطلحات» اللسان العربي، العدد ٢٢ (١٩٨٢/١٩٨٣) ص ١٤١ - ١٥٠.
 - شاكر الفحام، «قضية المصطلح العلمي في تعريب التعليم العالي» مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٩٢م.
 - شحادة الخوري، دراسات في الترجمة والمصطلح والتعريب، ٢ (دمشق: دار الطليعة الجديدة ٢٠٠١).
 - صالح بلعيد، «اللغة العربية في التعليم العالي: واقع وبديل» في مجلة اللغة العربية التي يصدرها المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر، العدد ٦ (٢٠٠٢) ص ٣٢٧ - ٣٤٣.
 - عبد الكريم خليفة، اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث (عمان: مجمع اللغة العربية الأردني ١٩٨٧).
 - محمد حلمي هليل، «الجوانب العلمية والفنية لعملية التعريب: تجربة الأكاديمية العربية للنقل البحري بالاسكندرية» مجلة التعريب، السنة ٤، العدد ٧ (١٩٩٤) ص ١٣ - ٣٩.
 - محمود أحمد السيد، «تعريب التعليم العالي: قضية ومستلزمات» بحث أعد لندوة المسؤولين عن تعريب التعليم العالي في الوطن العربي، الخرطوم ١٠ - ١٢ نوفمبر ١٩٩٨م.
 - (٤) ورد في وثيقة المؤتمر الثاني للتعريب الذي عقد في الجزائر من الثاني عشر حتى العشرين من شهر ديسمبر/كانون الثاني ١٩٧٣، عدد من المبادئ والاتجاهات والتوصيات، وفي مقدمة المبادئ ما يلي:

أولاً: اللغة مقوم رئيسي من مقومات وجود الأمة واستمرارها. وكل خطر يهدد اللغة هو خطر يهدد شخصية الأمة واستمراريتها وارتباط ما بين أجيالها.

ثانياً: إن تاصيل العلوم وانتشار المعارف في أمة من الأمم لا يكون إلا بلغتها. ولذلك فإن لحاق البلاد العربية بالحضارة العلمية المعاصرة ومواكبتها لها، ثم مشاركتها فيها، يجب أن يبدأ باستخدام اللغة العربية لغة تدريس، وإعداد المصطلحات العلمية الموحدة لذلك.

ثالثاً: إن تاصيل اللغة لا يقتصر على الأخذ بها في مرحلة دون مرحلة، وإنما يجب أن يمازج مراحل التعليم كلها منذ بدايتها، حتى يتيسر لأبناء هذه اللغة أن يعايشوها معاً حياة كاملة تساعد بعد ذلك على التصرف بها وتطويرها.

رابعاً: إن ما لحق اللغة العربية من قصور في العصور المتأخرة لا يعود إلى العربية نفسها، وإنما يرد إلى ما فرضه الغزو اللغوي - على درجات متفاوتة - من مجاعة بينها وبين أصحابها، ومن تشكيك فيها، وعزل لها عن الحياة والمجتمع والتجارب اللغوية المعاصرة في العالم، تثبت، على نحو لا يقبل الشك، أن دأب أصحاب اللغة على الأخذ بها وإشاعة استعمالها في كل الميادين النظرية والعملية، والدراسات العلمية والإنسانية - كفيلاً بتمكينها من الوفاء بحاجات العصر المتطورة.

خامساً: إن اللغة العربية قادرة - بحكم طبيعتها وخصائصها وتراثها الذي أسهمت به في الحضارة الإنسانية - على أن تكون لغة العلم الحديث: تدريساً وتالياً وبحثاً.

سادساً: إن الدعوة إلى تدريس العلوم باللغة العربية والعناية بهذه اللغة لا تعني إهمال الاهتمام بتدريس اللغات الأجنبية ولا تقصد إليه.

ويعد أن تتناول وثيقة المؤتمر الاتجاهات المصطلحية في الاقطار العربية، والاتجاهات التي تبناها المؤتمر في اختيار المصطلحات العلمية العربية الموحدة وضرورة استعمالها في كل مجالات الأداء، ينتهي إلى إصدار توصياته التي تتعلق بمنهجية توليد المصطلحات العربية الموحدة، والالتزام باستعمال هذه المصطلحات، وقضايا التأليف والبحث والترجمة، فيوصي المجامع والجامعات العربية واتحادها بما يلي:

أولاً: يوصي المؤتمر اتحاد الجامعات العربية باستكمال كل

وسائل التعاون بين الكليات العلمية بالطرق المناسبة، مثل تناوب الاجتماعات الدورية وإصدار النشرات والمجلات العلمية باللغة العربية.

ثانياً: يوصي المؤتمر اتحاد الجامعات العربية، والجامعات العربية التي لم تبدأ تدريس العلوم باللغة العربية، بالمبادرة إلى استعمال العربية في إلقاء الدروس والمحاضرات. كما يوصي أن يكون التدريس في الكليات النظرية باللغة العربية. ويؤكد أن تكون العربية السليمة - بعيداً عن اللهجات العامية - هي الأصل في ذلك.

ثم يختتم المؤتمر وثيقته بتوصية خاصة يذكر فيها حيثيات ضرورة تعريب التعليم، ثم يخاطب أصحاب القرار بما يلي: «يرجو المؤتمر الحكومات العربية جميعاً أن تتبشر بتطبيق برنامج مرحلي مرسوم لتعميم التدريس باللغة العربية في مراحل التعليم كلها للمواد العلمية والأدبية بدءاً من العام الدراسي ٧٤ - ١٩٧٥. ويرى في ذلك خطوة أساسية لابد منها لتحقيق الوجود العربي المشترك الذي يسعى لكسب المعركة في ساحاتها كلها في المرحلة الحاضرة والمراحل المقبلة. وهو يهيب بالملوك والرؤساء أن يسلكوا إلى ذلك أقرب الطرق... (انظر وثيقة المؤتمر كاملة في مجلة اللسان العربي، العدد ١١، الجزء الأول ١٩٧٤ ص ٢٧١ - ٢٧٦)».

ويلاحظ أن المؤتمر الثاني للتعريب قد أوصى بتعريب التعليم العالي بجميع تخصصاته على الرغم من أنه لم يوجد من المصطلحات العربية آنذاك إلا بضعة مئات، إيماناً منه أن مجرد استعمال العربية في التعليم العالي سيثيرها بالمصطلحات ويساعد على توحيدها.

أما المؤتمر الثالث للتعريب الذي انعقد في طرابلس الغرب بين السابع والسادس عشر من شهر شباط/فبراير ١٩٧٧ فقد تضمنت توصياته ما يأتي:

أ - في اللغة العربية:

أولاً: يؤكد المؤتمر، من جديد، أهمية العامل اللغوي في الحياة العربية. حاضرها ومستقبلها، ويلاحظ تزايد أهميته أمام الصعوبات التي تكتنف الوجود العربي، ويرى فيه المعصم الذي لا مجال للتفريط فيه.

ثانياً: يؤكد المؤتمر أهمية العامل اللغوي في حركة النمو العربي انطلاقاً من أن أي عملية في التنمية الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية، لا يمكن أن تتم، على أفضل

صورها المنظمة، إلا بلغة القوم الذين يمارسونها.

ثالثاً: يؤكد المؤتمر قدرة اللغة العربية على الوفاء بالتقديم العلمي والاجتماعي، بما لها من خصائص ذاتية، وما في تراثها من زاد غني، ساعدها على أن تكون لغة حضارة، ويرى أنها بهذه الخصائص والقدرات، وبما عند أبنائها من ايمان وعزم، قادرة على أن تستأنف مسيرتها الحضارية بنجاح أكيد.

ب- في التعريب:

أولاً: يرى المؤتمر أن الأمة العربية يجب أن تكون قد تجاوزت في أقطارها كلها فترة التفكير في التعريب الى الأخذ به، والتماس كل الوسائل له، وقطع الطريق على مراحل التشكيك فيه، واعتباره - في المرحلة الحاضرة - هدفاً أساسياً من أهدافها، وأسلوباً رئيسياً من أساليب تحقيق وجودها الفكري وشخصيتها الحضارية، ووحدتها النفسية واللغوية.

ثانياً: وانطلاقاً من ذلك، يؤمن المؤتمر بأن التعريب يجب أن يأخذ طريقه الى المؤسسات التعليمية في مراحل التعليم المختلفة، ومرحلة التعليم العالي بخاصة في فروعها كلها، بحيث تصبح اللغة العربية لغة التدريس والبحث معاً لأن قيادة الحياة في المستقبل هي لخريجي الجامعات، الذين سوف يشغلون مناصب التدريس، ويسيرونها مرافق الحياة المختلفة... (انظر توصيات المؤتمر كاملة في مجلة اللسان العربي، المجلد ١٥ - الجزء ٣ (١٩٧٧) ص ٨٢ - ٨٧).

(٥) ورد في وثيقة المؤتمر الختامية ما يلي:

(١) استكمال تعريب التعليم الجامعي قد تأخر في كثير من الاقطار العربية، ولابد من قرار سياسي وخطوة حازمة تتجاوز عوامل التردد والقصور وتضع الجيل المعاصر، حكوماته وجامعاته، أمام مسؤولياته التاريخية تجاه المستقبل العربي المنشود. ولم يعد الوقت يتسع للمؤتمرات والندوات التي تضع الافتراضات والنظريات وتصلطن حولها النقاش المعاد العقيم، ولابد من وضع الخطوات العلمية الكفيلة بتحقيق تعريب التعليم الجامعي واستكماله في وقت قريب من منظور أسوة ببعض الاقطار العربية.

(٢) إن الأفراد المشتغلين بالعلم في الجامعات والمؤسسات التعليمية مدعوون الى النهوض بمسؤوليتهم في نشر العلم باللغة العربية وجعل هذه اللغة وعاءً لأقصى ما

تصل إليه معارفهم العلمية انطلاقاً من ايمان راسخ باللغة العربية وقدرتها على استيعاب جميع العلوم والمعارف في الحاضر والمستقبل.

(٣) إن الاتحاد ينبه الى تجارب الشعوب الأخرى التي كانت لغاتها قد أوشكت أن تندثر أو لم يكن للغاتها تراث حضاري يعتد به، ومع ذلك استطاعت بإصرار أفرادها وعزمهم وإيمانهم بأهدافهم أن يحققوا تعليمًا جامعيًا كاملاً بلغاتهم، ولذلك يهيب الاتحاد بالأمة العربية التي تملك لغة من أعظم اللغات تراثاً حضارياً علمياً ومرونة أن تعمل على إنجاز تعريب التعليم الجامعي في بلادها.

(٤) التوصية الى الجامعات العربية بالاستفادة مما أقرته مؤتمرات التعريب العربية من مصطلحات في مختلف العلوم... (انظر وثيقة المؤتمر الختامية كاملة في مجلة اللسان العربي، العدد ٢١ (١٩٨٢ - ١٩٨٣) ص ٢٥ - ٢٠٦).

(٦) وجاء في توصيات الاجتماع: «يدعو الدول العربية التي مازال التعليم فيها بلغات أجنبية الى استعمال اللغة العربية في مراحل التعليم المختلفة. ويوصي بتوفير الكتاب التقني العربي (المؤلف والمترجم)، وتأهيل الأطر التدريسية والتدريبية التقنية، وتحضير المعنيين بالتأليف والترجمة والتدريس باللغة العربية». (انظر التوصيات كاملة في مجلة اللسان العربي، العدد ٢٢ (٨٢) - ١٩٨٣) ص ٢٣٠ - ٢٣١.

(٧) ومن بحوث هذه الندوة: عبد الكريم خليفة، «تعريب التعليم العالي والجامعي بالملكة الاردنية الهاشمية، ومحمود حافظ: «تعريب التعليم العالي والجامعي في مصر في ربع القرن الأخير».

(٨) تقرير المكتب الإقليمي لليونسكو عن التعليم العالي في الدول العربية، ص ٤٣.

(٩) محمد العربي ولد خليفة، «الثقافة واللغة والمجتمع» في مجلة اللغة العربية التي يصدرها المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر، العدد ٦ (٢٠٠٢) ص ١٧ - ٤٠.

(١٠) رأي أدلى به الأستاذ ماكي W.F. Mockey الأستاذ في جامعة ميغيل الكندية وورد في محاضرة عنوانها «اللغات العالمية» ألقاها في جامعة تكساس عام ١٩٧٢. وينقل الدكتور كمال عبد الله القيسي عن المستشرق البريطاني مرجليوث (١٨٥٨ - ١٩٤٩)

(٢٢) للوقوف على وثيقة الندوة كاملة انظر مجلة اللسان العربي العدد ١٨، الجزء ١ (١٩٨٠) ص ١٧٥ - ١٧٨ وانظر دراسة أحمد شفيق الخطيب التي تتناول هذه الوثيقة بعنوان «منهجية وضع المصطلحات العملية الجديدة مع ترجمة السوابق واللواحق» في مجلة اللسان العربي، العدد ١٩، الجزء ١ (١٩٨٢) ص ٣٧ - ٦٦. ولناقشة مباديء تعريب المصطلح وتوجيهه، انظر: عباس الصوري، «بين التعريب والتوحيد» في: قضايا المصطلح في الآداب والعلوم الإنسانية، إعداد عز الدين البوشيخي ومحمد الوادي (مكناس: كلية الآداب والعلوم الإنسانية ٢٠٠٠) الجزء ١ ص ٩٩ - ١٠٧.

(٢٣) انظر أعمال هذه الندوة في مجلة اللسان العربي، العدد ٣٩ (١٩٩٥).

(٢٤) محمد رشاد الحمزاوي، أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة (بيروت: دار الغرب الإسلامي ١٩٨٨).

(٢٥) محمود فهيم حجازي، «دور المصطلحات الموحدة في تعريب العلوم ونشر المعرفة» مجلة اللسان العربي، العدد ٤٧ (١٩٩٩) ص ٤١ - ٤٩.

(٢٦) عبد العزيز بنعبد الله، «استراتيجية التعريب» مجلة اللسان العربي، المجلد ١٢، الجزء ١ (١٩٧٥) ص ٥ - ٧.

(٢٧) دليل مكتب تنسيق التعريب، أعده محمد أفسحي (الرباط: مكتب تنسيق التعريب ١٩٩٨).

(٢٨) كمال بشر، «التعريب بين التفكير والتعبير» مجلة التعريب، السنة ٥، العدد ٩ (١٩٩٥) ص ٣١ - ٤٧.

(٢٩) محمود أحمد السيد، «إشكالية تعريب التعليم العالي» مجلة التعريب، السنة ٦، العدد ١٢ (١٩٩٦) ص ١١ - ٣٩.

(٣٠) عبد القادر الفاسي الفهري «كلمة الافتتاح في ندوة العربية في الاقتصاد والإدارة»، الرباط، ١٢ - ١٣/٢/١٩٩٨، ونشرت أعمالها في كتاب: العربية في الاقتصاد والإدارة، إعداد أحمد بريسل (الرباط: معهد الدراسات والأبحاث للتعريب ١٩٩٨) ص ١٣ - ١٧. ويخصوص استخدام الحاسوب في البحث اللغوي، انظر: نبيل علي، اللغة العربية والحاسوب (الكويت: تعريب ١٩٨٨)، وكذلك: نبيل علي، العرب وعصر المعلومات (الكويت: عالم المعرفة رقم ١٨٤، ١٩٩٤).

استاذ اللغة العربية في جامعة أكسفورد قوله: «إن اللغة العربية لا تزال حية حياة حقيقية، وإنها إحدى لغات ثلاث استولت على سكان العالم استيلاء لم يحصل عليه غيرها... هي والإنكليزية والإسبانية» كمال عبد الله القيسي» عملية التعريب ومستلزماتها في المجالات العلمية والتعليمية» دراسة مقدمة الى مؤتمر تعريب التعليم العالي في الوطن العربي، بغداد ٤ - ١٩٧٨/٣/٧، ص ٣.

(١١) على محمد كامل، «معالجة التعريب في العلوم الهندسية» دراسة مقدمة الى مؤتمر تعريب التعليم العالي في الوطن العربي، بغداد ٤ - ١٩٧٨/٣/٧، ص ٤.

(١٢) المرجع السابق.

(١٣) محمد توفيق الرخاوي، «عناصر التعريب، وقصيتنا الحضارية» مجلة اللسان العربي، العدد ٥٢ (٢٠٠١) ص ١٩٧.

(١٤) المرجع السابق.

(١٥) أحمد ذياب، «التعريب: هدف ووسيلة» مجلة اللسان العربي، العدد ٤٣ (١٩٩٧) ص ٩٢ - ٩٦.

(١٦) على القاسمي، «الترجمة في تجربة المغرب العربي» دراسة مقدمة الى المؤتمر العربي الأول للترجمة في بيروت ٢٩ - ٣٠/١/٢٠٠٢، ص ٢٠.

(١٧) ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة كمال بشر (القاهرة: مكتبة الشباب ١٩٩٢) ص ١٥٩.

(١٨) محمود فوزي حمد، «اتخاذ العربية لغة لتدريس العلوم في التعليم العالي» مجلة اللسان العربي، العدد ٢٤ (٨٤ - ١٩٨٥) ص ٦٧ - ٩٣.

(١٩) عبد الوهاب الإدريسي، «تعليم الطب بلغة الأم» مجلة اللسان العربي، العدد ٤٣ (١٩٩٧) ص ٩٧ - ١٠٨.

(٢٠) مازن المبارك، «حتمية التعريب في التعليم العالي» دراسة قدمت في مؤتمر تعريب التعليم العالي في الوطن العربي، بغداد ٤ - ١٩٧٨/٣/٧.

(٢١) حسين نصار، «اللغة العربية والتعليم الجامعي» دراسة قدمت في مؤتمر تعريب التعليم العالي في الوطن العربي، بغداد، ٤ - ١٩٧٨/٣/٧.

(للتفاصيل انظر على القاسمي، «مشكلات التعريب في الوطن العربي» مجلة الفيصل، العدد ٣٢ (١٩٨٠/١٤٠٠) ص ١٥ - ٢٠.



القصص النبوية

قصة نوح (عليه السلام)

مصدر إلهام في القديم والحديث

في دراسات الأدب المقارن، وفي دراسات نصوص الكتب المقدسة يتبين أثر قصة نوح - عليه السلام - وبخاصة في المكان الذي استوى عليه، ثم تفرقت ذريته في بقاع الأرض وهي تتذكر أحداث ذلك القصص.

ذكر الشيخ رحمت الله الهندي أن التوراة الحالية ليست هي التوراة المكتوبة في زمان موسى - عليه السلام - ولا هي التوراة التي كتبها عزرا، والحق الذي لا شك فيه أن هذه التوراة الحالية، مجموعة من الروايات والقصص التي اشتهرت بين اليهود ثم جمعها أحبارهم بلا تمحيص للروايات، ووضعوها في هذا المجموع المسمى بكتب العهد القديم [١]، ومعروف أن اليهود بعد موسى - عليه السلام - أجلوا عن فلسطين وذهبوا إلى بابل وغيرها بعد عدة اكتساحات لهم.

وحیوان البر وجميع الصناعات [٢] وجاء مثل ذلك في التوراة عن نفس الموضوع: (من الطيور كأجناسها، ومن البهائم كأجناسها، ومن كل دبابات الأرض كأجناسها اثنين من كل تدخل إليك لاستبقائها).

وقال الرب لنوح: ادخل أنت وجميع بيتك إلى الفلك؛ لأنني إياك رأيت باراً لدى في هذا الجيل من جميع البهائم الطاهرة تأخذ معك سبعة ذكرا وأنثى من البهائم التي ليست بطاهرة اثنين ذكرا وأنثى ومن طيور السماء أيضا سبعة سبعة)

ولذلك يظهر في الأدب المقارن نصوص الأدب البابلي (بلاد العراق) في التوراة وبخاصة من ملحمة كلكامش، حيث يتضح كثير من نصوص هذه الملحمة في أسفار التوراة وعلى الأخص سفر التكوين وأيضا في كتاب المزامير وغيرهما، وتجسم ملحمة كلكامش قصة سفينة نوح - خطوة خطوة، مثل ما جاء في الملحمة عمن ركب السفينة مع أوتو - نبشتم: (وحملت فيها كل ما كان عندى من المخلوقات الحية، أركبت في السفينة جميع أهلى وذوى قرباى، وأركبت فيها حيوان الحقل



بقلم: أ. د. عبد الباسط حمودة - مصر

ونستطيع أن نقول إن للحكايات الدينية والآثار للآيات والظواهر الكونية التي أجراها الله على أيدي الأنبياء كقصة آدم، وهابيل وقابيل، وإدريس، ونوح وعاد وشمود لها تأثير في الآداب الأممية في القديم والحديث، كذلك لها تأثير في خلق أجناس أدبية كالحكايات على ألسنة الحيوان الذي شاع في كثير من الأمم مستلهما من مخاطبة نوح - عليه السلام - لكثير من الحيوانات التي حملها معه في السفينة، ومن ذلك (أن حكايات الحيوان في الأدب العربي القديم - قبل كلية ودمنة - كانت إما شعبية فطرية، تشرح ما سار بين عامة العرب من أمثال، كما في جمهرة الأمثال للعسكري، وفي مجمع الأمثال للميداني، وإما مقتبسة من كتب العهد القديم، أي ذات طابع ديني متصل بالعقائد، كما في قصة الحمامة والغراب، المروية عن أمية بن أبي الصلت، وذلك أن نوحا بعث غرابا لينظر في الأرض هل غرقت البلاد، ويأتيه بالخبر، فوجد جيفة فوقع عليها، فلذلك لا يألفه الناس، ويضرب به المثل في الإبطاء، ثم بعث الحمامة لتتظر هل ترى في الأرض من موضع يكون للسفينة مرفأ، واستجعلت على نوح الطوق الذي في عنقها، وعندئذ أعطاه الله تلك الحلية، ومنحها تلك الزينة،

ويعرض المؤلف [٣] صورا كثيرة مثل الطوفان والحمامة والغراب، واستقرار السفينة على الجبل وغير ذلك.

ومما تقدم تبين لنا أن قصة نوح - عليه السلام - أثرت في كل الآثار الكتابية والأدبية التي دونت منذ ذلك التاريخ، وعلى الأخص في التوراة التي انقطع تواترها عن موسى - عليه السلام - لأن الكاهن (حلقياً) هو الذي اخترعها. ومما لا يخفى أن التوراة والأنجيل تمثل الكتاب المقدس عند المسيحيين الذين تأثروا بمثل هذا القصص.

وقد احتفى القرآن الكريم بقصة نوح - عليه السلام - حيث ذكرها مفصلة ومجمل في عشرات المواضع، زادت عن أربعين مرة. فتركت تأثيرات في أفكارها وتصويرها وعبرتها في المسلمين، وفي البلاد التي دخلها المسلمون من الأمم المختلفة (والشعر القصصي في القصص الطويلة انفردت به الفارسية بوصفه جنسا أدبيا مستقلا، ولكن الأدب العربي أثر فيه في موضوعاته الدينية، كقصة يوسف وزليخا، أو في موضوعاته الفلسفية الدينية، كقصة ليلي والمجنون، أو في التيارات الفكرية الفلسفية التي غزته بتأثير الدين الإسلامي) [٤].

- والنملة في السفينة) على لسان سليمان، يرد على النملة المغفرة:

ضحك النبي، وقال: إن سفيتتي

لهي الحياة، وأنت كالإنسان

كل الفضائل والعظائم عنده

هو أول والغير فيها الثاني

ويقول شوقي في قطعة له عنوانها: (السفينة

والحيوانات) يصف حال الحيوانات في سفينة الطوفان حين الخوف، ثم بعد الأمان:

فذهبت سوابق الأحقاد

وظهر الأحاب في الأعادى

حتى إذا خطوا بسفح الجودي

وأيقنوا بعودة الوجود

عادوا الى ما تقتضيه الشيمة

ورجعوا للحالة القديمة

فقس على ذلك أحوال البشر

إن شمل المحذور أو عم الخطر

بيننا ترى العلم في جهاد

إذ كلهم على الزمان العادى [٧]

ومما لا شك فيه أن أحداث قصة نوح - عليه

السلام - بما فيها من آيات ومعجزات مثيرة،

بصرف النظر عن توثيق نصوصها في غير القرآن

الكريم، ألهمت الأمم من بعد نوح أفكارا خصبة،

بدعاء نوح - عليه السلام - حين رجعت إليه، وفي

رجلها آثار الطين والحماة، فعوضت من ذلك الطين

خضاب الرجلين، ومن حسن الدلالة والطاعة طوق

العنق.

وكان أمية بن أبى الصلت معروفا بعلمه

ببعض أساطير اليهود، ويرى له الجاحظ شعرا

في نفس هذه الحكاية، وهي مأخوذة من سفر

(التكوين) [٥].

وقد تأثر بقصص الحيوان الشاعر الفرنسي

(لافونتين ١٦٢١ - ١٦٩٥م) حيث اقتبس منها نحو

عشرين حكاية، أدخلها في الجزء الثانى من

حكاياته التى نظمها على لسان الحيوان، ثم جاء

شوقي وتأثر بالشاعر الفرنسي، ورأى أحمد شوقي

أنه يستطيع أن يؤدى عن طريق القصة على لسان

الحيوان خدمة للمجتمع ببث كثير من الآراء

الاجتماعية والسياسية التى يتعذر عليه أن يصرح

بها [٦].

(وفيما يخص مضمون الحكايات، نلمح أثرا

ضئلا ، لكلية ودمنة، في قصص شوقي، كما

نتبين تأثيرا دينيا في حكايات شوقي حول سفينة

نوح، وما حف بالطوفان من حكايات ابتكرها

شوقي، مستلهما الأحداث التى تحكيها كتب العهد

القديم والكتب الدينية، فيما يخص الطوفان ورحلة

السفينة... وهكذا يتخذ شوقي السفينة رمزا حين

يورد في حكايته التى عنوانها: (نوح - عليه السلام

والطبيعي الى الواقع المأخوذ من الحياة اليومية الفردية والاجتماعية، ويسخر هذا الواقع ليكون مجالا تتحرك فيه الشخصيات وتحلل وتشرح دوافع سلوكهم شرحا مقنعا، على حسب العوامل النفسية في مواقف معينة.

ومما يؤسف له أن كثيرا من الكتاب العرب من أمثال نجيب محفوظ سار في منهجه الفني على هذا النحو، فصور شخصياته بما يكشفهم عن طريق صراعهم النفسي، ونظرتهم الى القيم الاجتماعية، وتفاعلهم مع أحداث المجتمع، ومشاركاتهم في توجيه هذه الأحداث، من تيارات فكرية، وجوانب صراع نفسي، نحو دور الدين في حياة بعض الأفراد حين يصبح الدين عادة تطفئ على العادات والتقاليد الأخرى[٩]، وفي هذا النهج سخريه واستهزاء بالدين والتراث.

الهوامش :

- (١) مختصر كتاب اظهار الحق ص ٢١.
- (٢) ملحمة كلكامش ص ١٢٢.
- (٣) د. داود سلوم: دراسات في الأدب المقارن ص ٢٠١.
- (٤) د. محمد غنيمي: الأدب المقارن ص ٢٤٨.
- (٥) د. محمد غنيمي هلال: دور الأدب المقارن في توجيه دراسات الأدب العربي المعاصر ص ٧٠.
- (٦) المرجع السابق ص ٧٧.
- (٧) المرجع السابق ص ٧٨ - ٨٠.
- (٨) محمود تيمون: فن القصص ص ٦٠.
- (٩) انظر: د. غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث ص ٦٠ وما بعدها.

أثرت الآداب العالمية، وكان النص القرآني المعجز، وما فيه من حسن عرض المعاني وترتيب الأحداث فتحا آخر لجميع أنواع القصص عند المسلمين، سواء ما هو من وضعهم وتأليفهم أم كان مترجما ثم عربوه وصبغوه بالصبغة العربية.

وقلنا - في غير هذا الموضع - إن بعض رواد القصة في العصر الحديث يعترفون أن التراث العربي والإسلامي مصدر إلهام، وركيزة قوية لقيام الفن القصصي لولا تغلب الثقافة الغربية واندفاع عملاء وريائب المبشرين والمستشرقين في تحويل وجهتها التي كان قد بدأها محمد المولى (وفي ظني أن نهضتنا الحديثة، لو كانت خلت من عنصر القصة الغربية، لما عجزنا عن أن نخلق القصة من وحي الأدب العربي وحده، ومن تراثه في ميدان القصص والأساطير، وكان هذا الأدب على وفرة ماثوراته القصصية، خليقا أن يشق لنا مجرى لقصة عربية جديدة الطابع والطران)[٨].

وقد طغت الاتجاهات الغربية في قصصنا الحديث حيث أخضعوها بالإسراف في استخدام التحليل النفسي الذي يحلل نفسيات الشخصيات من خلال الصراع بين العاطفة والواجب، وسبر أغوارها بتوالي الأحداث، واتجه القصص الرومانسي في القضايا الاجتماعية الى الفرد بتحريك المشاعر التي توحى بالإصلاح من خلال معرفة نفسية المجتمع. كما اتجه المذهب الواقعي

المنظور النقدي في الإسلام

لئن تعددت معاني النقد واستعمالاته اللغوية، فإن مفاهيمه ووظائفه متعددة تتوحد في معنى القدرة النظرية على التمييز [١] بين الأشياء المختلفة. وتتعدد لأنه يساق في سياقات مختلفة [٢]، تارة يدل النقد على الفكر المفتوح، ويدل طورا آخر على الفكر الذي يروم الانتقاد ولا يسلم بأي أمر دون تمحيص في قيمته المعرفية أو المنهجية أو الفنية أو التاريخية.

ومهما يكن من تعدد الوظائف النقدية فإنها تتركس منظورا معينا في ممارساتنا سيبقى دائما موضوعا لإعادة النظر، لأنه موضوع أكاديمي فحسب، بل لأنه موضوع نابع عن ضرورة حياتية. وفي تقديرنا إن في الإسلام، الضابط لكل مناحي الممارسة، ما يرسخ لذلك المنظور. إن النقد الذي تنطوي عليه مبادئه مرتكز على التجديد الحياتي والتفاعل الإيجابي والمحاسبة المستمرة. وكلها عناصر ستبقى دائما موضوع تأمل مستمر وتحقيق دؤوب. نعم لا شك في ذلك، لكنها تستحق أن توضع في سلة واحدة، هي سلة المنظور النقدي.

١. الوعي الذاتي :

مع الناس إن أحسن الناس أحسنت وإن أساءوا أسأت. ولكن وطنوا أنفسكم، إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم [٤].
لا يعني الاحتفاء بأعمال الذات الزرية بالغير والقسوة عليه، لأن ما يصدر عن الناس قد يكون انتقادا صحيحا، حتى ولو صدر من نقاد سييء النية والقصد وقديما قيل: رحم الله امرأه أهدى إلي عيوبي.
لا يلزم عن الاعتداد بالأعمال التبرم من النقد الذي يثيره الهجّامون والشّتامون، وإن كانوا ألوفا مؤلفا، لقوله تعالى: [وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون] (الأنعام/ ١١٦)، يعني الاحتفاء والاعتداد التمكين لثقة

الشخصية الإنسانية تبعا، للمنظور النقدي في الإسلام، شخصية يعي صاحبها وعيا تاما خصوصيتها واستقلاليتها، فتنهض للاعتماد على امكاناتها. منطلقها في ذلك الإيمان بالله تعالى ووجهتها التخلق بمكارم الأخلاق [٣]، الحس النقدي هنا متمثل في تعامل الإنسان مع الغير ومعاشرته للناس على هدي من خصوصيته وتميزه، يتعاون معهم إن رآهم على الإيمان بالله وعلى الصواب. وينتقدهم إن وجدهم على الخطأ والكفر والعصيان. وفي هذا السياق نبهنا الرسول (صلى الله عليه وسلم) الى حفظ تميز شخصيتنا، فقال: (لا يكن أحدكم إمعة، يقول: أنا

بقلم : د. اسماعيل الحسنى

كلية الآداب والعلوم الانسانية - جامعة القاضى عياض - المغرب

الشريف، ومنهم من كان يرميه بالحجارة .

وكلها ألوان من التحمل والصبر لا يمكن أن تعد ضعفا في شخصية الرسول (صلى الله عليه وسلم)، بل هي مظهر من قوة الشخصية التى توضح مواقفها من كل المواقف المغايرة ومنها مواقف النفاق . لا غرو بعد هذا إذا وضع القرآن الكريم الإيمان المقترب بالعزة مقابل النفاق المقترب بالمذلة . قال تعالى : **{ يَقُولُونَ لَنُرجعنا الى المدينة ليخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ } والله العزة ولسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون** {المنافقون/ ٨} .

يتحصل مما سبق أن عقيدة التوحيد تحرير للإنسان من طبائع الخنوع فضلا عن الاستكانة والذل والمهانة، كما أنها تربية على أخلاق المقاومة والمصابرة والتضحية، فهذا التوكل على الله بقدر ما هو اعتزاز بعون الله وثقة فيه واعتماد عليه، هو أيضا عمل جاد بأخلاق الفضيلة، وأخلاق الفضيلة هي في جوهرها دعوة الى بناء الشخصية القوية، وقوتها مستمدة من أدائها للواجب قبل مطالبتها بالحق، لا تكذب هذه الشخصية باسم المصلحة، ولا تتناقص باسم السياسة، ولا تسرق باسم المهارة، ولا تفرط في الأعراض باسم الحداثة، ولا تتنازل عن الكرامة باسم الدبلوماسية . لا تجنح الى ما يماثل هذه المواقف، لأن ذلك يجردها لا من الفضيلة فحسب، ولا من قوة الشخصية فحسب، بل يجردها أولا وقبل كل شيء من العقل، نعني العقل النقدي، وفي ذلك قال تعالى : **{ أَتَأْتِرُونَ النَّاسَ بِالْبُرِّ وتَسْؤُونَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } (البقرة/ ٤٤)** . وقال أيضا : **{ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَعْلَمُونَ } (الصف/ ٣)** .

لا تعنى الاستقامة على أخلاق الفضيلة أن نلغي

المرء في ذاته والترسيخ العملي لوضوح الأهداف دون تردد ولا حيرة، لأن شعاره دائما هو قوله تعالى : **{ اْعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مِنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ } (الزمر/ ٣٩)** .

وقديما قال الشاعر العربي :

لو أن كلبا عوى ألقيته حجرا

لأصبح الصخر مثقالا بدينار

الإنسان حين يخضع لله تعالى يرفض الخضوع لغيره، ومن هنا عزة النفس التى تظل ملازمة له في كل الأحوال والأوقات، سواء في الغنى والقوة المادية، أو في الفقر والضعف المادي . انطلاقا من ذلك يعتقد المسلم أنه على قدر خضوعه لله تعالى ولعظمته تزداد ثقته بنفسه ومعرفته بقدره، لأنه يوقن أن كل المخلوقات وإن عظمت فليس لها إلا الخضوع لله تعالى لقوله تعالى : **{ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِغْ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ } (الإسراء/ ٤٤)** .

إن الوعي بتميز الشخصية الإنسانية وخصوصيتها ثمرة من ثمرات الإيمان بالله تعالى . برهان ذلك تاريخ الدعوة الإسلامية ، فلم يكن جبروت المعارضين لها من كفار قريش وغيرهم من المشركين إلا إدراكا لجدة هذه الدعوة وتميزها، ومن ثم نفهم نذرهم منها وخوفهم من قوة شخصيتها، القوة هنا بقدر ما تشمل الجانب المادي تشمل أيضا الأبعاد النفسية والإشعاع الروحي، ولا يسع المرء في هذا الباب إلا الإشارة لما ذكرته كتب السير من أحداث صبر المسلمين على سفاهة قومهم، فمنهم من كان يضع الأذى على باب النبي (صلى الله عليه وسلم)، ومنهم من كان يقذفه بالقاذورات ويلقيها على رأسه

نفسه؟ قال: يرى أمرا لله عليه مقال، ثم لا يقول فيه، فيقول الله عز وجل له يوم القيامة: ما منعك أن تقول في كذا وكذا؟ فيقول خشية الناس، فيقول: فإياي كنت أحمق أن تخشى» صحيح ابن ماجه - كتاب الفتن.

٢ - المحاسبة المستمرة :

لا يمكن ان يستمر الاصلاح - ليس فحسب على المستوى الفردي بل أيضا على المستوى المجتمعي - بتجاهل العيوب وبإلقاء الستار على المخاطر التي تحف بالفرد وبالمجتمع، والقرآن الكريم ينبهنا على سبيل المثال، الى أن الاستقامة المطلوبة هي التي يستوي فيها الظاهر والباطن. قال تعالى: {وَنُورُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيَجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ}.

سعى الى ذلك كانت المحاسبة من طبيعة الدين الاسلامي، يكون المرء الممارس لها على بصيرة تامة ووعي تام بمقدار ما يقترب من أخطاء، وما يحقق من إنجازات ومكتسبات... دون التربية على هذا العمل النقدي يسقط المرء في مهاوي وصف من أوصاف المنافقين التي أوضحها القرآن الكريم. قال تعالى: {أُولَئِكَ يَرْجُونَ أَنَّهُمْ يَفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ} (التوبة/ ١٢٦).

ليس المطلوب في الإسلام التفكير فحسب [٥]، ولكن المطلوب أيضا النقد ولا يتأتى التفكير النقدي إلا بالمحاسبة. وشواهد ذلك من الإسلام تعز عن الحصر، منها الاعتقاد بأن لله تعالى حفظة يدونون مثقال كل ذرة من أعمال الإنسان خيرا كانت أم شرا. قال تعالى: {وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمَجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ يَقُولُونَ يَا وَيْلَتَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلُمُ رَبُّكَ أَحَدًا} (الكهف/ ٤٩).

ومنها توجيهات الرسول [صلى الله عليه وسلم] فقد روي عنه قوله: {حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا

شخصيتنا، فهذا الرسول [صلى الله عليه وسلم] لما استشار أصحابه في أسرى بدر انطلق الجميع في التفكير، كل واحد من قناعاته واجتهاداته. ومن ذلك اختيار أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) الصفع عن أسرى بدر، وإقرار عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) للعقوبة، الكل كان صادقا مع نفسه وسجيته، ومحافظا تبعا لذلك على تميزه وخصوصيته، لذا شبه الرسول [صلى الله عليه وسلم] أبا بكر (رضي الله عنه) بسيدنا ابراهيم - صلى الله عليه وسلم - الذي قال لقومه: - كما يحكي القرآن الكريم - {فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (ابراهيم/ ٣٦). وشبه عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بنوح (صلى الله عليه وسلم)، وذلك في قوله تعالى: {رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا إِنَّكَ إِن تَذَرْنِي يَضْلُوا عِبَادَكَ وَلَا يُلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كُفَّارًا} (نوح/ ٣٦).

لا تتناقض الاستقامة علي أخلاق الفضيلة مع سنة اختلاف الناس، تنوع ملامحهم النفسية وبنياتهم العقلية، وصورهم ومظاهرهم الجسمية. ليس مطلوبا من المخلوق باخلاق الاسلام إلغاء استقلال شخصيته ولا محو تميزه وخصوصيته بل المطلوب منه، وهو يسعى الى الاستقامة، اعطاء نفسه حقها من التقدير دون نفاق ولا تكلف. بذلك يحافظ على خلقه وخلقه دون تغيير، إذ التغيير هنا من صنع الشيطان، كما يحكي القرآن الكريم: {لَا مَرْتَهُمْ فَلْيَغْيِرْنِ خَلْقَ اللَّهِ} (النساء/ ١١٩).

اما الحفاظ على اختلاف الناس وتعدد خصوصيات شخصيتهم فمن خلق الله. قال تعالى: {وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّئُهَا فَاسْتَبْقُوا الْخَيْرَاتِ} (البقرة/ ١٤٨). وتظهر ثمرة ذلك في الثقة بالنفس وما تتطلبه من شجاعة ادبية وجراءة فكرية في التعبير عن الآراء والمواقف. فعن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) أن رسول الله [صلى الله عليه وسلم] قال: «لا يحقر أحدكم نفسه، قالوا: يا رسول الله كيف يحقر أحدنا

**** الوحي**

بتميز

الشخصية

الانسانية

وخصوصيتها

ثمرة من

ثمرات

الإيمان بالله

تعالى.

**** عقيدة**

التوحيد

تحرير

للإنسان من

طبائع

الخنوع

والاستكانة

لآخر.

قال تعالى: {إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين} (الأعراف / ٥٤).

ويتجسد المظهر الثاني في علاقة الله تعالى بالإنسان الذي اختاره أن يكون خليفة له في الأرض، لأن علمه وقدرته وكل صور عنايته شاملة لكل شؤونه.

يزخر القرآن الكريم بكثير من النصوص الدالة على ذلك [٨]، يكفي من تلك النصوص التي تصور ما عرفته حياة المسلمين في عهد النبوة، ففي غزوة أحد قال تعالى: {ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم

وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم} (سنن الترمذي - كتاب القيامة). ومنها فرائض الصلاة والصيام والحج، مقصد الإسلام من تشريعها أن تكون هذه العبادات الدينية مناسبة يحاسب فيها المرء نفسه: في كل عام، وفي كل أسبوع، بل وفي كل صباح ومساء. يحاسب نفسه عن قيمة أعماله، وعن حقيقة أهدافه منها، تلك هي الثمرة التربوية والفائدة النقدية من حث الإسلام على أداء عباداته في مواقيت مضبوطة لا تقبل التقديم ولا التأخير إلا بعذر مقبول.

الحاسبة فعل نقدي في الاستنكار حتى لا نألف عادات الخنوع والإذعان والإتباع بغير دليل وبرهان. فلا يخفى «أن الذين يالفون رؤية المناظر البشعة يعتادونها فلا تنكرها أبصارهم» [٦].

صحيح أننا نجد صعوبة وحرجا في الحاسبة، خاصة إذا وجه الغير سهامها الى ذواتنا، وتبلورت في انتقادات مرة وعنفية، لكن على الرغم من ذلك يجب أن نتعود على قبولها وعلى محاوره أصحابها بالنزبه من الأساليب الحوارية، خاصة إذا كنا في موضع أولئك الذين ينشرون المبادئ ويعيدون أنفسهم في موضع القدوة للجميع. والقدوة ليست تشريفا، بل تكليف لا يؤهل له إلا أهل النقد الذين وصفهم الله سبحانه وتعالى بقوله: {الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب} (الزمر / ١٨) [٧].

٣. التفاعل الإيجابي :

يستمد عنصر التفاعل الإيجابي وجوده من عقيدة التوحيد في الإسلام، فما ينبغي أن يكون عليه حال الإنسان المستخلف عن الله تعالى في الأرض مرتسم في استلهاهم كل صفات «الإيجابية والفاعلية» التي هي من صفات الله تعالى وأسمائه الحسنى .
يبدو ذلك في مظهرين أساسيين:
- مظهر علاقة الله تعالى بالكون وبعوالم مخلوقاته،

الى قوله: [قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحس ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور] (آل عمران/ ١٥٢).

يجعل كل واحد من هذين المظهرين الإنسان المستخلف عن الله تعالى عنصرا ايجابيا في تفاعله مع الواقع الذي يحياه، فلا يستقيم منطق الإيمان بالله عنده إلا إذا اقترن بالعمل الصالح. والعمل الصالح إبداع وإنشاء، وإعمار وتنمية.

بذلك يكون التفاعل الإيجابي مع ما يملكه الإنسان في واقعه: حاضرا ماثلا بين يديه من جانب أول، ونفسا يملكها بين جنبيه من جانب ثان، ظروف تلتف حواليه باسمه كانت أو كالحه من جانب ثالث.

إن العودة الى الماضي لا تكون إيجابية إلا إذا كانت مفيدة للحاضر. ولا تكون الإفادة إلا إذا ابتغيها الاعتبار بأسباب هزائم الماضي وانتصاراته. ذلك هو ما يجعل التفاعلات الى الماضي فعلا نقديا منتجا، فكما لا نزل متلذذين ومتشبين بمكاسبنا وإنجازاتنا، لأن ذلك مجرد دغدغة لمشاعرنا، وإلهاء ممقوتة عن مشاكلنا الراهنة، لا يبقى أيضا مستعبدين لأحزاننا الماضية، لأن ذلك يكبل إرادتنا ويفقدنا الثقة في أنفسنا وفي مستقبلنا.

لقد جعل القرآن الكريم من تجديد الأحرار والدوار حول المنسي ديدن كل متردد من المنافقين ومرضى القلوب، الذين تسيطر عليهم التؤهات المنكسرة والتحسرات الفجوعة. قال تعالى: [يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قُتلنا ههنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم] (آل عمران/ ١٥٤).

لم يوجه القرآن الكريم الناس بعد غزوة أحد الى التعلق بالماضي، ولا الى

البكاء على أطلاله. كلا بل ربطهم بالمستقبل. نعم لقد بين لهم علة الهزيمة، ممثلة في التنازع العقيم والعصيان الذميمة. قال تعالى: [حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون] (آل عمران/ ١٥٢). نعم هذا لا شك فيه، لكن هون عليهم في الوقت نفسه وقع آلام الهزيمة حتى تتحرر ذواتهم من قيود هذا الحادث الأليم، وتطلق مشاعرهم ويتجه فكرهم للتفاعل الإيجابي مع الحاضر. قال تعالى: [إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم] (آل عمران/ ٥٥).

ليس التفاعل الإيجابي مجرد اعتبار بدروس الماضي من أجل الحاضر واستشراف المستقبل، بل هو بالإضافة الى ذلك جهد تربوي في تحويل الصبر على الآلام والمصائب، الى رضى لا يتضمن التسليم بها، بل يتضمن أيضا ذكاء وحذقا ومهارة في معالجتها ومقاربتها. والحق، كما قال البعض: «أنه ليس أهم شيء في الحياة أن تستثمر مكاسبك، فإن أي أب له يسعه أن يفعل هذا، ولكن الشيء المهم حقاً في الحياة هو أن تحيل خسارتك الى مكاسب، فهذا الأمر يتطلب ذكاء وحذقا، وفيه يكمن الفارق بين رجل كئيب ورجل تافه» [٩].

قبول الواقع على ما هو عليه من معطيات لا يعنى دائما الاستسلام لأن ذلك مجرد رضا سلبي هو الى الضرر أقرب منه الى النفع. قبول الواقع هو التفاعل الإيجابي مع معطياته وتحويلها بالجهد والاجتهاد الى إمكانات وإمكانات. وذلك هو المقصد الأخلاقي الذي يرومه الاسلام من تشريع أحكامه، فقد يبدو في بعضها مكاره، لكن الدخول في ممارستها يكشف عن مقاصدها الاصلاحية والتربوية، قال تعالى: [وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير

**** الذي لا يحسن قراءته يفقد ذاته ***

النقد **الذاتي** **قيمة** **أخلاقية** **عالية**

وأحيانا في كل ساعة ولحظة كثيرا ما نحتك بأنواع من المستجدات والتغيرات، خاصة في وقتنا الحاضر الذي احتد فيه التغيير في كل مناحي الوجود الحضاري، وذلك ما يتطلب كما قال المفكر المغربي محمد عابد الجابري «تجديدا جذريا، تجديدا في الأعماق ومن الأعماق». ذلك أن الحضارة التي نعيشها، بل نعيش فيها شئنا أم أبينا، ليست من جنس الحضارة التي عرفها أسلافنا، وليست امتدادا مباشرا لها،

كما أنها ليست من صنعنا بل هي من صنع غيرنا، ونحن إنما تابعون فيها ولها في مختلف الميادين: في العلم والتقنية، والاقتصاد والعادات، والفكر والأيديولوجيا» [١٠].

إذا كان التجديد وعيا علميا بمعطيات الحاضر، فإن منطلق ذلك تصور المسلم استحالة بقائه بمنأى عن معانقة أنواع من الطوارئ، مغريات أو شهوات غريزية، محدثات أو بدعا دينية. من الصعب إن لم يكن من المستحيل على من يعيش وسط هذه المعطيات الاحتفاظ بتماسكه الذاتي وانسجامه الداخلي، لا يتعلق الأمر بالإنسان الفرد، بل يشمل أيضا المجتمع والأمة، لأن عوامل الهدم وإعادة الترميم والبناء لا تتوقف. تأتي في هذا السياق حتمية التجديد، كعنصر نقدي في الالتفات إلى الماضي واستشراف المستقبل، لكن على أساس مكين من العلم بالحاضر.

نفهم، على هدي من هذا العنصر، الحديث المشهور: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها» (سنن أبي داود - كتاب السنن - باب ما يذكر في القرن المئة).

لا يسع المسلم إزاء التجديد، كمبدأ ديني وعنصر نقدي في الدين الاسلامي، إلا مراجعة أساليب تفكيره، وإعادة النظر في طرائق معالجته للإشكالات التي

لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون» (البقرة/ ٢١٦).

إن العظماء والعابرة والمصلحين والمفكرين إذا داهمتهم آلام الواقع ومصاعب الدهر لا يركنون إلى الانطواء على أنفسهم والاستسلام لأقدار الواقع البئيس ثم ندم الحظ العاثر. لا يجنحون إلى كل ذلك. فهذا عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) لم ينكسر ولم يستسلم لما ذهب ضوء بصره بل رضى

بالقسمة واستأنف حياته من جديد. يقول في هذا الصدد:

إن يأخذ الله من عيئي نورهما
ففي لساني وسمعي منهما نور
قلبي نكي وعقلي غير ذي نخل
وفي فمي صارم كالسيف مأثور

٤. التجديد الحياتي :

التجديد في الإسلام إذا كان التفاتا إلى الماضي ووقفات نقدية مع محطاته المختلفة، هو أيضا وعي علمي بمعطيات الحاضر. يبرز ذلك أولا على المستوى الشخصي للفرد. لذا ينبع التجديد من داخل النفس، ويصدر من إرادة الإنسان لقوله تعالى: {إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم} (الرعد/ ١١). لا مجال للانتظارية لأنها تسقط في مهاوى الفوضى والبعثية. إن أمانتي تجاوز العوائق وتحسن الظروف لا تولد أمانا، إذ تسير بأصحابها إلى خطر كبير. قال تعالى: {ليس بأمانيتكم ولا أمانتي أهل الكتاب من يعمل سوءا يُجْزَ به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا} (النساء/ ١٢٢).

التراث هنا عمل على إطالة فترات الجمود وإبقاء على أنواع الخلل. إننا في كل عام، وفي كل شهر،

* العمل

الصالح،

إبداع

وانشاء

وإعمار

وتنمية.

* العودة

للماضي لا

تكون

إيجابية إلا

إذا كانت

مفيدة

للمحاضر.

* التفاعل

الإيجابي مع

الواقع لازم

حضاري.

تطرحها متغيرات الوجود المجتمعي. والحق أن المقصود من التجديد في المنظور النقدي مراجعة مستمرة للبناء النفسي وللسلوك الشخصي وللعدة العلمية التي نواكب من خلالها، أفرادا ونخباً مجتمعية، حوادث الوقت ومتطلبات العصر. وفي ديننا الإسلامي ما يدل على ذلك.

من ذلك الإنطلاقة التي يستقبل بها المسلم يومه الجديد. ففي لحظة إدبار الليل وإقبال النهار يهيب الله تعالى بالبشر أن يجددوا حياتهم، وفي ذلك يقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) «ينزل الله تبارك الى السماء الدنيا كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الأول، فيقول: أنا الملك، أنا الملك. من الذي يدعوني فأستجيب له؟ من الذي يسألني فأعطيه؟ من الذي يستغفرني فأغفر له؟ فلا يزال كذلك حتى يضىء الفجر» (رواه مسلم - كتاب الصلاة - باب الترغيب في الدعاء والذكر والإطالة فيه).

لا يقتصر التجديد على إعادة شريان الحياة المتدفق الى حياتنا العاطفية والشعورية حتى تظل عواطفنا الدينية ومشاعرنا النفسية حية وجياشة، فنطعمها بمختلف ضروب الوعظ والإرشاد. إن ذلك على أهميته وضرورته أفعال عاطفية محدودة النتائج والآثار. مهما تكن صورتها ومهما تكن مظاهر قوتها تظل أفعالا ناقصة. التجديد يمتد ليشمل مد جسور النظام الى مجهوداتنا، ونفخ روح العقلانية في أعمال مؤسسات مجتمعتنا، فنخصبها بالمستجد من أدوات الضبط، ونحييها بالمبتكر من إجراءات الإحصاء والتوقعات التي نحد بها من المصادفات والمفاجآت التي لا تكاد تخطر على البال.

الكل يدرك ما استجد من كشوف علمية وتقنيات إعلامية - تواصلية ومعاملات جديدة بين الأفراد والجماعات والمجتمعات. وكلها مستجدات تطرح من القضايا والاشكالات ما لم يعرفه ماضينا، وتحفز على الاجتهاد في استنباط الأحكام التي تتماشى مع مقاصد ديننا.

والحاصل من المنظور النقدي في الإسلام الاتجاه الى ترسيخ أربعة عناصر في تفكيرنا وسلوكنا: - عنصر التجديد في بنائنا النفسي وسلوكنا الأخلاقي، فضلا عن عدتنا العلمية.

- عنصر الوعي الذاتي الذي ينبع من طبيعة العقيدة الاسلامية ومن امتداداتها الأخلاقية في السلوك الإنساني.

- عنصر المحاسبة الذي يكون العقلية النقدية. - عنصر التفاعل الإيجابي المستمد من عقيدة التوحيد.

كلها عناصر تكرر لوظائف النقد في حياتنا وفي بيئتنا.

ما أحوجنا لوظائف النقد، لأنها تساهم في تكوين بيئة انتقادية[١١]. لا تعلمنا فقط كيف ننقل، وكيف نركض، وكيف ننظاها ونصخب، بل تعلمنا في

أيضا على ارادة التحلي بتلك الفضائل وعدم التفريط في شيء منها لاعتقاده أن بلوغ الكمال لا يحصل إلا بذلك التحلي، وارتياضه على العزم على تسيير آلات العمل الإنساني على مقتضيات ذلك الإدراك وتلك الإرادة وذلك العزم وعلى أن يأمر تلك الآلات المسماة بالجوارح فتكون اندفاعاتها الى وظائفها العملية على نحو ذلك الإدراك وتلك الإرادة وذلك العزم» أصول النظام الاجتماعي في الاسلام - تونس - الشركة التونسية للنشر ١٩٧٨ - ص ١٢٤.

(٤) سنن الترمذي كتاب البر.

(٥) قال تعالى: {قل إنما أعظمكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا} (سبا/ ٤٦).

(٦) علل الفاسي - النقد الذاتي - الرباط - لجنة نشر تراث علل الفاسي - الطبعة الخامسة ١٩٧٨م ص ٥٩.

(٧) قال الإمام محمد الطاهر بن عاشور: «أثنى الله عليهم بأنهم أهل نقد يميزون بين الهدى والضلال والحكمة والأوهام نظار في الأدلة الحقيقية، فناد للآلة السفسطائية» التحرير والتنوير - الدار التونسية للنشر - بدون - ٣٦٦/٢٣.

(٨) يراجع للتوسع: سيد قطب - خصائص التصور الإسلامي ومقوماته - بيروت - دار الشروق - الطبعة الثامنة ١٩٨٢م ص ١٥٢ وما بعدها.

(٩) نقلا عن محمد الغزالي - جدد حياتك - مصر - مؤسسة الخانجي للطباعة والنشر - الطبعة الثانية ١٩٦٣م ص ١٦٩.

(١٠) الجابري محمد عابد - وجهة نظر نحو إعادة بناء قضايا الفكر العربي المعاصر - البيضاء - المركز الثقافي العربي المعاصر - الطبعة الأولى ١٩٩٢م ص ٤٠.

(١١) يعد تكوين البيئة الانتقادية من أهم وظائف الجامعة، قسطنطين زريق - نحن والتاريخ: مطالب وتساؤلات في صناعة التاريخ - بيروت - دار العلم للملايين ١٩٥٢م ص ٣٠.

المقام الأول كيف نفكر، وكيف نجتهد، وكيف نسلك في كل ذلك سبل الحوار والفهم والتفهم والتعايش التي حث عليها ديننا الإسلامي. ما أحوجنا الى اعمال عناصر المنظور النقدي في الإسلام ونحن نعيش في ومع معطيات بزوغ شروط عالمية جديدة ومتغيرات دولية بعد انهيار المعسكر الاشتراكي، ناهيك عن عمق التحولات الطارئة على بلداننا، وظهور مجتمعاتنا الإسلامية بموقعها الاستراتيجي المعاصر وبتفجرها السكاني المكثف والمهاجر الى الغرب.

يتطلب ذلك في نظرنا نبذ منهجية القطيعة مع المجتمع المعاصر. وضرورة الإفادة لا فقط من مبتكراته التقنية والمادية، بل الإفادة أيضا من نظام المعرفة والتفكير فيه، إن مواقف الرفض والنفور من العالم المحيط بنا قد برهنت أن اعتزال ما يروج عند غيرنا من أفكار وأنماط حياة، وإغلاق الأبواب المحيطة بنا قد أثمرت وأنشأت من الخسائر الراجعة أضعاف ما أنتجته من المصالح الممكنة وبدلا من الجمود على ما هو موروث من اساليب مزيد من التجديد فيها. وبدلا من اعتبار الهوية مبنية على ما تركه الأسلاف، الحاجة ماسة الى تأسيسها على ما تقدمه في الحاضر.

الهوامش:

(١) من ذلك التمييز بين الدراهم الزائفة والدراهم الصحيحة، أو تمييز الخبيث من الطيب. ابن منظور - لسان العرب - بيروت - لبنان - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى ١٩٩٢م - ٤٢٥/٣.

(٢) يراجع في شأن التوسع في شأن هذه السياقات - La lande andrevocabulaire technique et Critique de la philosophie - par-is-edition puf- 1963-p:196-197.

(٣) ملاك مفهوم مكارم الأخلاق هو ما قاله الإمام محمد الطاهر بن عاشور: «ارتياض العقل على ادراك الفضائل وتمييزها عن الرذائل المتلبسة بها وارتياضه

رسائل غير منشورة للأديب والرحالة أمين الريحاني



أمين الريحاني، «فيلسوف الفريكة»، الشاعر والناقد والقصص والرحالة والمحلل السياسي، صاحب النتاج الضخم بالعربية والإنكليزية، ما يزال بعد ٦٢ عاما على رحيله موضع اهتمام متزايد، فقد صدر أخيرا عن «بلا تفورم انترناشيونال» في واشنطن، وبالتعاون مع وزارة الثقافة اللبنانية ومتحف الفريكة في واشنطن - صدر له - كتاب «رسائل العم سام» (١٩١٧-١٩١٩)، الذي يلقي الضوء على أحد أبرز وجوه الريحاني السياسية والفكرية. أربع مقالات طويلة غير منشورة موجهة الى «عزيزي العم سام» (أمريكا)، يشرح فيها الريحاني من وجهة نظر عربية مطامح العرب التحررية في زمن التحولات (الحرب العالمية الأولى) دفاعا عن الجاليات العربية في أمريكا، وإقناعا للدول الحليفة بأن العرب ليسوا من الأتراك كما كان شائعا، بل ان دورهم الاستقلال التام عنهم.

«رسائل الى العم سام» هو الثالث من سلسلة مختارات الريحاني بالإنكليزية بعد «في النقد الفني» و«وجوده».

وهذه الرسالة الأولى:

بقلم : د. عصام وهدان - سوريا

عزيزي العم سام:

أنا أحد أبنائك بالتبني، مستفيداً من الديمقراطية، بلا تذمر ولا شكوى. أجيء من الشرق، من الأرض المقدسة، وفي صديريتي بضع قطع نقد صدئة من ميراث بلادي الأبدى من السلام. لكنني لست من دعاة العنف ولا من «عمال العالم الصناعيين»، ولا من «المستنكفين ضميرياً»، ولا من صائدي باقات العشب من أي نوع. لم أشعر إطلاقاً، وإلى هذا الوقت، بأنني أحد أبنائك، عضو معترف به ضمن عائلتك المحترمة. وثيقة ميلادي، - أعترف لك يا عمي - غالباً ما تنازعت مع وثيقة التبني. وعلى الرغم من أنني لعبت وعملت ورقعت بها على مدى عشرين عاماً في فئائك الخلفي، وفسرت مع إحدى بناتك الأصليات، على الرغم من أنني أكلت من خبزك وملحك، وشربت من مائك ونبيذك، وانتقدت طعامك كوغد غير ممتن من وراء ظهرك، على الرغم من أنني قرأت دستورك، وغالباً ما توجهت بحسب قوانينك، غير أنني، بالإجمال، لم أكيف نفسي على نحو يشعرك أنني أخذت شريحة أكبر من اللازم من الحرية والمساواة. لم أتلبث أبداً على عتبك، يا عمي، أو جلست على شرفتك الأمامية، أو اختلست النظر إلى حافظة لحومك أو خزنتك. وأياً كان مبلغ الغضب الذي يستفزني أحياناً للصراخ، فإن صوتي ولو بلغ حدّه، لم يسمع إطلاقاً في مكتبك أو ردهتك.

للصدق، يا عمي العزيز، لطالما شعرت أنني لست في نهاية الأمر إلا ابناً بالتبني دخيلاً، أمريكياً غريباً في أفضل الأحوال. ومع ذلك كنت قانعاً بتفصيل كسائي وقياسه، وبحجم حدائي ونوعيته «على المرء أن يحسن التصرف في بلد أجنبي»، كذا تقول الحكمة العربية: وعلى الرغم من وثيقة مواطنيتي استمررت في

الخنوع لأحكام شهادة ميلادي. هذا كان حين كنت ما تزال في سلام مع العالم. ولكن منذ نيسان ١٩١٧ تغيرت جذرياً نفسية ابنك بالتبني ووعيه المعقد. وعلى الرغم من هذا الموقف تجاه أهل بيتك الذين لعشرين عاماً لعبت ومشيت بينهم في أحلامي، فقد مزقت وثيقة ميلادي، وأدرت ظهري لكل أخلاق العالم العربي. هذا لا يعني أنني سأنضم إلى «عمال العالم الصناعيين» ولا إلى دعاة اللاعنف أو أي من المغفلين تحت تحالف قوامه المباديء العامة. أنا نفسي أشبه بالشبوط، تعلمت الحيلة في فئائك الخلفي، ومن عامة شعبك، لكنني طبيعى رجل مسالم، وهذه الناحية من طبيعتي تفرض نفسها اليوم في منزلي. السلم في البيت أولاً وبشكل رئيسي، حيث تحشد قواك وتؤهبها الحرب، وتبني سفنك لتؤمن لنا سلاماً دائماً ومشرفاً في العالم. لهذا السبب رهنتم العام الفاتت قطع النقد القليلة الصدئة من ميراث بلدي الأول. ذلك أنني حين قرأت رسالتك السلوكية - كنت في أسبانيا وقتذاك - والتي تغيد أنك ما عدت تحتل غطرسة (Boches) وأنت أزمعت على مخاطبتهم باللغة الوحيدة التي يفهمونها، طوحت بقبعتي في الهواء، هاتفاً بلغتي الأصلية الغامضة دعاء التوفيق لك، غافلاً أثناء سلوكي غير اللائق عن حضور ممثلك الرسمي. ثم أنزويت بنفسي كابراهيمى وتكلمت:

طوال عشرين عاماً أكلت من خبز هذا الرجل وملحه - اللذين هما خبزك يا عمي - استمتعت بحرية شعبه، نمت تحت سقفه المضياف والأمن، تشاركت في محاصيل منزله، عوملت بمساواة من أبناء شعبه، من دون أن أدفع مثلهم مثقال ذرة أو أن أشارك بأغنية ورقصة في حفلات التسلية لا، لم أقدم له شيئاً في

يخطط لحشد جيش خاص به، طالبا منه أي عمل تحت إمرته، حتى لو كان حامل المياه، إذا كنت غير نافع لأي عمل آخر. كلتا الرسالتان لا يمكن أن تخطئا الهدف، فكرت: وإذا ما نجحنا في وضع قرار في حيز التنفيذ، فلن أتردد في تلبية أول نداء. وعميقا في روعي التي من طينة الأرض المقدسة غير المعقدة عانقت الفكرة المطرية بأنه حتى أنا، في مسائل القول «من يأت أولا، يخدم أولا».

لكن وفي اللحظة التي كنت أستعد فيها لختم رسالتي - خاتما بذلك أيضا قدرتي، خاسرا الفرصة الوحيدة الباقية لإثبات نفسي كمواطن صالح - جاء صديق طالبا تفسيراً لحركتي غير الملائمة مثلما هو واضح «هل العالم مشرف على نهايته» صرخ «أم أنك جنت؟» وأصر، بحكم موقعه، على رؤية الرسالتين. «ها هما، لم تختما بعد» قلت «أقبل أية نتيجة تأتيان بها». ضحك صديقي، غرق في نوبة من الضحك. «أيها الأخرق» هتف بعد انتهاء النوبة «ما كنت لتجلب لك سوى إشعار بالهلاك من هذين السيدين الشهيرين - أنظر ماذا فعلت»، لا رب في أنني ولدت تحت نجمة حظ، قلت لنفسي، وشكرت الله على ذلك كما على زيارة الصديق، الذي جاء في لحظة حاسمة لإنقاذني من كارثة رهيبة. إذ وبسبب حماستي وتهوري كنت وجهت رسالة السيد ويلسون إلى السيد روزفلت، ورسالة السيد روزفلت إلى السيد ويلسون!

لكنني فكرت ثانية في المكتب البريدي لأرسل الرسالتين بأن الغلطة في نهاية الأمر، ربما ما كانت لتؤدي إلى كارثة. كلا السيدان ويلسون وروزفلت عظيم، فكرت: والعظام ليسوا إطلاقا بشخصائين: إذا، لن يسلم الشخص ذا الخطأ الفادح من الأرض المقدسة إلى الهلاك الأبدي. أكثر من ذلك. أكثر من ذلك، تابعت مونولوجي المدافع عن النفس، فكلاهما خادم مخلص ومتفان من خدم العم سام: الخادم المخلص والمتفاني لا يملك وقتا للأمور الشخصية: إذن، السيد روزفلت كان أرسل رسالتي إلى السيد ويلسون، والسيد ويلسون كان أرسلها، بعد وضع العنوان

المقابل. لماذا، كذبت لاتفادي الاشتراك في خدمات التحكيم القضائية وغالبا ما رفضت الاشتراك في استطلاعات الرأي لوضع الشخص المناسب في مكتب الرئاسة وجعل منزل العم أمنا. كنت بكلمة مواطنا غير وطني، مطالبا بكل الفضائل المدنية، أناثيا، متهريا من الواجب. لكن الآن وعمك في حال حرب، أيها الريحاني، ما الذي ستفعله بهذا الشأن؟ هل ستستمر في التواني والتكؤ بين أنصاب أسلافك الشجعان، فاكما مغاليق أبيات الشعر على جدران الحمرا، ومتفجعا على المجد الضائع لبني أمية وبني أحمر، فيما البلد الذي أنشاك وعلمك وثققت يستعد الآن للمعركة؟ هل على الرغم من كل جمال الأندلس وروعيتها ستمتنع عن الانخراط في القتال؟ كان من الأفضل أن ترمي بنفسك من قمة الغير الدا أو أن تشق نفسك على أعلى غصن في حديقة الحمرا على أن تكون مذنبا بالجوحد الخسيس. ماذا كان ابن عباد والمنصور ليقولا عنك، إذا ما أدركت ظهرك لمن أحسن لك، لماذا؟ كانوا أسموك من دون أدنى ريب وغدا، خنزيرا، وكانوا لأودعوك قبضتي إبليس - هذه حتما فرصة ذهبية. لقد حان الوقت لتخلص نفسك، لتظهر امتنانك، لتفي بدينك أو جزءا منه إلى العم سام. أفعل ذلك أيها الريحاني، إفعله اليوم.

لا داعي للقول، عمي العزيز، إنني لم أفعل ذلك. مناجاة النفس، المسجل جوهرها هنا، كان لها التأثير الصحيح. شددت حزامي وأخذت قلبي بين أصابعي، أو بالأحرى رفعت يدي إلى مستوى حاجبي أمام آلة كتابة وتفكرت مليا مثلما أفعل الآن. أخيرا نجحت في إنشاء رسالتين، الأولى إلى الرئيس ويلسون، قلت فيها، على ما أظن شيئا عن واشنطن، وعن لينكولن، وعنه متفاديا بالطبع كل تلميح إلى سوء التفاهم السابق لشخص لديه الحق بأن يدعوهم رؤساءه، لكن مقدما خدماتي للامة بالطريقة التي تجدها الحكومة مناسبة: الرسالة الثانية وجهتها إلى المواطن البارز الآخر ورجل الدولة ذاك، الرئيس الأسبق روزفلت، الذي وقتذاك

أحدى المدمرات انحرفت عن مسارها وسارت في اتجاه باخرتنا مؤشرة الى قيادتها، توقفن، والمدمرة راسمة دائرة حول باخرتنا، كما لو تعين الحصار الوقتي، توقفت أيضا وأرسلت قدما أحد فتيانها الشجعان في مهمة تفتيش الضباط، شاب حسن المظهر من أولاد الأصليين، أيها العم، متورد الخدين، أزرق العينين، نحيل، مرتفع الذقن، لا يتجاوز الخامسة والعشرين، جعلني اللحظة أشعر بالأسف لأن والدي لم يهاجر قبل ذلك، وغامر مثلي مع إحدى بناتك الاصليات. ولو فعل ذلك لربما كنت ولدت تحت الراية وقتذاك، مع ملاح لا يمكن أن يخطئها جاسوس الماني أو ضابط فرنسي.

لكنها يد القدر التي تشكل مصائر الأفراد كما الأمم، لا، لا، لهذا مذاق الموعظة. أخ أم غير أخ، كان قلبي منتشيا بالسعادة، مفعما بالكبرياء، حين صعد الى سفينتنا، ضابطك الفتى، ومسدد في حزامه، صامت، منتصب القامة، ثابت في مشيته وحركاته، هيئته يمكن عزوها الى السلطة التي يمثلها. بصمت استقبال من المسافرين والضابط على متن الباخرة، بصمت تقدم للقيام بواجبه، بصمت تبادل القبطان تلويحة وداع. كانت واحدة من اللحظات الدرامية المكثفة حين المشاعر الإنسانية طيبة وفياضة تغمر القدرة على النطق. لم نهل لفتيانك الشجعان، أيها العم، مع أن أكثر منا كان لديهم أخوة على المركب. لكننا بقينا على ظهر المركب مشاهدين من مؤخرة أسطولك الصغير وهو يتبعد، نصف غارق بالبخار المتولد عنه، الى أن اختفى كليا في الأفق، حاملا معه خفقات قلوبنا ووداعاتها الصامتة، قلوبنا حبيسة المشاعر الخفاقة مضطربة بين مشاعر الحزن والفرح. أمريكا زاهية لنجدة فرنسا التي في ١٧٧٨ ذهبت لنجدة أمريكا، حين كانت قضية الحرية في أقمت لحظاتها وأشدّها خطرا، حين كان جيش واشنطن يتحطم ويموت جوعا في «فاليج فورج»، متجاوزا بشجاعة آلام العوز، لكن مواجهها اليأس والهزيمة. اليوم تغيرت وجهة الطاولة: «فاليج فورج» هي في

الصحيح، الى السيد روزفلت. هكذا، في أعماق روحي غير المعقدة انغمست في مشاعري الأثانية من الاقتناع الكامل (أرجو، يا عمي العزيز، أن تتغاضى عن ندرة مفرداتي، أو عن ألفاظي العامية: ذلك أنني غريب عن لغتك الأصلية، وغريب بهنات تعبيرية يميل غالبا الى استخدام لفظة أخرى).

حسنا، الرسالتان. وتعشيت تلك الليلة مع صديقي، عشاء ملكياً من d huevoes flamingol فيما الألماني عبر الغرفة، الذي كان يرافقتني كظلي منذ أكثر من شهر، كان مازال يتساءل، على افتراض ما إذا كنت جاسوسا تركيا أم لا. لابد من أنه اشتاق اليّ خلال اليومين التاليين. إذ، ومن دون انتظار جواب على أي من الرسالتين، إذ لوحت بالسلامات الى الأندلس ذات العينين المعتمتين، وبالدروع للمجد العمودي الموزون لأسلافي العرب، واتمنت إصراري وحياتي الى مجازفات وقلقات سكة حديد إسبانية، بحثا عن «مرقا في باريس».

وجدت مركبا بخاريا يستعد للانطلاق، لكن ينتظر الانطلاق، لكن ينتظر الانطلاق قدما في سواد الليل، رسميات المرور كانت صارمة، بالطبع، حتى في حال أمريكي عائد الى بلده ليلتحق بالجيش أو البحرية. ليلتحق بأي شيء، معد للدفاع الوطني. ملتحق أم غير ملتحق، بأية حال، شك في أمري ضابط من الجمهورية الفرنسية بعينه الحادثين الثاقبتين: «لست أمريكيا أصليا» قال متفحصا جواز سفري وملفيا نظرة قوية على ما اتضح أنه آلة شرقية قاتلة من آلات القيصريّة. «أنا ابن بالتبني للعم سام» أكدت له، مبرزا وثيقة التبني:

(Bien, ters bien)

كل شيء الآن على ما يرام، إذا لم تظهر الغواصات. لكن بدلا من الغواصات تأمل سعادتنا، أيها العم العزيز، الآن، بعد ثلاثة أيام من مغادرتنا المرفأ الفرنسي لاحظنا في عرض المحيط ناقلاتك الموثوقة تواكبها طراداتك ومدمراتك، جالبة الى فرنسا حصتها من جيشك. الدفعة الأولى من «كمبيلتك»

التواصل مع رئيسنا ورئيسنا الأسبق مضمون لكل عضو من مجتمعنا، بمن فيهم المهووسون والوطنيون المجردون والذين نصبوا أنفسهم - csocilbup orp - onob نعترض بالتالي على أبرز الرسائلين كأدلة .
- الاعتراض مرفوض .

- نستثني . ونحب أن نؤكد لسعادتك، على الرغم من أن المدعى عليه كان ضعيفا في الفضائل المدنية، وعلى الرغم من أنه كان مهما في الماضي، فليس بهمل اليوم . هذا ما سنثبته .
- جيد جدا، ليتقدم الشاهد .

ذات مساء، منذ حوالي الشهر وصلت الى نيويورك، وجدت رسالة على طاولتي، أحد وجهي المغلف بدا كاللوح المسحوق، والوجه الثاني ملئ بالدوائر والمربعات والأحرف والأرقام الغامضة، بما يوحي بأن منجما كان يقرأ برج ساعي البريد . الرسالة لحقتني من مدينة الى أخرى عبر المقاطعة، لم تمكث في مكان، وطاردتني عبر المحيط، حتى وجدتني أخيرا في أحد نزل منهنات . اللحظة، فيما أمسكتها وحاولت معرفة مصدرها، اختبرت شعورا بالرضى المضاعف . كانت دليلا، بادئ ذي بدء، على أنه وعلى الرغم من تشظي الحضارة وتسيبها وتشرذمها فإن احد أذرعها، أي البريد، مازال يعمل، وإن لم يكن قويا أو رشيقا، فإنه يستطيع أن يتقدم من مقاطعة الى أخرى ليتأكد من أن الأمور تعمل بشكل جيد . ليمجد اسم الله . السبب الآخر لشعوري بالرضى ينبع من وهم أنه في تلك الأيام من الاقتصاد والقواعد الصارمة لا يستطيع رجل أو امرأة أن يضع بلا سبب حتى قصاصة ورق أو طابع، كي لا نقول شيئا عن أوقات موظفي البريد الثمينة .

فتحت الرسالة وعجبا! السطران المكتوبان ببرودة انقطعا هناك ومعهما وهمي . ولم أجد أي عزاء في توقيع مواطن بارز ولا مع رئيس سابق للجمهورية . لاتأكد، قرأت في الأوراق أن خطط السيد روزفلت انهارت ليس لسبب آخر سوى أن وزير الحربية،

فرنسا والعم سام يهرع للنجدة - موضوع، هذا يستحق التأمل العميق . وكلنا انغمسنا في اللحظة، غاطسين بلا تحفظ في تلك المسافات من التاريخ والتجريد للواقع والخيال، حيث الغامض والمحسوس يوازيان بعضيهما في القلب والعقل، ويتحولان أخيرا الى كوكبتل وسيكار .

لكن بالنسبة اليّ، يا عمي العزيز، للمسألة دلالة أعمق . بالنسبة اليّ، كما للملايين من أبنائك بالتبني، الذين فروا من الطغاة والأنظمة الطاغية الى ذراعيك المفتوحتين، الذين وجدوا ملاذا على شواطئك، الذين تشاركوا هباتك واستمتعوا حرية قلبك الرائعة، بالنسبة إلينا إنك ترسي مثلا ينبغي أن يكتب بأحرف من ذهب، كما يمكن أن يقول الشاعر العربي، على جبين الزمن - مئة وأربعون عاما من التطور غير المعلن والازدهار لم تقس قلبك كما يمكن أن يفعل كسر منها في تقسية قلوب الفنانين العاديين . تلك الميزة النبيلة للروح، الامتنان، الذي هو نادر في الأمم كما في الأفراد، لم يعان ولو جزئيا من الوقت أو المسافة أو النسيان الذي تحرض عليه الهناة العملائية . بامتنان كما عن مبدأ دخلت هذه الحرب، وبامتنان كما عن مبدأ كل ابن مبارك لأم غريبة الذي يحمل شهادة التبني، عليه أن يقف اليوم الى جانبك، أعذر لللمحة الخطابية، التي ستعوض عنها، كما أمل جديتي .
الدليل على جديتي؟

- لدينا دليل قاطع يا سعادة القاضي . أولا، نرجو أن تضع هذه الرسالة كدليل . الدليل أ . والرسالتان المذكورتان ههنا . . .

- اعتراض . هذا غير مرتبط بالموضوع، غير ذات صلة، غير صالح قانونيا . ما كتبه المدعى عليه للرئيس والرئيس الأسبق يدل على واحد من أمرين: إما أنه مبتلى بما يسمى tremor scribendi ، أو قد يكون أحد أولئك المواطنين الأثرياء الذين يلعبون الغمضة مع الدستور ويمارسون الوطنية على الحكومة . لا نود أن نشهر بهؤلاء السادة . ربما كانوا صادقين في وطنيتهم لكن تدبيج الرسائل لا يثبت ذلك . إضافة الى أن حق

سياسي. وسؤال الأخلاقيات المطروح في هذه القضية هو ما نود إيضاحه، ما نود تأكيده. إذ كم من المواطنين من أصل أجنبي كانوا لينضموا الى الجيش بمحض اراداتهم وتطوعهم، انطلاقا من الشعور بالواجب والامتنان؟ التجنيد الإلزامي، بنفخة واحدة، حول أخلاقيات المواطنة، نبع كل الفضائل المواطانية، الى سؤال في الاحترام. نسلم بأن الأمور ينبغي أن تكون على هذا النحو في هذه الظروف غير الطبيعية. لكن لنعط مواطنينا الأجانب حق الشك. هناك ثلاث طبقات من المواطنين الأولياء، سعادتك، أولئك الأولياء انطلاقا من شعورهم بالواجب، وأولئك الأولياء بالإكراه. غني عن القول: من أولئك من يتمتع بتقديرنا الرفيع.

- السيد يقوم بالانتهاك بناء على الوضع الخاص للشاهد. دعه هو يتكلم. نلوح بالاستعراض... أعذرني، يا عمي العزيز، على هذا الاستطواد المتخيل. لكنني مثل الرجل الذي سئل في الأغنية أن ينقل الأخبار الى أمه، أو كالرجل الذي يخاف الاعتراف، لكن أخيرا، ومتريدا يعترف، بفشله. الحقيقة أن الرسالة الثانية لم تكن بالمرضية بداية. من البيت الأبيض انتقل طلبي الى مجلس الدفاع الوطني.

والمجلس الموقر، بعد أن استرعت انتباهه أبلغني أن رسالتي حولت الى مجلس الخدمة العامة في الولايات المتحدة الامريكية لدرسه. لفترة انتعشت أمالي. وحين تلقيت رسالة من مدير هذا المجلس مرفق بطلب ليعبأ، نقلت ثانية الى جنة السعادة السابعة. لكن أي سقطة كانت هناك، أيها العم العزيز، بعد أسبوعين. إذ بدلا من أن يصلني أمر بالتقدم وتسديد ديني لك، تلقيت الشيء الوحيد الذي نجحت في تفاديه طوال حياتي - دبلوم - شهادة انخراط في الخدمة العامة للولايات المتحدة -

هل تلومني الآن لالتيازي في كوخ الخيال ولداواة خرابي بجولة في سباق الخيل.

(محبتي ولأفاق أفضل)
أمين الريحاني

متماشيا مع متطلبات الاتيكيت والأخلاقيات العسكرية، ومؤكدا على تقاليد الجيش الشرفية، وأخذا بالاعتبار خطورة الوضع، ومدركا متطلبات المرحلة لناعية النظام والفعالية في الإدارة المناسبة للحرب، لم يستطع لذلك كله الوثوق بمسألة إنشاء جيش على اليمين غير المدبرتين لرجل عادي لكن من أكون يا عمي العزيز، لانتقد وزير حريبتك؟ فهو يعرف شغله أكثر ربما مما أعرف شغلي. لكنني كنت أكثر من خائب الأمل. كنت حزينا. ومجاملة السيد روزفلت وتعبيره عن الشكر قدما لي عزاء قليلا. ذيك السطران المطبوعان بحروف باردة، أيها العم العزيز، شعرت كأنهما إبر في جلدي، كأنهما صبير في كاس وطنيتي.

- نعترض على هذه الاستعارة، سعادتك، ونطالب بحذفها من المحضر.

- لتحذف.

- ومر الشاهد أن يخبرنا القصة مباشرة، ليلتزم الوقائع.

- تابع، لكن لا تتخط حدود التصريح الدقيق والواضح.

حسنا منذ نحو أسبوع واصلتني رسالة أخرى، التي جاءت في عقب الرسالة التي ذكرتها توا. كانت من الرئيس.

- الرئيس تقول ؟

- من سكرتيه وهو الأمر عينه، أليس كذلك؟

- لسنا هنا لنجيب عن الأسئلة. توجه الى عمود الاستفهامات في صحيفة المساء. تلقيت رسالة من السكرتير الخاص للرئيس. هل هذا صحيح؟

- أجل، ردا على رسالتي التي أعرض فيها خدماتي للأمة.

- بكلام آخر، مقدما لطلب وظيفية.

- مطالب بامتيان أن أظهر امتناني، كمستفيد من الديمقراطية، للعم سام.

- لسنا هنا لنناقش مسائل أخلاقية.

- لكن السؤال، سعادتك، يدور حول الشكل الأعلى من السلوك الأخلاقي. إنه سؤال أخلاقي بقدر ما هو

تقليد .. وتجديد

تهفو نفس القارئ المحب للأدب العاشق للفن الى
الاطلاع على النص الأدبي الذي يتميز بالأصالة والابتكار
والجدة والإبداع. والفطرة السليمة تكره التقليد في الأدب
وتمجبه. ومن التقليد ما يلبس ثوب التجديد ولكنك لو
أمعنت النظر لوجدته صدى لانتاج آخر. وأغلب المقلدين
ليست لهم رسالة في عالم الأدب إلا حب الشهرة الزائفة
والملق الرخيص.



عبد الرحمن شكري

وقد ولد هذا العبقري من أب قد هاجر الى مصر
من المغرب وكانت ولادته في مدينة بور سعيد عام
١٨٨٦م فهو أكبر سنا من صديقيه العقاد والمازني
بثلاث سنوات، وقد التحق عبد الرحمن شكري في
الثامنة من عمره بأحد الكتاتيب في بور سعيد ولكن
عهده بالكتاب لم يطل أكثر من عام، وتعلم فيه الكتابة
والقراءة وجزءاً من القرآن الكريم وكان أولاد كبار
الموظفين والأعيان يجلسون على رصيف مرتفع قرب
مقعد المعلم. وباقي التلاميذ يجلسون على حصير كما
ذكر شكري في إحدى رسائله.

وفي نحو التاسعة التحق شاعرنا بمدرسة الجامع
التوفيقي الابتدائية ببور سعيد ومنها حصل على
الشهادة الابتدائية سنة ١٩٠٠م وتابع دراسته حتى
التحق بمدرسة الحقوق. وفي سنة ١٩٠٩م أرسل في
بعثة الى جامعة شيفلد بإنجلترا حيث قضى هناك ثلاث
سنوات درس خلالها التاريخ الأوروبي والانجليزي
والاقتصاد والاجتماع والفلسفة والسياسة الى جانب
اللغة الانجليزية وآدابها. وفي عام ١٩١٢م حصل على
درجة الجامعة وقفل راجعاً الى أرض الكنانة.

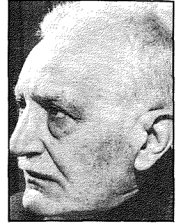
وقد قام في الأدب الحديث جماعة من المجددين
الكبار الذين تميزوا بالأصالة والابداع والعمق. ومن
 هؤلاء الأعلام عبقري من عباقرة التنوير كان في أوائل
القرن قلماً ذا تأثير خطير وكان بالإمكان أن يستمر
لولا أن أصابه داء السوداء والاكثئاب فانقلع على
نفسه وانزوى عن عالم الفكر. ذلك العلم الشهير هو
المرحوم (عبد الرحمن شكري).

ولعل القارئ الذي يقرأ هذه الإشادة بهذا
العبقري المظلوم يذكر أبياته التي يقول فيها:
لئن خانتني الذكر الجليل .. وملنى
مسامع قسوى أو غلبت على أمرى
سيروي عظامي شاعر .. بموعه
وينثر أزهار الربيع على قببرى
إذا جاعنى الليل البهيم .. أطاف بي
خيالا له يزى على صفحة البر
يجيء مجيء النوم من حيث لا أرى
ويسمعنى ما قد قرضت له شعري



بقلم: د. طاهر تونسي

جامعة الملك عبدالعزيز - جدة



العقاد



المازني

وبالإضافة الى مكانته كشاعر رائد فإن شكري يعتبر ناقدا كبيرا ذا رؤيا شاملة. والشعر في رايه ليس ترفا بل ضرورة من ضروريات الحياة وذلك لانه يصور الحياة الإنسانية بخيرها وشرها كما يعبر عن خوالج النفس البشرية والأب بوجه عام ليس حلية لفظية ولا زينة اجتماعية وإنما هو أحد المقومات الجوهرية في الحياة المتحضرة.

يقول عبد الرحمن شكري: **فالشعر هو كلمات العواطف والخيال والذوق السليم. فأصوله ثلاثة متزاوجة، فمن كان ضئيل الخيال أتى شعره ضئيل الشأن ومن كان ضعيف العاطفة أتى شعره ميتا لا حياة فيه فإن حياة الشعر في الإبانه عن حركات تلك العواطف وقوته مستخرجة من قوتها، وجلاله من جلالها، ومن كان سقيم الذوق أتى شعره كالجنين ناقص الخلقة.**

لقد بقي لنا من شكري الكثير، بقي شعره الذي طبع في ستة أجزاء وبقي مؤثرا نقده البليغ لكبار شعراء العربية والذي نشره على حلقات في مجلة الرسالة. وبقي أيضا نقده لصديقه المازني وكثير تنظيره النقدي للخيال ومفهوم الشعر.

وقد فارق شاعرنا الحياة عام ١٩٥٨م ورثاه العقاد بقصيدة مطولة من جيد الشعر مطعلا:

**بعد ابراهيم .. شكري اليوم أودي
قرب الرحيل .. لقد قاربت بعدا**

وقد تنبأ العقاد بقرب رحيله بعد صديقه شكري في هذه الأبيات ويعلم الجميع أن هذه النبوءة لم تصدق حيث مات العقاد رحمه الله بعد ستة أعوام من وفاة عبد الرحمن شكري.

وتقلب عبد الرحمن شكري في عدة وظائف مدرسية وعمل مديرا لمدارس مختلفة في أنحاء مصر حتى عام ١٩٣٨م حيث طلب الإحالة على المعاش. وقد أصدر شكري عدة دواوين فأصدر ديوانه «أضواء الفجر» عام ١٩٠٩ ثم اتبعه بديوانه «لآلئ الأفكار» و«أناشيد الصبا» و«زهرة الربيع».

وكان عبد الرحمن شكري مبتكرا غوصا في أعماق

النفس الإنسانية يقترب في فكره الفلسفي من أبي العلاء المعري. وكان متبرما لأنه لم يلق التكريم الذي كان يرى أنه يستحقه.

يقول في هذا المعنى:

**ألقى الموت لم أنبه بشعري
ولم يعلم سواد الناس أمري
وفي نفسي من الأبد .. اتساع
تدور الكائنات بها وتجري
فمن للقلب يطربه بلحن
يحن إليه من نظم ونثر
ومن للمكون يرمقه بفكر
شبيه الفكر في سعة وقدر
إذا ظمى الفؤاد إلى كمال
رأى طول الخلود كقييد شبر**

ما دام في دَمِنَا الإيمانُ يَتَقَدُّ
 فليس يقهرُ يوماً عَزَمْنَا كَبَدُ
 يا أُمَّةَ حَفِظَ الْقُرْآنُ أَحْرَفُهَا
 وبالهُدَى قَدْ حَبَّأَهَا الْوَاحِدُ الْأَحَدُ
 أُخْتِيرَ مِنْكَ رَسُولُ اللَّهِ فَارْتَفَعَتْ
 رَايَاتُ شَأْنِكَ بِالْعِلْيَاءِ تَنْفَرُ
 مِنْكَ الْأَلَى فَتَحُوا الْآفَاقَ وَأَنْطَلَقُوا
 يَمْشِي السَّنَا فِي خُطَاهُمْ أَيْنَمَا وَجَدُوا
 دَعَا إِلَى اللَّهِ لَا يَبْغُونَ غَيْرَ هُدَى
 يَسْرِي ضِيَاءُهُ عَلَى الدُّنْيَا وَيَضْطَرُّ
 بِالْحِكْمَةِ انْتَشَرَتْ فِي الْأَرْضِ دَعْوَتُهُمْ
 لَمْ يَفْرُضُوا بِصَلِيلِ السِّيفِ مَا اعْتَقَدُوا
 يَا أُمَّةَ فَضَّلْهَا عَمَّ الْوُجُودِ وَلَمْ
 تَزَلْ مَآثِرُهَا لَمْ يُحْصَها عَدَدُ



مِنْ مَشْتَبِكِ

الخَيْرُ فَيَكْ لِيَوْمِ الدِّينِ وَالرَّشْدُ
 فَلْتَرْقُبِي الْفَجْرَ ۝ لَا تَسْتَسْلِمِي لِأَسَى
 بِرَغَمٍ مِنْ ضَيَّعُوا إِرثًا وَمِنْ فَسَدُوا
 لَنْ تَوَالَتْ عَلَيْكَ النَّائِبَاتُ فَلَنْ
 يَنْهَارُ عِزُّكَ أَوْ يَفْنَى بِكَ الْجِلْدُ
 ظَنُّوكَ أَطْلَالَ حِصْنٍ ۝ كَانَ ۝ ثُمَّ هَوَى
 وَاسْأَلْتُ مَنْهُ فِي سَفْحِ الْوَنَى - الْعَمْدُ
 لَا ۝ لَسْتُ مَجْدًا مَضَى ۝ زَالَتْ قَوَاعِدُهُ
 مِنْكَ الْقَدِيمُ وَمَنْهُ يُسْتَمَدُّ غَدُ
 سَتَمَكِّثِينَ بِإِذْنِ اللَّهِ رَافِعَةً
 رَأْسَ الْإِبَاءِ وَيَفْنَى الزَّيْفُ وَالزَّيْدُ
 إِنْ بَدَّلَ الْعَصْرُ وَجْهًا وَالزَّمَانُ غَدًا
 لَمْ عَلَى أَلْقَى الْإِسْلَامَ ۝ قَدْ حَقَّقُوا
 فَصُولَةَ الشَّرِّ مَهْمَا طَالَ غِيَبُهَا
 أَمَامَ زَحْفِ الضِّيَا حَتْمًا سَتَرْتَعْدُ
 فَلَتَرْقُبِي الْفَجْرَ ۝ لَا تَسْتَسْلِمِي لِأَسَى
 فَالْفَجْرُ آتٍ وَلَيْلُ الْحُزْنِ مُبْتَعْدُ
 غَدًا يَلُوحُ شِعَاعُ النَّصْرِ مُؤْتَلَقًا
 وَيَسْتَفِيقُ صَبَاحٌ بِاسْمِ غَرْدُ
 «فَابْنُ الْوَلِيدِ» «وَسَعْدُ» «وَابْنُ حَارِثَةَ»
 لَمَّا يَزُلْ فَيَكْ مِنْ أَصْلَابِهِمْ وَلَدُ
 وَسَيْفُ «حَطِينِ» مَهْمَا الضَّعْفُ نَكْسُهُ
 فَسَوْفَ تَرْفَعُهُ لِلْمَكْرَمَاتِ ۝ يَدُ
 وَعَدُّ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَحْطَى بِنَصْرَتِهِ
 مِنْ يَنْصُرُ اللَّهُ مَهْمَا يَبْعُدُ الْأَمْدُ
 فَلْتَنْزَعِي الْيَأْسَ يَا أَرْضَ الرَّشَادِ فَلَنْ
 يَهْوَنُ شَأْنُكَ وَالْتَّقْوَى لَكَ السَّنْدُ
 إِنْ كَانَ فَيَكْ مِنْ انْقَادَاوَا لِعَفْلَتِهِمْ
 فَلَمْ يَزُلْ فَيَكْ مِنْ بَالِ النَّصْرِ قَدْ وَعَدُوا

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

ميلاد القصيدة في الشعر العربي المعاصر

الشعر .. استيعاب للمحسوسات، وقدرة على التعبير عن بعض القيم والأفكار والمعاني في قالب فني جميل، كما قال العقاد [١] - رحمه الله - وثمة حالة معاناة تتكون في رحمها القصيدة الشعرية، تسبق مرحلة اكتمالها على يد شاعرها، ومن ثم خروجها للقارئ أو المتلقي. هذه الحالة تعرف بـ «لحظة ميلاد القصيدة» أو لحظة «مخاض» العمل الإبداعي بوجه عام. وتتسم بنوع من القلق والتوتر الذي يسيطر على نفس الشاعر ووجدانه ويثير انفعالاته الوجدانية والعصبية، ومن ثم فهي تشبه «حالة» الأم التي لا تنتهي معاناتها وآلامها إلا بوضع وليدها وخروجه طفلا إلى هذه الحياة.

وهذه الدراسة تطرح سؤالا مهماً، وتسعى في نفس الوقت للإجابة عليه من خلال ما تستعرضه من «أقوال» و«نماذج» شعرية لإماطة الثام عن ماهية الحالة / اللحظة التي تستغرق الشاعر أثناء (ميلاد القصيدة) .. وإلى أى مدى استطاع الشعراء تجسيدها والتعبير عنها في قصائدهم أو دواوينهم الشعرية؟ وهل لبعض العادات المكتسبة - كالتدخين أو شرب القهوة أو سماع الموسيقى دخل في استدعاء الحالة الوجدانية لدى الشاعر لحظة إبداع القصيدة أو ميلادها على يديه؟

عذاب الحروف :

الدكتور الشاعر عبد اللطيف عبد الحليم (أبو همام) يتحدث عن هاجسه الشعري الذي يعيش معه ويلزمه في لحظة ميلاد القصيدة قائلا: أحيانا يأتيني بيت شعري أظنه يصلح «كمطلع» للقصيدة، ولكن يأتيني بيت آخر ربما في نهايتها فيكون هو الأرجح، وعندئذ أجلس حيث أكون سواء في المكتب أو في حجرة النوم وأستسلم لتداعيات الوجدان ودفقات الشعور، فقتال على ذاكرتي أبيات القصيدة، فأشرع في كتابتها واستفراغها على الورق، وعادة أكتب بقلم حبر أسود على ورق أبيض غير مسطر، ولا أتاثر

بقلم : السيد أحمد المخزنجي

عضو اتحاد كتاب مصر

(الشاعر) يبيت يترقب لحظة القنص التي يقبض فيها على «الحرف» الذي هو رمز البيت الشعري، وهو لا يفقد الأمل، لأنه حفيد «الشماع» الشاعر العربي، فينجم بالفعل في الوصول الى لحظة ميلاد القصيدة التي تظل روحه متعلقة بها: «وروحى بالقوس متصلة». وهكذا نجد الى أى حد كانت معاناة الشاعر (أبو همام) فيما تسببه له (عذابات الحروف) وجراحها النازفة بشدة زنيفا يشبه هطول المطر، وكلما يحاول الإمساك «بالحرف» أو يحتال لاصياده فإنه لا يتمكن من ذلك إلا في حالة الزروة أو «الخلاص» وهى الحالة التي تكتمل فيها تجربته الشعرية ويتحقق فيها «ميلاد القصيدة» على يديه.

وجع الشعر !

الحالة نفسها نجدها واضحة عند الشاعر الدكتور أحمد تيمور، حيث يعبر عنها بشكل ظاهر في «مطلع» ديوانه بعنوان (عشب يحجب النخيل) ففي قصيدته بعنوان (الكتابة السريّة) [٤] وهى أولى قصائد الديوان، نجده يقول:

يا أيها الشعر

إنك موجعي

أبليتُ

في كراسك المفتوح

أقلامي

ومن من قارئى

تقرئه لأمي

فيسكن في كتابي معي!

يتناول أية «مشروبات» على الإطلاق كتناول القهوة أو الشاي مثلاً [٢].

يضيف الدكتور (أبو همام): أحياناً القصيدة لا تنتهى عندي في جلسة واحدة، فأظل متوتراً ومنشغلاً بها حتى أفرغ من كتابتها، وحينئذ يعود لي توازنى النفسى وأرتد الى طبيعتى العادية. وأحياناً يسبق بيت شعري أخاه في لحظة التدفق الوجدانى وبعد قرأتى للقصيدة بعد انتهاء كتابتها أعيد ترتيبها بوضع كل بيت في مكانه المناسب منها.

وعن لحظة ميلاد القصيدة يقول الدكتور عبد اللطيف عبد الحليم (أبو همام) في قصيدة له بعنوان (القوس) بديوانه بعنوان: (زهرة النار) [٣]:

قدكأ عذاب الحرف تعرفه

وتروى من جراحه الهطلة

تبیت بالوصيد ولا تلقاه

إلا والنار مشـتـعلة

وربما تتقيه .. تحتال في اصطياب

ده والشبـاك مختـلة

وربما يبـعد المغاص وفي اللج

غـيوم الظلام منسدلة

أنا حفيد الشماع أهدانى «القوس» [*]

وروحى بالقوس متصلة

الى هذا الحد تبلغ اللحظة/ الحالة درجتها القصوى لدى الشاعر من اشتغاله واشتغاله بـ «صيد الحرف» والاحتيال في الإمساك به إذ هو (أى البيت الشعري) «ومض من النور»، ولكنه في الأعماق «اللج» حيث الغيوم منسدلة، ورغم ذلك لا يزال الصياد

معاناته عند كتابة أو «ميلاد القصيدة» ولكن هذه الأشياء «المتافيزيقية» لا تحي لديه الإرادة كاملة، لأنها تؤثر في نفسه كشاعر، ولها دور في إنكاء دفقة الإبداع الشعري التي يوججها «شيطان الشعر».

يقول محمد التهامي في قصيدته بعنوان (دمشق) يديوانه (نفثات) [ه]:

ناشلت شعري فعدّني
فكنت أكره في دنياي موهبتى
أحببت شعري ولكن حين حيرنى

ألقيت في البحر أقلامى ومحبرتى
ثم يعود في قصيدة أخرى بعنوان «الشاعر المستميت» ليؤكد تراجعه عن ذلك وفشله في عدم التخلص من لحظة «المطاردة» التي تلازمه لكتابة القصيدة فزاه يقول [٦]:

فكيف أطلق صممتى وهو نار
وكيف يريحنى في الصمت صبرى!
فمن قدرى يسيل الشعر قسراً
وكيف أفر منه وهو قسراً
سأعصره كما تبغى الليالى
وأشرب من جناه وهو مُر
هكذا لم يستطع الشاعر محمد التهامي الفكاه من أسر «لحظة ميلاد القصيدة» ولم يفلح في الانفلات من كتابتها!!

خطأ جماعة الديوان :

وعلى نفس الشاكلة نجد الشاعر أحمد غراب الذى يبرر ملازمة عادة التدخين له أثناء استغراقه في كتابة القصيدة معتقداً أن لها ارتباطاً شرطياً بلحظة ميلاد القصيدة، إذ يجد من الصعب عليه التخلص منها،

ورغم أن هذه الأبيات تكشف عن لحظة ميلاد القصيدة «لحظة الوجد» على حد تعبير د. «تيمور» لكن يعيبها المباشرة، فهي تتحدث عن «أعراض» الحالة الظاهرة/ السطحية. فالشاعر هنا لم يجسد «حالة الوجد» لديه أو يبرزها في صورة شعرية موحية تتسم بالعمق أو التكثيف. إذ لم يترك للقارئ أو الملقى ما يشعره بحجم وقيمة هذا «الوجد الشعري» إن جاز التعبير ومن ثم مدى تأثيره الوجداني في تجربته الشعرية.

شيطان الشعر !

أما الشاعر محمد التهامي فيقرر أنه تنتابه حالة من التردد - قد تطول أو تقصر - لحظة ميلاد القصيدة، لكنه يظل يراوغها حتى يتغلب عليها سواء كانت القصيدة عنده وطنية أو دينية أو تشغل بهم قومي (عربي) يفرض نفسه، فيفجر لديه التراكم المعرفي والعاطفي الممتلئ بالخبرة الطويلة، فتولد قصيدته من جماع ذلك كله.

*** ميلاد القصيدة الشعرية حالة من المماناة لا تنتهي إلا بخروجها الى الحياة.**
لكن «التهامي» يختلف عن سابقيه من الشعراء في أنه تستولى عليه «عادة التدخين» فهو لا يستطيع التخلص من آخر «نَفَس» إلا مع آخر «شطرة» في قصيدته على حد قوله: (إن الشاعر يعيش حالة «اللاوعي» ومن الصعب إخضاعه آنشد للإرادة الواعية، فتنة أشياء كثيرة تتداخله لحظة

كل شاعر حالته الوجدانية الخاصة عند إبداع قصائده.

التوقف عن المضي في «الشكل» الذي بدأتها به (يعنى البحر أو الموضوع)، فأجندنى أكتب أبيات قصيدة أخرى وربما من بحر آخر! وكمثال على ذلك أذكر قصيدتى بعنوان (مع المتنبى) فقد استغرقت كتابتها منى نحو ستة

أشهر، ثم ضمنتها ديوانى بعنوان (نقوش على جدار الصمت) [٨].

ويرى الشاعر «غراب» أن الولادة المتعسرة في كتابة القصيدة هي «حالة» لازمة للإلهام، ولا يجب أن تزج الشاعر المتمرس إلا بقدر ما تزويه عن دوحة الشعر، لأنه عادة ما يعقبها دفقة إبداعية ثرية ومتميزة، إذ كلما صعبت «اللحظة» كلما كان ذلك دليلاً على ثراء التجربة وقوة القصيدة، ومن ثم تأثيرها في القارئ أو المتلقى [٩].

الشعر معصيتي!!

بيد أن الشاعر «غراب» بعكس زملائه السابقين إذ تلازمه في لحظة كتابة القصيدة «عادة» تناول القهوة وسماع الموسيقى الكلاسيكية والكتابة بالقلم الرصاص، ويذكر الشاعر أنه بعد انتهائه من «ولادة» القصيدة أو كتابتها تنفصل علاقته عنها تماماً، وتصبح ملكاً للمتلقى أو الناقد أيضاً، فلا يحب الرجوع إليها والنظر فيها ثانية ليحاول أن «يعدل» أو «يفتش» فيها، تاركا ذلك لمهمة أو «دور» الناقد، حتى لو كان في القصيدة ما يضطره لتغييره [١٠].

بالرغم من اعترافه بأن «التدخين» عادة مَرَضِيَّة بالغة الضرر!!

ويرى «غراب» أن كل الأحداث الاجتماعية والسياسية والاقتصادية تؤثر على الشاعر ولذلك فقد أخطأ أصحاب جماعة «الديوان» عندما هاجموا أحمد شوقي - أمير الشعراء - ووصفوا شعره بأنه شعر مناسبات «لأن الحدث الاجتماعي يفجر القصيدة لدى الشاعر بتأثير ما على وجدانه وإن كان لا يصنعها على حد قوله» [٧].

ولذا يؤكد الشاعر أحمد غراب أن «لحظة ميلاد القصيدة» لديه لا ترتبط بوقت ولا بنظام معين، وقد تأتيه فجأة بدون سابق إنذار. وهنا يظهر - كما يقول - الاختلاف بينها وبين لحظة الكتابة النثرية التي تعتمد على وجود «الفكرة» مسبقاً.

ونحن نختلف مع الشاعر أحمد غراب في هذا الطرح الذى ينزع نحو الغموض و«التفلسف» لأن القصيدة هي في حد ذاتها انشغال «بفكرة» في بدايتها، ومن ثم يتم التعبير عنها في قالب أو الشكل الذى تولد فيه، والشئ نفسه بالنسبة للكتابة النثرية التى تتفق في هدفها في محاولة توصيل «الفكرة» للقارئ أو المتلقى من خلال الأسلوب الذى يراه الكاتب صالحاً لذلك.

هاجس القصيدة :

أما عن كيف يأتيه «هاجس» القصيدة؟ فيوضح الشاعر أحمد غراب أن القصيدة تأتيه كهاجس فيبدأ - بالفعل - في كتابة بعض أبياتها، وفجأة تختفى أو «تهرب» من بين يديه. وهنا تبدأ - كما يقول - «مأساتى وقلقى وحيرتى مع القصيدة، وأحياناً ما أجبر على

** القصيدة بمثابة (الحبيبة) عند (صلاح عبد الصبور)

لا يرى حرجاً أن يموت شهيداً بسبب عشقه لها.

إبداع/ ميلاد القصيدة. فإن الشاعر محمد فهمى سند على النقيض من ذلك تماماً، حيث يقرر أنه يترك نفسه «للصدفة» أو للريح أينما تقوده لخيمة الشعر أو ما يسميه - تحديداً - بالإلاح الفكري الذى قد يستبد به لأوقات وربما شهوراً فيجعله حائراً بين «حالة المد والجزر الشعرى» إن جاز التعبير، الى أن تواتيه اللحظة المناسبة لميلاد القصيدة، حتى لو اضطره ذلك للصحو والقفز من فوق سريريه وجلسه على الأرض، حيث لا «طقوس» معينة لديه في تلك اللحظة فيستسلم لكتابة القصيدة.

ولعل هذا يؤكد صحة ما ذهبنا إليه في اختلافنا مع ما قاله الشاعر أحمد غراب من تفرقة بين لحظتى كتابة أو ميلاد القصيدة وكتابة المقالة النثرية. إذ الاختلاف بينهما في الشكل وليس في الجوهر أو الهدف، وهو ما يعنى أن «الفكرة» والانشغال بها وجهان لعملة واحدة، تتمثل في حرص المبدع على توصيلها للقارئ أو المتلقى في قالب الذى تكون فيه شعراً كان أم نثراً.

ومن الطريف أن الشاعر محمد فهمى سند حاول ذات مرة - كما يقول [١٢] - أن يجلس الى مكتبه ليكتب إحدى قصائده مستعيناً بعض عادات الأديب الكبير نجيب محفوظ التى تتسم بدقة التنظيم والصرامة، ولكن فارقته لحظة الإلهام، وابتعد عنه «طلق» ولادة القصيدة، فعاد مستسلماً للتلقائية و«العفوية» التى درج عليها، فعادته «اللحظة» الملائمة فى أشد ليالى الشتاء

ما سبق كان بمثابة الكلام النظري للشاعر أحمد غراب عن «الأجواء» أو «عالم» ما قبل ميلاد القصيدة وانشغاله بها... ولكن قصيدته (الشعر معصيتي) في ديوانه بعنوان (الملاك الرمادى) تنقلنا الى اللحظة/ الحالة الشعورية التى تستغرقه فيها، وتجسدها بوضوح فيما يؤكد النموذج التطبيقي لديه، حيث يقول «غراب» [١١].

أحببتنى شاعراً ينسى أصابعه
لا تغضبى اليوم لو أنساك سيدتى
إنى أطارد حلمًا لا وجود له
وقد أغيب قرناً في مخيلتى
وأرتسى خارج الأبعاد في أفق
تموت فيه مسافاتى وأزمنتى
والليل والصمت والأشباح أمتعتى
وسكرة الموت مرساتى وأسرعتى
نعم... أموت وأحيا كل أونة
وهذه الرحلة الحمقاء معجزتى
إن تحسبى الشعر يا ندياى معصيتى
كونى بنفك إيمانى ومغفرتى

شاعر «الصدفة» !!

وإذا كان الشاعر أحمد غراب يعترف بشعر المناسبات الوطنية والدينية والقومية... ويرى أن عادات التدخين ورشف القهوة وسماع الموسيقى الهادئة من لوازم الارتباط الشرطى لديه في لحظة

«أغنية بلا وطن»، حيث تكون القصيدة بمثابة (الحيبة) التي لا يرى حرجاً في أن يموت شهيداً بسبب عشقه لها، إذ يقول[١٤]:

هدمت ما بنيت
أضعت ما اقتنيت
خرجت لك
قد خرجت لك
أسائل الرواد

عن أرضك الغريبة الرهيبية الأسرار
في هداة المساء، والظلام خيمة سوداء
ضربت في الوديان والقلاع والوهاد
أسائل الرواد

ومن أراد أن يعيش فليمت شهيداً عشقاً!

ولم يكن هذا الخروج إلا للشعر، كما يؤكد فاروق شوشة، الذي كان وحده الهاجس الأساسي والشغل الشاغل عند صلاح عبد الصبور، حضوراً أو انقطاعاً، موأنة أو ابتعاداً، وسيصبح هذا الخروج رحلة عشق لهذا المحبوب، ألا وهو «الشعر» حيث يقول في ذلك:

يا أيها الحبيب
أليس لي في المجلس السنّي حبة الشيخ؟!
فإنني مطيع
وخادم سميع

وسيصبح انقطاع هذا الشعر مدداً وإلهاماً، وتوقف الشاعر عن ابداعه سيصبح عذاباً مأساوياً وقلقاً معذباً

برداً وشرع يكتب بأي قلم وعلى ما في يديه من أوراق، فأنشج لنا ستة دواوين شعرية، دونما انتظار لأن يقبع في «هيكل سليمان».

وإذ كان من الشعراء من لا يعترفون بوجود «ملاك» أو «شيطان الشعر» الذي يلزم الشاعر لحظة ميلاد القصيدة، أمثال: محمد فهمي سند، وأحمد غراب، وعبد المنعم عواد يوسف، فإن الشاعر والكاظم إبراهيم عبد القادر المازني - رحمه الله - على خلاف ذلك، حيث يقول: (٠٠) ولشعراء العرب شياطين، وهل تُخرج هذه الفياقي (أى الصحراء الشاسعة) غير ذلك؟ وهي لا تألف إلا الرسوم المخيلة، والأطلال البوآلى، ولا تغشى إلا الأربع الأدراس. فإذا أراد الشاعر أن يستمد منها الوحي ركب إليها ظهور الإبل ومتون النياق، حتى إذا انثنى عنها شغله وصف ما رأى في طريقه إليها من النجوم، وكيف كان اعتداؤه بها. ثم لا يزال يذكره الأمر الأمر، ويفضى بك من حديث إلى حديث حتى ينسى ما أوحى إليه شيطانه من بنات الشعر فيجتزىء بما قال[١٣].

عشق القصيدة:

أما الشاعر الراحل صلاح عبد الصبور - رحمه الله - رائد حركة الشعر الحديث في مصر، فلا جدال أنه أسبق هؤلاء الشعراء المعاصرين في التعبير عن تجذّر التجربة الشعرية وتغلغلها في وجدانه واستغراقه الواضح في «لحظة/ حالة» ميلاد القصيدة، ويتجلى ذلك في نصين من قصيدتين له، الأولى بعنوان

**** الشاعر محمد فهمي سند (يترك نفسه للصدفة تقوده لخيمة الشعر) ***

الدراسة المتواضعة من أمثلة ونماذج تؤكد بوضوح مدى انشغال هؤلاء الشعراء بعلاقتهم بالقصيدة وقلقهم عليها وتجسيدهم للحظة ميلادها، فليس صحيحاً ما يراه فاروق شوشة من أن (صلاح عبد الصبور «وحده» الذي يملك القدرة على الانشغال بالعلاقة مع الشعر بهذا القدر من الوعي والقدرة على التساؤل، وأنه - فقط - الذي أخلص إخلاصاً نادراً لفنّه الأثير على مستوى القصيدة وعلى مستوى المسرح الشعري).

ود. الوقيان نموذجاً:

على أن حالة/ لحظة ميلاد القصيدة الشعرية لا يقتصر وجودها على الشعراء المصريين وحدهم، فبيننا - الآن - نماذج لشعراء آخرين «كويتيين» تكشف بوضوح عن انشغالهم وانفعالاتهم بتلك «اللحظة» مما يساعدنا على «تأصيل» الإجابة عن السؤال المطروح في مطلع هذه الدراسة. وهي نماذج تؤكد أن لا شاعر بعينه يمكن أن يستأثر دون غيره بالتعبير عن «الحالة» محل البحث، حتى لو كان هو رائد الشعر الحديث على نحو ما يغالي في ذلك فاروق شوشة.

نماذج من شعراء الكويت:

ويأتى في مقدمة شعراء الكويت هؤلاء، الشاعر المطبوع الدكتور خليفة الوقيان الذي استطاع بحق أن يضع بصمة بارزة في حركة الشعر المعاصر، ثم الشاعر سالم عباس خداده، والشاعرة سعاد مفرح، وغيرهم. ونظراً لضرورات البحث فقد اكتفينا بهؤلاء الشعراء الثلاثة «كنماذج» على سبيل المثال لا الحصر، في موضوع هذا البحث.

ولعل أول ما يواجها في التدليل على ذلك حديث الدكتور الشاعر خليفة

قاتلا يظل يلاحق الشاعر ويعتصره حتى ديوانه الأخير: «الإبحار في الذاكرة»، إذ يكشف صلاح عبد الصبور بوضوح عن حالته الشعورية والوجدانية وفرحه الشديد بلحظة استغراقه وعودة القصيدة إليه، فيشرع في إفراغها وكتابتها، بعد أن سبب له ذلك الانقطاع المزيد من العذاب والقلق. وهي نفس «الحالة» التي تعرض إليها الشاعر الدكتور عبد اللطيف عبد الحليم، على نحو ما بينا من قبل.

يقول الراحل صلاح عبد الصبور [١٥]:

ها أنت تعود إليّ

أيا صوتي الشارد زمناً في صحراء الصمت

الجداء

يا ظلي الضائع في ليل الأتعار السوداء

يا شعري التائه في نثر الأيام المتشابهة العمر

الضائعة الأسماء

وأنا أسأل نفسي

ماذا ردك لي يا شعري بعد شهور الوحشة والبعد؟

وعلى أي جناح عدت

حبيباً كالطفل رقيقاً كالعذراء

ولماذا لم أسمع خطواتك

في ردهة روعي الباردة المكتبة؟

*** * الشاعر
التهامي
(تنتابه حالة
من التردد
لحظة ميلاد
القصيدة) ***

ونحن لا نتفق مع ما يقوله فاروق شوشة في تعليقه على هذه الأبيات: (لا أظن أن شاعراً معاصراً شغلته العلاقة مع الشعر بهذا القدر من الوعي والقدرة على التساؤل كما شغلت صلاح عبد الصبور، الذي أخلص إخلاصاً نادراً لفنّه الأثير على مستوى القصيدة وعلى مستوى المسرح الشعري).

وإذا كان ما قدمناه في هذه

** الشاعر

أحمد غراب

(القصيدة)

قد تأتية

فجأة دون

سابق

(انذار).

على أننا نجد في ديوان الشاعر الكويتي سالم عباس خداده الذي صدر بعنوان (وردة وغيمة...) ولكن!! نموذجاً آخر لتجسيد لحظة أو «حالة ميلاد القصيدة» الشعري لديه، على نحو ما توضحه قصيدته التي اتخذ من عنوانها دليلاً صريحاً على ذلك، وهي بعنوان (شعري)، يقول فيها [١٧]:

إني الحسُونُ وفي شعري
تختال البسمة والأرجُ
قد أنبأ عن شيءٍ ثغري

والآتي شيءٍ يختلجُ
فغسي ما يعرّفه صدرى
أنعاماً تعشقه المهُجُ
فالغاية عندي لو تدرى
أن أجعل نفساً تتبجحُ

وتأتى قصيدة (مفتتح) للشاعر سالم عباس التي يفتح بها نفس الديوان لتوضح ملامح عالمه الشعري أو بالأحرى الملامح التي تتشكل فيها قصيدته والتي تحدد هدفه بوضوح في لحظة كتابتها حيث يقول:

لا أبغى مقدمه
فلست روحاً مبهمه
وما أنا مثل الذي
يهوى الحروف المظلمه
روحي على هذى الدنا
حائمة مرمنة
فهى ترانيم الهوى
لكل روح مُغرمة
وهى علامة الضيا
في الحالكات المعتمه
وهى لهيب حارق

الوقيان، الصريح والمحدد، في تقديمه لمجموعته الشعرية بعنوان (المبحرون مع الرياح) التي صدرت طبعها الثانية عام ١٩٨٠، حيث يكشف الشاعر عن «حالته» مع القصيدة بقوله: (ولست أدري فلعل من سوء الحظ أو حسن الحظ أنى لا أستدر وصل الشعر حين يعرض ولا أحتشد له، وأهـى لزيارته أقـداح القهوة، ولا أـتدخل لتحوير هيئته حين يقبل حتى يلائم هذه السرعة أو تلك... لأننى - أي د. الوقيان - لا أعـتسف اختيار الشكل،

بل أترك للقصيدة أن تختار هيئتها المناسبة ولا فرق لدي في أن تكون من الشعر الحر أو المقفى) [١٦]. وهذا يدل بوضوح على مدى «اتفاق» أو تشابه تجربة الشاعر خليفة الوقيان في لحظة ميلاد القصيدة بتلك الحالات المماثلة لنظرائه من الشعراء المذكورين أمثال: (أحمد غراب، وعبد اللطيف عبد الحليم، ومحمد فهمي سند) في عدم تدخله بالتغيير أو التعديل في «الشكل» الذي تولد فيه القصيدة على يديه.

وهو كذلك لا يعتد بـ «طقوس» معينة أو اتخاذ هيئة ما لحظة استغراقه فيها، إذ لا يستدر وصل الشعر، ولا يتهىء له بإعداد أقـداح من القهوة وأيضاً لا يتدخل لتحوير هيئة القصيدة حين تقبل عليه طائفة مختارة. وهى نفس «الحال» عند الشعراء ابراهيم عيسى ومحمد فهمي سند ود. عبد اللطيف عبد الحليم (أبو همام).

وقد يرى البعض في هذا «التخريج» لحالة إبداع القصيدة الشعرية عند د. خليفة الوقيان حديثاً عن صورة أو «شكل» التجربة أو هيكلها الذي تستفرغ فيه، سواء كانت تقليدية (مقفاة) أو حرة (تفعيلية).

ملامح شاعر :

لكل روح مجرمة

فروحي روح بالهوى

وبالجمال مفعمة

إنشادها مستلهم

فاقرأها تراها ملهمه

وعلى الرغم من أن الأبيات في هاتين القصيدتين تتسم بالمباشرة والغنائية وعدم الغوص الى أعماق التجربة الشعورية والوجدانية بشكل أكثر إثارة وتاجأً، إلا أنها تصور في الجمل الى أى مدى تكون الحروف «المظلمة» علامات الضياء في الحالكات، ولهيأً حارقاً، وهى في نفس الوقت «بالجمال مفعمة»، ومن ثم فهي «ملهمة».

تساؤلات ... القصيدة :

أما الشاعرة الكويتية سعدية مفرح، فهي النموذج الأخير الذى نكتفى به هنا، حتى لا تتشعب بنا السبل في هذه الدراسة. فقد طرحت سؤالاً مباشراً في ديوانها بعنوان (تغيب .. فأسرج خيل ظنوني) الصادر عام ١٩٩٤م. حيث قالت: كيف أتم القصيدة؟ وهو في نفس الوقت

**** لحظة**

ميلاد

البحث.

القصيدة

عند

(تيمور)

هي «لحظة

الوجع»

اللقاء بها حتى الآن.

تبدأ الشاعرة سعدية مفرح قصيدتها بكم هائل من التساؤلات التى تريد من خلالها الإبانة عن الحشد الهائل من «المواقف» التى تبدأ بـ «هل أغنى؟» ثم اكتوائها بلظى الذكريات... وتكؤها على نفسها بين حشائش ذكرياتها الجافة، وانطوائها في ثنايا جلدها - أى الذكريات - المترهل، أو مراقصتها طلع النخيل الذى تراوغه بغته... وهكذا تواصل الشاعرة طرح تساؤلاتها المكثفة فيما يشبه حالة «التعبئة» العامة أملا منها في الوصول للإجابة عن سؤالها المطروح:

كيف أتم القصيدة؟! [١٨]

هل أفتح نافذتى للغبار؟

وأشرعها لحكايا الجوار

ثم أزرع ظنى القمى نباتا رضى

يلف شوارعنا مبتدلا

يقبل أخضره الطلبنى

هذا الجدار الصلد

وذاك الجدار؟!

أم أتصيد فرحا عالقاً في شباك البساطة

أنتشى برضى الواقعية

أم أهدد روى

ببكاء الحقيقة

وبالرغم من أن القصيدة طويلة ومليئة بالتساؤلات التى تجسد حالة القلق النفسى والشتات هنا وهناك، من خلال رسمها للعديد من الصور الشعرية المليئة بالتناقضات والمفارقات بل «والنكسات التى تفيض بسيل الهزائم»... إلخ. فإن سعدية مفرح في هذه القصيدة تضع المتلقى أمام مفارقة مقصودة وكأنها تريد أن «تنقل» إليه شحنة التناقضات والحيرة بداخلها لينشغل هو من خلال تفاعله مع «النص» بالبحث أو

«التفتيش» عن الإجابة من خلال الواقع المحيط به، والملىء بالكثير من المفارقات والتناقضات الصارخة. ومن ثم فهي على عكس مذهب الشعراء السابقين في بيانهم للحظة ميلاد القصيدة، حيث جنحت لاتجاه آخر غير تقليدي في كشفها عن تلك اللحظة/ الحالة، وعمدت لإثارة الكثير من الدهشة والحيرة والقلق لدى القارئ أو المتلقى حينما قالت في الشطر الأخير من قصيدتها:

أما أيمع كذبي شطر السماء السعيدة
... فتكون القصيدة؟!

وهو ما يعد - في نفس الوقت - «الإجابة» المتخفية خلف تلك التساؤلات عن لحظة ميلاد القصيدة!! ويعد ٠٠ فهذا هو جهدنا واجتهادنا في الإجابة عن السؤال الذي طرحته دراستنا في الصفحات الأولى منها محاولة إمطة اللثام عن «ميلاد القصيدة في الشعر العربي المعاصر» ٠٠ كيف ويأتى «شكل» تتخلق - إن جاز التعبير - على يد هؤلاء الشعراء وفي وجدانهم؟!

والى أى مدى كانت «أشعارهم» تعبيراً صادقاً وواضحاً في الكشف عن هذه اللحظة - الولادة - الإبداعية التى تتجلى صورتها النهائية في القصيدة الشعرية الجميلة. ولم نضمن الدراسة «كل» ما تمتلئ به العديد من التجارب الشعرية الماثلة، مكتفين في ذلك بوضع «نقطة» بداية لمن يريد مواصلة البحث في هذا الدرب الواسع المتشعب الأنحاء على خارطة شعرنا العربي المعاصر.

الهوامش :

(١) شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضى، عباس محمود العقاد، (كتاب الهلال) القاهرة، ١٩٧٢م.

- (٢) من حديث خاص للدكتور عبد اللطيف عبد الحليم، في القاهرة، مع كاتب البحث، منتصف عام ٢٠٠١م.
- (٣) من قصيدة بعنوان (القوس) للدكتور عبد اللطيف عبد الحليم، في ديوانه (زهرة النار) القاهرة ١٩٩٦م.
- (٤) من ديوان شعر بعنوان (عشب يحجب النخيل) للدكتور أحمد تيمور، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٠م.
- (٥) ديوان شعر بعنوان (نفثات) للشاعر محمد التهامي، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- (٦) من حديث خاص للشاعر أحمد غراب، في القاهرة، مع كاتب البحث، منتصف عام ٢٠٠١م.
- (٧) ديوان شعر بعنوان (نقوش على جدار الصمت) للشاعر أحمد غراب، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٤م.
- (٨) من حديث للشاعر أحمد غراب، سابق الإشارة إليه.
- (٩) نفس الحديث للشاعر أحمد غراب.
- (١٠) ديوان نقوش على جدار الصمت، سابق ذكره.
- (١١) من حديث خاص للشاعر محمد فهمي سند مع كاتب البحث، في القاهرة، منتصف عام ٢٠٠١م.
- (١٢) حصاد الهشيم، إبراهيم عبد القادر المازني، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٠م.
- (١٣) أغنية بلا وطن والإبحار في الذاكرة (قصيدتان) للشاعر الراحل صلاح عبد الصبور، نقلا عن كتاب: زمن الشعر والشعراء، فاروق شوشة، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٠م.
- (١٤) زمن للشعر والشعراء، المرجع السابق.
- (١٥) نفس المرجع.
- (١٦) ديوان شعر بعنوان (المبحرون مع الرياح) للشاعر د. خليفة الوقيان، شركة الريبعان للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الثانية ١٩٨٠م «المقدمة».
- (١٧) ديوان شعر بعنوان (وردة وغيمة ٠٠ ولكن) للشاعر د. سالم عباس خداده، دار الترجمة، الكويت، الطبعة الأولى ١٩٩٥م.
- (١٨) ديوان شعر بعنوان (تقيب ٠٠ فأسرج خيل ظنوني) للشاعرة سعدية مفرح، دار الجديد، الكويت ١٩٩٤م.

سيرورة الشعر وعلاقتها بالإبداع والتلقي

قد يكون من الواضح جداً أن الخطاب الشعري لا يعني منشئه وحده، فالشاعر لا يكتب بغية إرضاء حاجات أو رغبات داخلية أو خارجية، يهدف من خلالها إلى إشباع ذاته فقط، بل إنه يكتب لآخر كذلك، وهذا الآخر - الذي هو متلقي الخطاب الشعري - عنصر مهم جداً في العملية الشعرية، بل لعله العنصر الأهم بالنسبة لأي خطاب شعري يريد أن يحقق هدفه، ويصل إلى مبتغاه، وإذا أراد الشاعر أن يحقق الإبلاغية التي ينشدها، والتوصيل الذي يسعى إليه، فإنه سيعتمد على عناصر كثيرة، يأتي المتلقي في مقدمتها.

الشرائح الاجتماعية المكونة للمجتمع العربي، كما فطنوا إلى الدور الكبير الذي يمكن أن يقوم به جمهور المتلقين على اختلاف مستوياتهم الثقافية، وتنوع منابهم الاجتماعية، بنشر الخطاب الشعري، ولذلك فقد حاولوا في كثير من الأحيان مراعاة هذا الجانب من خلال إرضاء الذائقة العامة، واختيار الموضوعات الشعرية ذات الطابع الجماهيري.

ويتضح اهتمام الشعراء الكبير بهذا الجانب منذ العصر الجاهلي وما تلاه، فقد كانوا يتوخون أن تتردد قصائدهم على الألسنة، ويتداولها الناس فيما بينهم، ويتناقلها الأجيال، فمن ذلك ما نجده لدى الأعشى في هجاء علقمة بن علاثة، ومدح عامر بن الطفيل، إذ يقول: [١]

قد قلت قولاً فـ قضى بينهم
واعترف المنفور للنافر
كم قد مضى شعري في مثله
فسار لي من منطق سائر

وقد لا نشعر كثيراً بدور المتلقي في نشر الشعر وإذاعته في زمن تعددت فيه قنوات الإبلاغ والتوصيل من مكتوبة ومرئية ومسموعة، في حين أن الأمر قديماً مختلف جداً، عندما كان الشعر يعتمد اعتماداً واسعاً على الرواية، والانتقال الشفاهي من جيل إلى آخر، ومن هنا فقد تكون حاجة الشاعر القديم إلى المتلقي، أكثر بكثير من حاجة الشاعر المعاصر، الذي لم يعد يأبه كثيراً لدور المتلقي في نشر الشعر وإذاعته، نظراً لوجود الوسائل البديلة والمتعددة والمتنوعة.

ونقع في النقد القديم على تسمية شاع استخدامهما بين النقاد هي (سيرورة الشعر) وعنوا بها انتشار الشعر، وانتقاله عبر الأجيال، وذيوعه بين عوام الناس وخواصهم، وقد اهتم جمهور المبدعين - نعني الشعراء - بهذا الجانب، وأولوه عناية فائقة، حتى إنه يمكن عدّه واحداً من جملة أمور كثيرة كانت تدفعهم إلى تجويد أشعارهم، والتفتن في نظمها، وذلك كي تلقى الاستحسان، وتحظى بالقبول من مختلف

كلية الآداب - جامعة البعث - سورية

والأسلوب السمج، الذي يخلو من الوعورة في التراكيب، والغموض في العبارات، وركوب الكثير من الضرورات، التي تؤدي الى بعض التعقيد، وحسن انتقاء الشاعر للموضوعات ذات الصلة بالناس، والتي تمس قضاياهم المختلفة، وتصور أحلامهم، وتعنى بشؤونهم، لا سيما إذا تذكروا دور الفئات الشعبية العامة في هذا الأمر، وذلك لأن سيرورة الشعر تعني انتشاره بين خواص الناس وعوامهم، ولعل لعامة الناس الدور الأكبر في ذلك.

وقد التفت النقاد والشعراء الى هذا الجانب، واهتموا به، وأخذوا يفاضلون بين الشعراء، أو بين الأبيات الشعرية، تبعاً لمدى سيورتها وانتشارها بين الناس، وحفظت لنا كتب الأدب والنقد أخباراً كثيرة في ذلك، منها ما نجده في كتاب العمد، من أن الأعشى كان «أسير الناس شعراً، وأعظمهم فيه خطأ، حتى كاد يُنسي الناس أصحابه المذكورين معه، ومثله زهير، والنابعة، وامرؤ القيس» [٦].

ومنها أيضاً ما نجده في الموشح، فقد ذكر المرزباني أنه «تذكر الفرزدق والأخطل جريراً، فقال له الأخطل: والله إنك وإياي لأشعر منه، غير أنه قد أعطي من سيرورة الشعر شيئاً ما أعطيه أحد، لقد قلت بيتاً ما أعرف في الدنيا بيتاً أهجى منه:

قومٌ إذا استنبح الأضياف كلبُهُم

قالوا لأُمهم بولي على النار

..... وقال هو:

والتغلبى إذا تنحنح للقرى

حك استه وتمثل الأمثالا

ويقول طرفة بن العبد متوعداً بعض خصومه، ومنبهاً على أنه سيرد عليهم الحرب والشحناء بالهجاء اللاذع الذائع الصيت، السائر على الألسنة [٢]:

**إن تعيسيوها نُعدْ لكم
من هجاء سائر كلمه**

ويبين حسان بن ثابت دور الرواة في إذاعة الشعر ونشره في كل مكان، في قصيدة له يهجو فيها بني عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم فيقول: [٣]

**فلن أنفك أهجو عابدياً
طوال الدهر ما نادى المنادي
وقد سارت قواف باقيات
تناشدها الرواة بكل وادي**

ويشير الشاعر نصيب في بيت له يقول فيه: [٤]

**فمنك العطاء ومنا الثناء
بكل محبيرة سائرة**
الى أنه سيرد جميل ممدوحه، وعطاءه الجزيل، بقصائد المدح التي ستنتشر في الأفاق، ويردها القاضي والداني.

وثمة أشعار كثيرة تدل على اهتمام الشعراء البالغ بضرورة أن يكون شعرهم ذائع الصيت، منتشرراً ليس على ألسنة الرواة فحسب، بل على ألسنة العامة والخاصة من الناس كذلك [٥].

وثمة عوامل كثيرة تساعد على انتشار الأشعار، وسيورتها بين الناس، منها سهولة الشعر، وصياغته الفنية المحكمة، واعتماده على اختيار الألفاظ المناسبة،

* المتلقي عند الشاعر القديم كان يمثل أداة النشر الكبرى.

ومما يدل كذلك على اهتمام النقاد بسيرة الشعر، ما نجده عند بعضهم من أحكام نقدية تتناول هذا الجانب، كالثعالي مثلاً الذي قال في حديثه عن الشاعر المخيم الراسبي: «كان منقطعاً إلى محمد بن يزيد بن منصور، فكتب معه ألف درهم،

فلما مات، اتصل بمحمد بن يحيى بن خالد، فأساء صحبته، فقال فيه - وهو أحسن وأسير ما قيل في معناه:

شَتَانُ بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَمُحَمَّدٍ
حَيُّ أُمَاتٍ، وَمَيِّتُ أَحْيَانِي
فَصَحْبْتُ حَيًّا فِي عَطَايَا مَيِّتٍ
فَبَقِيْتُ مُشْتَمَلًا عَلَى الْخُسْرَانِ [١٠]

ويوازن الأمدى بين بيتين أحدهما لأبي تمام وهو قوله:

ثُمَّ انْقَضَتْ تِلْكَ السَّنُونُ وَأَهْلُهَا
فَكَانَتْهَا وَكَانَتْهُمْ أَحْلَامُ

وثانيهما للبحري وهو قوله:

وَالْعَيْشُ مَا فَارَقْتَهُ فَذَكَرْتَهُ
لَهْفًا وَلَيْسَ الْعَيْشُ مَا تَنْسَاهُ
فيقول: «بيت أبي تمام أسير، وبيت البحري ألطف معنى» [١١]. وهذا يدل دلالة أكيدة على أهمية سيرة الشعر في الموازنة بين الشعراء.

وترتبط سيرة الشعر إلى حد كبيرة بالجانب الشفاهي فيه، والذي يتجلى في اعتماده على الرواية

فلم يبق سقاء ولا أمة إلا رواه، قال: فقضيا يومئذ لجريز أنه أسير شعرا منهما [٧].
فهذا الخبر يؤكد لنا أمرين اثنين:

الأول: أهمية انتشار الشعر بين المتلقين من عوام الناس، وهذا لا يتوفر إلا للشعر القريب من حيث صياغته الفنية الجميلة، وعباراته السهلة، وأسلوبه السلس، ومضمونه الذي صور آمالهم وآلامهم، أو يثير الفرح والبهجة في نفوسهم، أو يعكس بعض المفارقات الاجتماعية بأسلوب ساهر، ونحو ذلك.

الثاني: الاهتمام بسيرة الشعر في الموازنة بين الشعراء، والاعتماد عليه مقياساً نقدياً في المفاضلة بين شاعر وآخر، فقد قدم الأخطل والفرزدق جريراً عليهما في هذا الجانب، واعترفا بأن شعره أسير من أشعارهما.

ومما يؤكد تفوق جريز وغلته بسيرة شعره، وانتشاره بين الناس، ما نجده في كتاب الطبقات «عن محمد بن سلام قال: قال لي معاوية بن أبي عمرو بن العلاء: أي البيتين عندك أجود؟ قول جريز:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا
وَأَنْدَى الْعَمَالِينَ بَطُونِ رَاحٍ
أم قول الأخطل:

شُمْسُ الْعَدَاوَةِ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهُمْ
وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلَامًا إِذَا قَدَرُوا
فقلت: بيت جريز أحلى وأيسر، وبيت الأخطل أجزل وأرزن، فقال: صدقت، وهكذا كانا في أنفسهما عند الخاصة والعامة» [٨].

ولعل هذا الجانب عند جريز يفسر لنا إلى حد بعيد، المقولة الشائعة في الموازنة بينه وبين صنوه الفرزدق، والتي تقول: «الفرزدق ينحت من صخر، وجريز يغرف من بحر» [٩]، فقد يكون المراد بذلك، جزالة شعر الفرزدق وقوته ورسالته، وغلبة الصنعة عليه، وبساطة شعر جريز وسهولته، وسيرورته على الألسنة، وغلبة الطبع عليه.

* سيرة الشعر، كانت واحدة من أسباب تجويد الشعر عند القدماء.

في الانتقال من جيل إلى آخر، ومن ثم المحافظة عليه، خاصة في الفترة التي سبقت مرحلة التدوين والكتابة، كذلك فإن ثمة ارتباطاً وثيقاً بين سيرة الشعر وبين إبداع الشعر وأصالته وابتكاره من جهة وبين أخذه وتناوله من قبل الشعراء الآخرين

وصياغته صياغة جديدة، وعرضه بأسلوب مختلف مما يدخل في باب السرقات الأدبية من جهة أخرى، فقد يأخذ الشاعر اللاحق بيتاً أو أكثر من شاعر سبقه، فيعيد صياغته الفنية بشكل يؤمن له الذئوع والانتشار بين الناس، وهذا ما حدث على سبيل المثال بين بشار بن برد وسلم الخاسر، فقد قال بشار:

من راقب الناس لم يظفر بحاجته

وفاز بالطيبات الفاتك اللهم

فأخذه سلم الخاسر فقال :

من راقب الناس مات غمماً

وفاز باللذة الجسور

«فلما سمع بشار هذا البيت قال: يعدد إلى معاني التي أسهرت فيها ليلي، وأتعبت فيها فكري، فيكسوها لفظاً أخف من لفظي، فيروى شعره، ويترك شعري» [١٢].

ففي هذا الخبر نجد أن الشاعر سلم الخاسر، أخذ بيت سابقه بشار، فعرضه بصياغة جديدة، وقدمه مختصراً بعد ألفاظه، وهذا ما جعله أكثر سيورة بين الناس، وهو ما نبه عليه بشار، الذي ربط بين صنيع سلم، وبين رواية الشعر، وهذا يعني أن تقديم المعنى مختصراً، يؤدي إلى ذئوعه بين الناس، فضلاً عما تعطيه ميزة الاختصار من جماليات، لا سيما إذا

روعت فيها بعض الجوانب الفنية في الصياغة.

ويورد صاحب العمدة خبراً طريفاً في هذا الباب، يقول فيه: «قال الحسين بن الضحاک الخلیع: أنشدت أبا نواس قولي:

وشاطري اللسان مُخْتَلَق التكر
به شباب المجون بالنسك

الى أن بلغت الى قولي :

كأئما تُصَنَّبُ كئسه قمر

يكرعُ في بعض أنجم الفلك

فنعر نكرة [١٣]، فقلت: مالك، فقد أفزعني؟! فقال: هذا معنى مليح، وأنا أحق به، وسترى لمن يروى، ثم أنشدني بعد أيام:

إذا عبَّ فيها شاربُ القوم خلَّته

يقبَّلُ في داج من الليل كوكبا

فقلت: هذه مصالاة [١٤] يا أبا علي، فقال: أنظن أنه يروى لك معنى مليح، وأنا في الحياة؟! فأتت ترى سيرة بيت أبي نواس كيف نُسي معها بيت الخليع، على أن له فضل السبق، وفيه زيادة ذكر القمر، وقد أربى ابن الرومي عليهما جميعاً بقوله:

أبصرتُه والكأسُ بين فم

منه وبين أنامل خمس

فكئها وكان شاريها

قمرُ يقبِّلُ عارض الشمس

ولكن بيت أبي نواس أملاً للهم والسمع، وأعظم هية في النفس والصدر، ولذلك كان أسير [١٥].

فابن رشيق يرجع سيرة بيت أبي النواس، وتفوقه في هذا الجانب على كل من بيت الحسين بن الضحاک، وبيتي ابن الرومي الى أنه أملاً للهم والسمع، وأعظم هية في النفس والصدر، على الرغم من تفضيله

الثانية: الزيادة في المعنى، فقد زاد أبو نواس في بيته معنى ذكر القمر، وزيادة الشاعر في معنى من المعاني التي يأخذها ممن سبقه، هي من الأسباب التي تسوغ له سرقة، لا بل إنها تجعله أحق بالمعنى من مبتدعه [١٦].

ولم يقتصر الاهتمام بسيروية الشعر على المبدعين من الشعراء وعلى المتلقين من النقاد فقط، بل تجاوزهم إلى جمهور المتلقين العاديين إن صحت هذه التسمية، وإن شئنا الدقة أكثر قلنا: إلى الممدوحين، الذين فطن بعضهم إلى هذا الجانب، فطالبوا الشعراء بضرورة توخي انتشار أشعارهم، لأن ذلك يساعد على انتشار المبادئ وذيوها بين الناس، فمن ذلك ما نجده في العمد، فقد ذكر ابن رشيق أنه «دخل الفرزدق على عبد الرحمن بن أم الحكم، فقال له عبد الرحمن: يا أبا فراس، دعني من شعرك الذي ليس يأتي آخره حتى ينسى أوله، وقال: قل في بيتين يعلقان بالرواة، وأنا أعطيك عطية لم يعطها أحد قبلي، فغدا عليه وهو يقول:

وأنت ابن بطحاوي قريش وإن تشأ

تكن من ثقيف سيل ذي حذب غمر

وأنت ابن سوار اليسين إلى العلى

تكلت بك الشمس المضيئة للبر

فقال له: أحسنت، وأمر له بعشرة آلاف

درهم» [١٧]

فهذه الأخبار جميعاً تدل على اهتمام القوم نقاداً وشعراء ومتلقين، بسيروية الشعر، وذيوها بين الخاصة والعامة من الناس، والاعتماد على هذا الجانب يعد مقياساً نقدياً مهماً في الموازنة بين الأشعار، والمفاضلة بين الشعراء، كما تدل على العلاقة الوثيقة التي تربط سيروية الشعر بأصالة الشعر وابتكاره وإبداعه وتناوله

لبيتي ابن الرومي وترجيحهما على كل من بيتي الخليل وأبي نواس، وهذه الصفات التي ذكرها ابن رشيق يمكن أن تضاف إلى جملة الصفات التي ينبغي أن يتسم بها الشعر حتى يكون ذاتاً ومنتشراً بين الناس، على الرغم من أنها صفات انطباعية نوقية عامة، غير واضحة المؤدى أو الدلالة، وأغلب الظن أنه قصد بها جانب الصياغة الفنية، التي رآها متميزة ومتماسكة في بيت أبي نواس، بخلاف بيت الخليل وبيتي ابن الرومي، إضافة إلى أنه التفت فيها إلى الجانب النفسي وأثره في المتلقي.

وقد تنبه ابن رشيق في تعليقه على هذا الخبر إلى مسألتين مهمتين في قضية السرقات: الأولى: السبق الزمني، فقد سبق بيت الخليل بيت أبي نواس زمنياً، وهذه واحدة من جملة الفضائل التي تحسب لصالح الشاعر السابق.

**** ارضاء
الذائقة
العامة اكسب
الشعر
القديم
الطابع
الجماهيري.**

**** سيروية
الشعر على
أسن العامة
يعطيه
أفضلية في
الموازنة.**

**** الأصالة
والإبداع
والابتكار من
أسباب
سيروية
الشعر بين
الناس.**

من قبل الآخرين مما يندرج ضمن إطار قضية السرقات الأدبية.

الهُوَ امش :

(١) ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس: ١٥٦، تحقيق:

د. محمد أحمد قاسم - المكتب الإسلامي - بيروت -
١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

(٢) ديوان طرفة بن العبد: ٧٩، تحقيق: درية الخطيب،
لطفى الصقّال - مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق -
١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

(٣) ديوان حسان بن ثابت: ٢٥٩/١، تحقيق: د. وليد عرفة
- دار صادر - بيروت ١٩٧٤م.

(٤) شعر نصيب: ٩٩، نقلا عن: نصوص المصطلح النقدي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين: د. الشاهد البوشيخي: ٢٥٤ - دار القلم - بيروت - ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

(٥) من ذلك مثلاً قول جرير:

وســـــيـــــرنا قـــــوافي أبـــــدات

غلبين ————— هـ ————— لا وأبأ دؤاد
(ديوان جرير: ٦٩٢/٢، تحقيق: د. نعمان محمد أمين طه
- دار المعارف بمصر ١٩٦٩م).

وقول الكميت بن زيد الأسدي:

ونزور مسامة المهذ

ب بالمؤسسة الســـــــــــــــــــــوانر
(شعر الكميت بن زيد الأسدي: ١٩٤/١، جمع وتقديم: د.
داود سلوم - عالم الكتب - بيروت - ط ٢- ١٤١٦هـ -
١٩٩٧م).

وقول الراعي النميري:

تصدي لوضاح الجبين كئنه
سراج الدجى تجبي إليه السوائر
فقل ثناء من أخ ذي مودة

غدا منجى الحاجات والوجه وأفر
(شعر الراعي النميري: ١٣٩، نقلا عن: نصوص المصطلح
النقدى لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين: ١٩٤).

(٦) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، لابن رشيق

القيرواني: ٨٦٢/٢، تحقيق: د. محمد قرقزان - دار
المعرفة - بيروت - لبنان - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
(٧) الموشح، للمرزباني: ٢٢٤، تحقيق: على محمد البجايي،
دار النهضة مصر - ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م، وانظر كذلك
العمدة ٨٦٢/٢.

(٨) طبقات فحول الشعراء، لمحمد بن سلام الجمحي:
١٩٤٢. تحقيق: محمود محمد شاكر - مطبعة المدني
المؤسسة السعودية بمصر - القاهرة - بلا تاريخ.

(۹) نفسه: ۴۵۱/۲، ۴۷۴.

(١٠) الإعجاز والإيجاز لأبي منصور الثعالبي: ١٧٤. دار
الرائد العربي - بيروت - ط ٢ - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(١١) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري • للآمدي:
١٦٤/٢ - ١٦٥، تحقيق السيد أحمد صقر - دار

المعارف، مصر ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م.

(١٢) المنصف للشارق والمسروق منه في إظهار سرقات أبي الطيب المتنبي، لابن وكيع التنيسي: ١١/١، تحقيق: د.

محمد يوسف نجم - دار صادر - بيروت ١٩١٢هـ -
١٩٩٢، وانظر كذلك: الصناعتين. لأبي هلال العسكري:

٢٢٠/١، تحقيق: علي محمد البجاوي - محمد أبو
الفضل إبراهيم - مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه
- ط ٢ - بلا تاريخ.

(١٣) نَعْرُ نَعْرَةً : صاح وصوت بخيشومه. القاموس
المحيط: مادة/ نعر.

(١٤) المصاللة: لغة التضارب بالسيف، واصطلاحاً: ضرب من ضروب السرقات، وهو أن يأخذ الشاعر بيتاً لغيره لفظاً ومعنى.

(١٥) العمدۃ: ٨٦٢/٢ - ٨٦٣.

(١٦) للاستزادة حول هذا الأمر، انظر مثلاً: الوساطة بين المتنبي وخصومه، للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد الجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه - مصر - ط ٣ - بلا تاريخ ص ١٨٨.

(١٧) العمدة : ٧٧٢/٢ - ٧٧٣.



الّوح العاكس في بوح الفاكس!

أحماض أدبية

«حدثنا أبو الفتح البُستي [١] قال:

ما سمعتُ أن عالماً شبع من العلم: أو عاف الاستزادة منه إلا الطُّغراني [٢]، فإنني قد قرأت بخط يده في جُداذة:

أما العلوم فقد ظفرتُ ببغيتي
منها فما أحتاجُ أن أتعلّما
وعرفتُ أسرار الخليقة كلّها
علماً أثار لي البهيم المظلماً [٣]!

المباني الشاهقة، وناطحات السحاب السامقة، وأنه زار دبي بلد التجارة الحي، وعرجَ على الشارقة وعجمان وأم القوين وخورفكان والفجيرة ورأس الخيمة. وأنه بات قرير العين في «العين» حيث الأشجار اليناعة، والظلال الوارفة، والأضواء الباهرة، والحدائق الرائعة. وأردف قائلاً: يا أبا الفتح، لن تستغني عن الصعود إلى جبل «حفيت» ولو حفيت، وما عسى أن أقول:

يا «عين» يا زهرة فواحة عبقت
إليك قلبي هفاً وجداً وتحناناً
أم العيون وهل إلّاك فاتنة
تسقي المتيم الحافظاً والهاناً [٤]!

فتعجبت وسألت نفسي: لو وقع هذا من أشباه المتعلمين في القرن العشرين لما أنكرنا عليهم، فما أكثر الأدعياء فيهم، فذا يدعي أنه أشعر من جرير بشعر حدادتي جزيل لو رقي به عقل العقلاء لجُنَّ، وذا يدعي أنه أفقه من الخليل بكلام غربيّ دخيل، وهم يتبحرون بقول أبي العلاء:

وإني وإن كنتُ الأخير زمانه
لأت بما لم تستطعه الأوائل!

قلت: يا أبا إسماعيل، لقد متعتني بحديثك عن ذلك البلد البهيج ودرة الخليج، وما جئتُك سائحاً، وإنما جئتُك مستنكراً سائلاً، أُلستَ القائل:
والعلم نقشٌ في فؤادك راسخٌ
والمال ظلٌ عن فنانك ذاهبٌ [٥]!

أما أن يقع من أبي إسماعيل الطغراني فهذا النكر بعينه، فما عهده إلا رغباً في العلم مقبلاً عليه إقبال الغواص على الدرر والماس!
ثم إنني أتيتُه بأصفهان بعد أن قفل مع الحجيج، وزار الخليج، فحدثني عمّا حازت أبو ظبي من روعة ونضارة، ومواكبة الحضارة، وما فيها من

قال: بلى. يا أبا الفتح، فالعلم بحر لا غنى لأحد



بقلم: د. أحمد عطية السعودي - الأردن

والتحميل وإرجاع الرسالة وتقديمها، وتسجيلها وتخزينها، ونسخها وتحسينها، وأنه يبلغ الورقة في بطنه ثم يلفظها من غير سوء بقمه!

قلت : يبدو من اسمه أنه من صنع الفرنج، وأنتك جليته من الخليج، أليس له اسم في العربية؟ أم شغل حماة الضاد بربطات الأعناق وتقليد شذاذ الأفاق؟

قال : بلى، إن مجامع اللغة العربية تسميه الناسوخ على وزن فاعول.

قلت : لم يعلق بذهني شيء مما ذكرت من عمل الناسوخ، فأعد عليّ ما قلت، وأرني كيف يعمل على التحقيق، فالعلم بالتجربة والتطبيق، لا بالخطبة والتصفيق.

قال : سأفعل يا أبا الفتح، ولكن بعد الغداء وشرب الحساء.

قلت : وهل سيتغذى معنا الناسوخ من الطعام الجاف أو المطبوخ؟

قال : كلا إنه يتغذى من الجدار بشحنات كالغبار لا تراها الأبصار!

قلت : وهل تداعب جهازك كما تلعب أولادك أم هو جامد فاكس وأنت صامت عابس؟

قال : بل أداعبه وأناديه يا سوخو! كما كانت أم ستالين [٧]، وكان آنذاك يحكم الملايين، ويُذبح الأبرياء من الأمهات والآباء! [وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون].

عن وروده، وبستانٌ يهبج بأزاهيره ووروده. بلى، أنا القائل، فما تنكر عليّ؟!

قلت : أنكر عليك إعراضك عن الاستزادة، وزعمك أنك قد شبعت ورويت، وربما شغلك السجاد والموكيت، والتسوق وتسلق «حفيت»، وقواك هذا دليل عليك:

أما العلومُ فقد ظفرتُ ببيغيتي منها فما أحتاج أن أتعلما!

قال : سامحك الله يا أبا الفتح، لو عرفت ما عندي لما لمتني، ولصدقت قولي!

قلت : وما عندك؟ هب أن عندك كتب بغداد التي غرّقها التتار الأوغاد، أو أن عندك خزائن النعمان، ودفائن اليونان، أو أن عندك مكتبة الكونجرس وحيل بطرس[٦].

قال : عندي جهاز يدesh الرائي واللامس يقال له «الفاكس»!

قلت : الفاكس .. وما الفاكس يا أبا إسماعيل؟ قال : قم فعابنه ثم أحذرك عنه. فلما عاينته وتأملته خامرني العجب وخلطت الوافر بالخبأ، ثم شرع الطغرائي يشرح، والزهو في عينيه يطفح: اعلم أبا الفتح أن الفاكس يرسل المعلومة المكتوبة على الورقة المطلوبة من إصفهان إلى جهاز آخر في تطوان، فتصل كالبرق في ثوان دون تدخل جان بخط منشئها الفنان! وأن له مجموعة مفاتيح للتشغيل

قال : هيه ، أبا الفتح ، فما تقول في سرعتي
وعبوري ، حين يغمر الأحبة بحبوره ؟

قلت :

الفكسُ أسرع من بريد طائر
والشوقُ أسرع منهما وأجلُّ
وتحنُّ أكباد الأحبة لهفة
للقاك والفكسُ السريعُ يدلُّ
كم من أخ لك لو عرفت حنينه
لعلمت أن هوى المحب مُبدلُ
وترى رفيق الشوق طار مجنحاً

عبر الفضاء وفي القلوب يحلُّ [١٠]

قال : هيه أبا الفتح ، فاسمعني من جواهر نثر
وروائع شعرك لأرسلها عبر الفاكس عسى أن تنفع
المخالف والمعاكس ، والمغرور والمشاكس .

قلت :

زيادة المرء في دنياه نقصانُ
وربحه غير محض الخير خسرانُ
أحسنُ إلى الناس تستعبد قلوبهم
فطالما استعبد الإنسان إحسانُ
وأشد يدبك بحبل الله معتصماً
فإنه الركنُ إنْ خانتك أركانُ
من جاد بالمال الناس قاطبة
إليه والمال للإنسان فتانُ
والناس أعوان منْ واتته دولتهُ
وهم عليه إذا عادته أعوانُ [١١]!

يا أبا إسماعيل ، منْ أصلح فاسده أرغم حاسده ،

قلت : وهل استعمل العرب الناسوخ في دفع
ستالين المسوخ ؟

قال : بل استخدمه بعضهم في رسائل الغرام ،
ووسائل الأكل والنام حتى أعلنوا لعدوهم
الاستسلام ، ووسموا المقاومة بالإرهاب ، وعدوا
الإصلاح من الخراب :

فرح هنا وهناك قام المئتمُّ
شعب ينوحُ وآخر يترنمُ!

قلت : خاب دعاة الذل والهوان ، والفرقة
والخذلان ، فمن استقل برأيه ضل ، ومن أعجب بعقله
زل ، ومن استغنى بماله قل ، ومن استهان بعبده ذل !
قال : حقاً ، يظل الذئب ذئباً وإن لم ياكل غنمك ،
فحاذر ، وحافظ على دينك وقيمك !

قلت : إني أقول ، عبر هذا الفاكس لكل عربيٍّ
غيور :

أخي جـاـوز الظالمون المدي
فحق الجهادُ وحقُ الفدا
فجرّد حسامك من غمده
فليس له بعدُ أن يُغمدا [٨]!

قال : يا أبا الفتح أرايت منافع هذا الناسوخ ،
فلولا ما استطعت أن تخاطب كل حر عربي ، وأنت
جالس في هذا الحي ، فما تقول فيه ، وأنت منْ تفيض
البلاغة منْ فيه ؟
قلت :

لم تر عيني مثله ناسخاً
لكل شيء شاء وشاء
يُبدع في الكتب وفي غيرها
بدائعاً إنْ شاء إنْشاء [٩]!

(٢) الطغرائي: أبو اسماعيل مؤيد الدين الحسين بن علي، كاتب وشاعر، غلب عليه لقب الطغرائي لعمله في دواوين الطغراء، وهي الطرة التي تكتب في أعلى الكتب بالخط الغليظ. قتل سنة ٥١٥هـ بتهمة الزندقة. له لامية العجم، وأهم شروحه شرح الصفدي.

(٣) البيتان للطغرائي. الجذاعة: قطعة من الورق.

(٤) البيتان لكاتب الأحماض من قصيدة في مدينة العين الإماراتية. وحفيت: جبل شاهق في العين حوله العين الفايزة، وحديقة الحيوانات.

(٥) البيت للطغرائي نفسه.

(٦) مكتبة الكونجرس: أكبر وأضخم مكتبة في العالم تحوي ملايين الكتب، ومقرها في مدينة واشنطن بالولايات المتحدة الأمريكية.

بطرس الناسك: ثعلب كبير كان يحرض الصليبيين على شن حرب مقدسة على المسلمين لاستعبادهم والاستيلاء على القدس.

(٧) ستالين: مجرم سفاح حكم الاتحاد السوفيتي بالحديد والنار من ١٩٢٢م - ١٩٥٢م وقتل الملايين من المسلمين ومن شعبه، وكان شيوعياً متعقياً.

(٨) البيتان للشاعر المصري علي محمود طه.

(٩) البيتان لأبي الفتح البُستي نفسه في مدح كاتب وكتابه.

(١٠) الأبيات للأديب الشاعر د. عدنان النحوي من ديوانه «عبر وعبرات». هيه: كلمة استحسان بمعنى استمر ومتعاً.

(١١) الأبيات لأبي الفتح البستي من قصيدته النونية المشهورة.

(١٢) من الحكم التثرية لأبي الفتح البستي نفسه.

(١٣) الشفري: أحد صعاكك العرب في الجاهلية، له لامية العرب ومطلعها:

أقيموا بني أمي صدور مطيكم

فإنني إلى قوم سواكم لأميلُ

(١٤) البيت هو مطلع لامية العجم للطغرائي وأصله: أصالة الرأي.

ومن أطاع غضبه أضاع أدبه، والخيبة تهتك الهيبة، وحدَّ العفاف الرضا بالكفاف[١٢]!

قال: سلمت وغنمت، ولكنك لم تسألني عما قلتُ في الناسوخ!

قلت: شغلتنني بشرك وأسلتلك، وكرم ضيافتك وسعة صدرك، وطيب اجتماعك، وحسن استماعك، فما قلت فيه يا أبا إسماعيل وأنت الأديب النحرير؟!

قال: ساعني أن يخض الشنفري وحوشه الصحراوية بلامية العرب، وأن يمتدحها بقوله:

همُ الأهل لا مستودع السرِّ ذائعُ

لديهم ولا الجاني بما جرَّ يخذلُ[١٣]!

ولعمري إن الفاكس أجدى نفعا وأعظم أثرا، وهو مستودع السرِّ وذاكرة العلم والبر، فخصصته بقصيدة ذاتعة الصيت وسميتها بلامية العجم جعلتُ مطلعاً:

أصالة «الفكس» صاننتني عن الخطل

وحلية الفضل زاننتني لدى العطل[١٤]!

فهذا الجهاز يا أبا الفتح، هو بُغيّتي التي ظفرتُ بها، فما أحتاج أن أعلم، فهل عليّ لوم بعد اليوم؟!

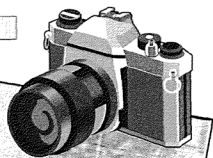
قال أبو الفتح: ثم ناولني أبو اسماعيل شرح الصفدي على لاميته الفراء، فإذا عنوانه بخط الطغراء:

اللوح العاكس في بوح الفاكس!

الهوامش:

(١) أبو الفتح البُستي: علي بن محمد، كاتب وشاعر كبير، كان ينظم بالعربية والفارسية، اتخذته أمير بست كاتباً له، وله حكم طريفة. ت ٤٠١هـ.

شارع تدمر مياه الفيضان قرب مدينة لرسن



الفيضانات

تهدد الحياة وتدمر الأبنية

وجدى ابو الريحة
- لندن -

تحقيق
مصور

تعرف الفيضانات بارتفاع منسوب المياه نتيجة لهطول الأمطار الغزيرة، وذوبان الثلوج المتجمعة فوق قمم الجبال أو من جراء هبوب العواصف الرعدية - (Thun- derstorms) المصحوبة بأمطار كثيفة في وقت قصير وبكميات هائلة بحيث تغطي المساحة اليابسة.



فيضان نهر فالتافا في مدينة براك

الانحباس الحراري (Green House) التي سببها انبعاث الغازات وبخاصة غاز ثاني اوكسيد الكربون بغض النظر عن مصادر الانبعاث، حيث تقوم جزيئات الهواء بالاحتفاظ بهذه الغازات وانحباسها تحت الغلاف الجوي مما تؤثر على دورة المياه في الطبيعة (Cycle Natural Bio-logical)، كما أن ظاهرة قطع أشجار الغابات (Deforestation) التي تؤثر سلباً على التأثيرات المناخية لأن للأشجار دوراً مهماً في امتصاص غاز ثاني اوكسيد الكربون لاستعماله في عملية التركيب الضوئي وطرح غاز الأوكسجين وعدم امتصاصه يؤدي الى وجود فائض في غاز ثاني اوكسيد الكربون في الجو، كما أن عدم وجود الأشجار يزيد من نسبة الرطوبة في الجو لعدم امتصاص جذورها الماء الزائد. مما يساعد في حدوث عملية الانحباس الحراري، وهذا يسبب اضطراباً غير طبيعي في هطول الأمطار وذوبان الثلوج ومن ثم ارتفاع منسوب المياه في الأنهار.

تعد الفيضانات من أخطر الكوارث الطبيعية بعد الحرائق التي تهدد الحياة وتدمر الأبنية، حيث تشير الاحصائيات الواردة من المعهد الملكي البريطاني ان حجم الدمار الذي لحق بالملكيات في الفترة ١٨٢٤/ ٢٠٠٠م يقدر بالبلايين بالإضافة الى آلاف الضحايا. وخير دليل ما يحصل اليوم في فيضان نهر الألب بمدينة درسدن (ألمانيا) وسلوفاكيا، ونهر فلتافا بمنطقة تشيسكي كروملوف (جمهورية تشيكيا) ونهر الدانوب في كل من المجر والنمسا، حيث سجل ارتفاع منسوب مياه الأنهر المذكوره بحوالي تسعة أمتار، ويذكر ان الرقم القياسي المسجل في فيضان عام ١٨٤٥م بمدينة درسدن بلغ ٧٧ر٨ أمتار، فقد تركت الفيضانات عشرات القتلى والآلاف بدون مأوى إضافة الى تدمير مئات الهكتارات من الأراضي الزراعية والملكيات والأبنية، ومن الجدير بالذكر ان اسوأ الفيضانات التي ذكرها Guinness World Records ما أحدثه فيضان نهري هواي ويانكتسي في شرقي الصين عام ١٩٥٠م حيث دُمر فيه ٨٩٠.٠٠٠ مسكن و٣٥ مليون فدان، وكذلك فيضان غربي الهند في منطقة البنكال في ايلول عام ١٩٧٨م الذي تسبب في تشريد ١٥ مليون شخص عاشوا بدون مأوى.

يعد عمل الانسان Man Made من العوامل المساعدة متعمداً ام غير متعمد بصورة مباشرة أو غير مباشرة في حدوث مثل هذه الكارثة، فظاهرة

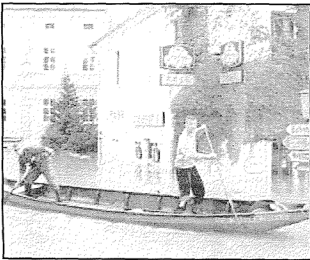
في السد كما حدث في سد مأرب في اليمن وحسب ما نقله الشيخ كمال الدين الدميري في كتابه حياة الحيوان الجزء الأول وكما اشار اليه (نزيه مؤيد العظيم في كتابه رحلة في البلاد العربية السعيدة - سبأ ومأرب ج ١، ج ٢) .

ان ظهور الجردان حول السد وثقيها فيه ثقوباً لسكانها أدى الى احداث فجوات فعند مجيء السيل دخل الماء في الفجوات وقلع السد . ومن الجدير بالذكر أن أول فيضان حصل على وجه الكرة الأرضية قبل أكثر من ٧٦٠٠ عام هو فيضان نبي الله نوح عليه السلام (Noahs Flood) وقد اختلف علماء الجيولوجيا بأن الفيضان شمل جميع الأرض أو قسماً منها، وقد ذكرها القرآن الكريم والتوراة كما ذكرتها الأساطير الهندية (قصص الأنبياء لعبد الوهاب التجار) . عندما يئس نوح عليه السلام من هداية قومه بعد ٩٥٠ سنة من التبليغ دعا

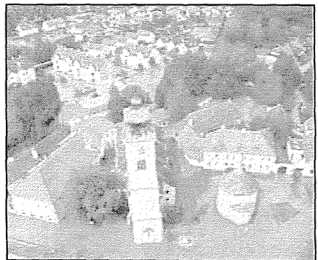
إن لكثرة الأبنية من ناطحات السحاب وغيرها شأنًا كبيراً في تسليط أحمال ثابتة Dead Load وأحمال متحركة Life Load بالأطنان، حيث تؤدي الى هبوط التربة (Settlement) في المناطق المشيدة عليها الأبنية، وهذا يؤدي الى غطس اليابسة تدريجياً في المسطحات المائية .

وقد يكون لانهايار السدود لسبب ما، كضعف في التصميم (Poor Design) كما حدث في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٨٨٩م وعام ١٩٧٢م وفي الهند عام ١٩٦٧م أو نتيجة لكميات المياه التي تفوق سعة السد كما حدث في إيطاليا عام ١٩٦٢م حسب ما ذكره كتاب World Disasters Flood للكاتب Brian، وكما يحدث اليوم عند انهيار سد على طول ٥٠٠م على نهر (مولدي) أحد روافد نهر الألب .

وقد يعزى انهيار السدود الى حدوث فجوات

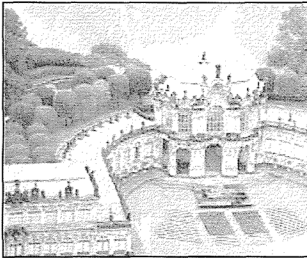


مطعم صيني تبتلعه المياه في مدينة ميكا النمساوية



فيضان كامب فالي شمال شرق فينا

أخذ جميع المواصفات الهندسية في موقع الانشاء حتى تستطيع هذه الخزانات خزنها والاستفادة منها في مواسم الجفاف. كما أن بناء أسوار حول البنايات أو بناء جدران للنهر وهي الطريقة الأكثر اقتصادا كالجدران المبنية على جانبي نهر المسيسيبي في جنوبي الولايات المتحدة الأمريكية، أو وضع اكياس من الرمل على امتداد السواحل المعرضة للفيضانات، والتكثيف من عمليات التشجير التي تحد من ظاهرة الانحباس الحراري وعدم قطع الأشجار. وقد ابتدع اليابانيون طريقة بسيطة جداً في تقليل نسبة الثلوج حيث تعبأ الثلوج المأخوذة من قمم الجبال بأكياس وتوضع في غرف خاصة بدرجة حرارة ٨ درجة مئوية للاستفادة منها في فصل الصيف حيث يمر تيار هوائي في الغرفة ليخرج من الجهة الأخرى باردا وبهذه الطريقة يمكن تقليل نسبة الثلوج في الشتاء وعدم الحاجة الى المبردات في الصيف.



الفيضان يغطي محيط قلعة زوينكر نتيجة فيضان نهر الالب

ربه فاستجاب وغضب عليهم وأمره بصنع السفينة (Noahs Ark)، فانفجرت العيون وهطلت الأمطار اربعين يوماً واربعين ليلة واستمر الفيضان لمدة ١٥٠ يوماً (The Bible Chronicle By Derek Williams) حيث غطت المياه الجبال الشامخة وقضت على الحياة والممتلكات عدا من كان في السفينة، وبعد أن انقضت المدة جف الماء (وقيل ياً أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقُضي الأمر واستوت على الجودي) (سورة هود/٤٤) واستقرت على جبل الجودي (أرارات) في الجزيرة العربية.

وللوقاية من الفيضانات يجب إعادة تنظيم شبكات المياه والمجاري في المدن حسب المواصفات الهندسية المتبعة في هذا المضمار وإنشاء قنوات تصب مباشرة بالأنهار القريبة وعدم ترك المياه سائبة في موسم الفيضان، بناء السدود على الأنهار المتصلة بخزانات مياه كبيرة (Reservoirs) مع



فيضان في مدينة فيارجيو الايطالية



رحلة في الذاكرة

الدكتور محمد جاد البنا أديب وناقد

لم أستطع أن أقاوم مشاعر الحزن العميق وأنا أسير في جنازته، فقد كان الموقف بالنسبة إليّ أكبر من أن يحتمل، إذ كان صديقي وتلميذي معاً، يجمع إلى غزارة العلم ورسالة الخلق، وقلماً يجتمع العلم والخلق معاً في مستوى مشرف لائق، كان يبسط يده بالخير لكل من يرحوه في شيء يستطيع أن يقوم به، وكم عاد بالنفع على أناس لا يعرفهم من قبل، وقد سعوا إليه أملين، فكان مبعث الفرحة لنفوسهم، والبسمة لشفاههم، ولم أكن أعرفه قبل أن يحضر إلى مكتبة كلية اللغة العربية، وهو مدرس بمعهد المنصورة الثانوي في مسألة علمية محببة. إذ تحدث في هدوء فأعلن أن كمال الدين محمد بن موسى الدميري المتوفى في أوائل القرن التاسع الهجري من قريته الصغيرة (دميرة) وقد أحسن أنه مطالب بالحديث عنه والتاريخ لحياته، وهو يرجو أن أدله على المراجع الوافيه ليكتب عنه بإفاضة وإشباع.

الكبرى أشهر كتاب في حياة الحيوان بعد كتاب الجاحظ. وقد نشأ بالقاهرة حيث انتقلت أسرته إلى العاصمة، ودرس على فحول العلماء بالأزهر الشريف، وتنقل راحلاً إلى بلاد أخرى من بلاد الإسلام، ونبغ في الفقه وأصوله، وفي الحديث والتفسير والعربية والأدب، وتصدر للإفتاء والإقراء وأخرج كتباً كثيرة في فنون شتى، ولكنه اشتهر بكتاب (حياة الحيوان) إذ كان نمطاً غريباً في باب، بالنسبة إلى مؤلفات علماء عصره.

قلت وإذا كنت تعرف ذلك فماذا أقول؟ قال أرجوك ألا تصد رجائي، فقلت له إني أعرف أن له ترجمة موجزة: في المجلد الرابع من كتاب (عصر سلاطين

كان المطلب من الأشياء النادرة بالنسبة لرواد المكتب، فآكثرهم يتحدث في كل شيء، إلا أن يسأل عن عالم قديم تُعرف نسبته إلى قريته ويريد إحياء ذكره، فنظرت إليه في سودة وقلت له وماذا تعرف موجزاً عن هذا البحاث العالم؟ وأنا من محافظة الدقهلية التي



د. محمد جاد البنا

ينتمي إليها، فحديثه إذن يهمني كما يهمني، وإن لم أكن من قريته الصغيرة التي انتسب إليها. قال في أدب: هو كما تعلم مؤلف حياة الحيوان



بقلم: أ. د. محمد رجب البيومي

عضو مجمع البحوث الإسلامية - مصر

وقد انقطعتُ لسبب لا يدريه، فهو إذن يرجو أن أعود إليها من جديد، وحبذا لو عملتُ على أن أنشر مقالين في الشهر الواحد على الأقل لأنَّ المجلة أسبوعية؛ وإنْ فقد انتقل الأستاذ محمد جاد البنا إلى الرياض وترك المنصورة، وهو جدير بما أسند إليه من نشاط علمي وصحفي، وقد لبّيتُ مطلبه فعاودت النشر بالدعوة في ارتياح.

وفي الأيام التي يتقدم فيها الطلاب إلى الدراسات العليا بالكلية، حضر إليّ مدرس بالمعاهد الأزهرية، راجياً أن ينتسب إلى الدراسات العليا، حيث يؤهله تقديره العلمي للاتحاق بهذه الدراسة، وقال في حديثه إنه زميل للأستاذ محمد جاد البنا، تخرجاً معاً وبناً تقديرًا علمياً مشرقاً، ولو كان بالمنصورة لبادر بالاتحاق؛ وكان حديث الزميل مبعث تفكير عندي، حيث قلت في نفسي إن مواهب البنا ممتازة، وهو جدير بأن تتاح له فرصة الدراسة العليا، والدراسات العليا لا تتطلب الحضور الدائم، فعليه أن يعرف المنهج، ويجمع المراجع، ويقرأ في مهجره ما يقرأ، وله شهران طويلاً يتمتع فيهما بإجازة تكفي لأعمال الامتحان، وقد يسمح أصدقاؤه في المجلة بمدة أخرى لمراجعة سير الدراسة، ثم استخرت الله وكتبت له.

وفي الإجازة المقبلة حضر البنا، ومعه فيض من نتاجه الأدبي في صحف الرياض المختلفة، مع مجموعتين من القصص الأدبية نشرهما بالملكة، وقد قرأت ما قدّم إليّ من هذا الفيض الأدبي، فعرفت أنه متعدد المواهب يكتب في التاريخ والنقد والسياسة، كما ظهر احتفاء الأوساط الأدبية هناك بآثاره، وفي حديثه معي حمل لي السلام من أصدقاء عزاز كنت أعمل معهم في الرياض من قبل، وعرفت أنه صار صديقهم جميعاً، وقد حدثني عن النوات الأدبية بدور الصحف هناك حديثاً طيباً، فعرفت أنه صار نجماً بهذه النوات، وسألت عن الشهاب المنصوري الذي وعدني بالبحث عن شعره فابتنس، وقال: وما تشاؤون إلا أن يشاء الله، لقد

المالك) للدكتور محمود رزق سليم، ومن عادته في التأليف أن يقرن كل ترجمة موجزة أو مطولة بذكر مراجعها العلمية التي تتحدث عنه، والكتاب في منزلي، فإذا تفضلت بزيارتي قدمت لك ما تريده ووصفت له المنزل، وحددت ساعة اللقاء مساء اليوم، فحضر مغتبطاً، وهبأت الكتاب فنقل من المراجع كتاب الضوء اللامع للسخاوي، وحسن المحاضرة للسيوطي، وشذرت الذهب لابن العماد وتاريخ أدب اللغة لجرجي زيدان، وخرج مسروراً لتكون الزيارة بدء صداقة أخذت تنمو وتردهر.

وبعد قرابة ثلاثة أشهر، حضر إليّ ومعه عدنان من مجلة الأزهر وبهما ترجمة حافلة للدميري، وقال إنه قرأها في المسجد على نفر من أهل العلم في قريته ليعلموا أن القرية التي أنجبت الأديب الكبير الأستاذ أحمد حسن الزيات في العصر الحديث قد أنجبت صاحب حياة الحيوان في القديم، ولعلها تنجب من بينكم من يشابه هذين العلمين في مستقبلها القريب. وامتد بنا الحديث فسألت هل أنت الآن تسكن في القرية أو في المنصورة مقر عملك؟ فقال: أسكن في المنصورة، فقلت: عليك إذن أن تبحث عن حياة عالم شاعر معاصر للدميري من أبناء المنصورة، وهو شهاب الدين المنصوري وله ديوان مخطوط بدار الكتب المصرية لتلقى للمدينة كما وقبت للقرية، فقال: والله إنني لأستشعر الآن رغبة في البحث الدائب عنه! ولعلّي أوفق إلى عمل شيء!.

مضت شهور ولم أر صاحبي، ثم جأتنى رسالة رقيقة من الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية، لأن عندنا في مصر عدة بلاد تحمل أسماء الرياض، هذه الرسالة من صاحبي تنبئ أنه يعمل محرراً بمجلة الدعوة، وقد أشار عليه الأستاذ الفاضل رئيس التحرير أن يكتب إلى من يعرف في مصر كي يوافي المجلة ببعض المقالات الملائمة. كما ذكر رئيس التحرير أني كنت أكتب في الدعوة في السنوات الأولى من إنشائها،

محامياً لا قاضياً، فرد في أدب، إنه يحامي عن اقتناع تام، إذ ليس له مصلحة ما في الانحياز إلى زكي مبارك أو سواه! وقد سارع بطبع الرسالة في دار نشر ممتازة، وعهد إليّ أن أتولى تقديمها، فقلت له ساكتب رأيي فيما أخالف فيه، لأن المقدمة منسوبة إليّ لا إليك، فقال وهذا ما أرحب به، وظهرت الرسالة مطبوعة مجلدة في مظهر فاخر حقاً، وبها المقدمة التي وعّت أوجه الخلاف، كما أثنت ثناء صادقاً على نواحي الجد والطرافة، وأحمد الله أن صارت رسالة الماجستير هذه مرجعاً أول لرسائل أخرى كتبت عن الدكتور زكي مبارك، فسدت فراغا كان يتحتم أن يسد، وتحدثت عنها الصحف الأدبية حديث المقدّر الشكور.

وجاء دور الدكتوراه، فتقدم إليّ يتسأل عن موضوع البحث الذي أقترحه، فقلت ذلك لك، فقد يكون الموضوع الذي أختاره لا يجد من اطلعك أو اهتمامك ما يجده موضوع شغلت بإعداده، ولأحت لعينك خطواته، ومن أخطاء الدارسين في الجامعات أن الباحث الناشئ يكون غفلاً عن موضوع ما، ويختار له المشرف موضوعاً بعيداً عن آفاقه الذهنية فيظلل يتعثر في إعداده، وقد تضيي سنوات عدة فيضيي به ذرعا وينتقل الى سواه، لذلك كان من الأزم الأوجب أن يكون الموضوع نتيجة جهد للباحث، وموضع رغبة أكيدة من نفسه، وقد قال البنا إنه كتب من قبل عدة فصول مخطوطة عن القصة الأدبية في السيرة النبوية، حيث اهتم بدراسة كتب في هذا المجال مثل على هامش السيرة للدكتور طه حسين، وضيف الرسول لإبراهيم رمزي، وسيد قريش لمعروف الإنراوط وصور إسلامية لعبد الحميد المشهدي، وله عن كل قصة تصور خاص، ولم أكن أعلم شيئاً عن قصة (سيد قريش) للكاتب السوري الكبير الأستاذ معروف الأنراوط وهو من أصحاب الأقلام الزائفة ذات البريق البياني الأخاذ، والتصوير الخيالي الرفيع، فقلت له: أريد أن أقرأ ما كتبت عن قصة الأستاذ معروف لأطمئن على اتجاهك العلمي، فخرج ليعود بعد ساعات بما كتب، وقد قرأته قراءة الفاحص المستمتع، فعز عليّ أن تحجب أمثال هذه البحوث الجيدة عن القراء، وبادرت بالموافقة على الموضوع على أن يعود الى ما كتب فيستوفى المنهج

عزمت فعلاً على دراسة شعره، ولكن البعثة للرياض قد أرجأت ذلك، والأيام مقبلة بإذن الله. وقد تمّ التحاق البنا بالدراسات، وكان من المشرف حقاً أنه أخذ النهايات في مواد الامتحان على بعده ففاق غيره ممن ينتظمون دون انقطاع، ولم أستغرب ذلك فأننا أعرف معدته العلمي، وأعلم أنه جاد مثابر، ولا بد أن يتفوق!

وحين تقدم للماجستير رجاني في أدب متواضع أن أتولى الإشراف عليه، قلت له إن بالكلية أساتذة فضلاء، وكلهم جدير بالإشراف المثمر، فقال إنه اختار معارك زكي مبارك الأدبية، مجالاً للدراسة ولي كتابات عنها، ولا بد أنني سافقيه، وقد رحبت بالموضوع حين أعلمني به، ولكنني أشفق على الباحث، إذ أن حياة زكي مبارك كلها معارك أدبية، وستقذف به في بحر لجي، وخاطبته في ذلك، فقال ذلك أعون على البحث لأن المبحوث إذا كان متعدد النشاط وافر الإنتاج أسعد باحثه، وهما له المادة الوفيرة دون جهد كبير ثم قدم لي أوراقاً تحمل رموس الموضوعات التي جعلها ميدان البحث، مع سرد لمراجع كثيرة بعضها في صحف متفرقة لم تجمع موادها بعد، فقلت ومن أين ستصل الى الدوريات المصرية وأنت بعملك مشغول؟ فقال: إن دائرة الملك فيصل بالرياض تجمع أكثر الدوريات، وأكاد أقول إن بها أكثر مما بمكتبات مصر! فسرنى كثيراً أن أسمع ذلك! وما كادت شهور تنتهي، حتى حضر من سفره ومعه ما يقرب من مائتي صفحة كتبها، وقال إنه حضر من أجلها، لأنظر في منهجه وطريقة سيره، وأن عليه أن يكتب مائتي صفحة أخرى يتم بها العمل الأدبي! وسبقي أسبوعين فحسب.

لذلك بادرت بقراءة ما قدّم، فعرفت عرفانا تاماً أن عهده بزكي مبارك قديم، لأن هذه الحقائق الكثيرة لن تتجمع في أشهر معدودات، وأسعدني أن أجد ما أحب من سلامة العرض، وصواب النتائج، وقد اختلفت معه في تقدير بعض المعارك، فعرضت وجهة نظري راجياً الا يأخذ بها إذا كان لديه ما يدفعها، فلكل مسألة أكثر من وجه، ولن يكون أحداً مصيباً إصابة تامة في استنباطه، فسعد كثيراً بما سمع مني، وصمم على أن يتمسك بوجهات نظره، وقد قبلت ذلك مرحباً، ولكنني قررت في جلسة النقاش أنه كان في بعض الأحيان

بمعتقل، والطبيعة من حولها تذكرنا بقول حافظ
ابراهيم في كرامة ابن هاني.

حمى يتهدى النيل تحت ظلاله تهادى ضوء في رداء مجزّع

وقد بدا له أن يكتب بحثاً كبيراً عن مواطنه الكبير
الأستاذ احمد حسن الزيات. لأنه ذو صلة حميمة به،
فأعد كتاباً جيداً، قرأت بعض فصوله، وهي تهيا للطبع،
وأضاف إليه ما لا يعرفه الناس من رسائل أخوية
خاصة كتبها الزيات لصديق له في القرية أثناء إقامته
في العراق، وقبل السفر أيضاً، واستطاع الباحث أن
يجدها لدى أسرة الصديق ففرح بها فرحاً زائداً،
وحفظ لها مكانها الكريم في دراسته، كما أسهم في
احتفال الدقهلية بذكرى الزيات فأعد كتاباً حافلاً يحمل
الطابع الصحفي لتوزعه المحافظة على المحتفلين أثناء
الاحتفال، وقد بذل في الكتابين معا من الجهد ما ترك
للزيات حديثاً جديداً ميمراً ما عرفه الناس عنه في
عمره السعيد، وأنا من تلاميذ الزيات وقد عاشرتة
معاشرة طيبة عادت علي بالخير العلمي الخال، وعرفت
الكثير من مواقفه، وكتبت عنه كتاباً تحت عنوان (أحمد
حسن الزيات بين البلاغة والنقد) ولكني مع ذلك رأيت
فيما كتب البنا عن الرجل ما لم أعرفه من قبل، وحدثته
بذلك فقال: هذا تواضع، قلت ولكن من كان يعرف
رسائل الزيات؟ ومن كان يعرف صلاته الشخصية
بمواطنيه وذوي قرباه؟

ثم حان الوداع، إذ فوجيء الباحث الناهض
بمرض لم يمهله، وكنت بعيداً عن المنصورة أثناء هذا
المرض، فصرت أتحدث معه على فراش الألم، وفي
الأيام الأخيرة لاحظت أن ولده هو الذي يرد علي، وفي
صوته من دلائل الشجن ما ينذر بهول قادم، فتركت
القاهرة عاجلاً الى المنصورة لأحظى برؤيته، ولكن أجل
الله إذا جاء لا يؤخر فتلقيت النبأ الفاجع مع وصولي
مباشرة، وبكيت ما بكيت مرددا قول القائل:

أتت وحياض الموت بيني وبينها
وجادت بوصول حين لا ينفع الوصل

الأكاديمي من إثبات المراجع، ومناقشة ما يحتاج الى
نقاش فكري في حيدة تامة لا تعرف الانحياز، مع
فصل ختامي للموازنة بين الكاتبين، وإيضاح جهات
الاتفاق والاختلاف تعبيراً وتصويراً وابتكاراً والتزاماً
بالواقع الحقيقي للسيرة المطهرة، أو نقد للخروج عنه،
وفي أقل من عام كانت الرسالة كائناً حياً ينتظر
المناقشة ولن تكون إلا بعد فوات المدة المقررة للدراسة
وأقلها عامان، مرا على الباحث وكائنها دهر طويل،
لأنه فرغ من الإعداد في ثلاثة أشهر، وقد نوقشت
الرسالة في حفل أدبي دعا إليه نقرأ من أصدقائه في
المملكة العربية السعودية، فهرعوا مشوقين الى حضور
مناقشته، وهو وفاء كريم أعهد في جماعة من
الأصدقاء يرون من حق الصديق الأدبي أن يشهدوا
عرسه الأدبي في مكانه المحدد، قرب أم بعد.

وفي اليوم التالي أقام الأستاذ البنا حفلاً لأصدقائه
الضيوف في منزله، وألقيت كلمات تحمل طابع الود،
وقد حفظ ذلك كله في شريط تاريخي أتمنى لو
استمعت إليه مرة ثانية، ولعل لا يزال محفوظاً لدى
أسرته الكريمة، وكان الله شاء أن يعوضه خيراً على
جهاده السابق في دنيا الكد والتعب، فظهر إعلان
جامعي يطلب أعضاء للتدريس في قسم الأدب والنقد
فتزاحم النظراء تزامحاً شديداً، وكانت رسالات
الدكتوراه موضع الترجيح، فاختر البنا مدرساً بكلية
الدراسات العربية والإسلامية للبنات بالمنصورة، وهي
إحدى كليات الأزهر الشريف، فأنهى عمله بالقطر
الشقيق، وبدأ مرحلة جديدة من حياته!

كانت آماله الأدبية أكبر من أن تحد، فقد عكف
على إعداد بحوث أدبية عن كبار أدباء العصر لتكون
مجال الترقية المنتظرة لدرجات التدريس في الجامعة،
وكنّت أنصحها ألا يستمر هكذا مصباحاً في الدراسة
الجامعية وممسبياً في البحث العلمي دون راحة تعود
على جسمه بالاستجمام، فيظهر الموافقة، ولكنه يخلد
إلى مكتبته الخاصة وقد اختارها في مكان بعيد عن
أسرته العزيزة، ليلخو إلى نفسه ساعات متصلة في
العمل الجاد، وكان مكان المكتبة قريباً من النيل، ومن
حوله الشجر الفينان، فحبب الي أن أزوره كثيراً في
جنته الوارفة، وكان يسمها (المعتل الإجباري) وما هي

إعادة النظر في كتابة التاريخ الإسلامي

تفضلت مجلة المنهل مشكورة في العدد ٥٦٩ من شهر رجب ١٤٢١هـ بنشر مقالتي الموسوم بالسؤال التالي: «ما سبب إعجابنا بالتاريخ الغربي الأوربي؟» وقد تضمن إيراد الأسباب والوقوف عليها، وختمتنا المقال بتساؤل مفاده: كيف يمكننا إعادة النظر في تاريخنا الإسلامي المجيد، الذي سيكون موضوع هذا المقال.

لذلك سوف يكون لنا وقفة مع العوامل التي تسهم في إعادة الأنظار الى التاريخ الإسلامي ومنها:

أولاً: اعتماد المصادر الشرعية

وتقدمها على كل مصدر:

وذلك أن القرآن الكريم كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وقد تكفل الله بحفظه من التحريف أو الزيادة والنقصان (إننا نحن نزلنا الذكر وإننا له لحافظون) [١]، والقرآن الكريم قطعي الثبوت آية آية وكلمة كلمة، ويأتي بعد القرآن الكريم في قوة الثبوت الحديث الشريف، فإن النبي (صلى الله عليه وسلم) - كما أخبر عنه - لا ينطق عن الهوى... وفي الكتاب والسنة ورد كثير من الأخبار التاريخية القديمة كسير الأنبياء ومواقف أقوامهم منهم أو الأخبار المعاصرة لنزول الرسالة الى سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، كما يجب عدم التسليم لكل ما ورد في الكتب السابقة على القرآن فهذه الكتب السماوية السابقة لنزول القرآن الكريم منسوخة

الشرائع والأحكام بهذه الشريعة الخاتمة، أما أخبارها وقصصها فهي مترددة بين الصواب والخطأ لثبوت وقوع التحريف والزيادة والنقص من اليهود والنصارى [٢].

ثانياً: إعادة كتابة بعض

أحداث التاريخ الإسلامي:

إن الدعوة لإعادة كتابة أو عرض وتحليل التاريخ الإسلامي لا تعني بالضرورة البدء من نقطة الصفر أو الرفض المطلق للصحيح التي قدمها مؤرخونا ومحاولة قلب معطياتهم رأساً على عقب ومن يخطر على باله أمر كهذا فهو ليس من العلم في شيء، والمقصود - شيء آخر يختلف بالكلية - منهج (عدل) يتعامل مع معطيات الأجداد بروح علمية مخلصه، فيقبل ما يمكن تقبله، ويرفض ما لا يحتمل القبول، ويقدر عطاء الرواد

بقلم : عبدالله بن ناصر الحديب

الخرج - المملكة العربية السعودية

التاريخ وفلسفاته، وظهور أدوات مؤرخ يجد في نفسه القدرة والرغبة على أن يدلي بدلوه في التعرض لموضوع ما من موضوعات التاريخ، فكتابة التاريخ إذن - تاريخ فرد أو أمة أو عالم - عملية بطبيعتها متجددة، وكذلك التاريخ ليس شيئاً تكتبه جهة واحدة فليس هناك فرد ولا جهة ولا دولة ولا مجموعة دول تحتكر كتابة التاريخ حتى ولو كان تاريخها ٠٠ وأصحاب أي تاريخ يفرحون باهتمام الآخرين بهم فما كان هؤلاء المستشرقين مثلاً ليهتموا بالحضارة الإسلامية وقيموا لها مراكز الأبحاث في جامعاتهم وأقسامها خاصة في متاحفهم لولا أنها حضارة غنية وتاريخها مهم وأنها حلقة جوهرية في التاريخ الإنساني كله[٦].

ثالثاً: تدريس وتدوين التاريخ من وجهة النظر الإسلامية:

نقصد بذلك أولاً أن ننفي كل الافتراءات والتلفيقات التي أقحمت على هذا التاريخ وكذلك التفسيرات الخاطئة والباطلة التي قامت عليها، ثم عرض الوقائع التاريخية - دون تقليد - وكما هي وبكل جوانبها متسلسلة ومكتملة، واعتبار ما وراها من المعاني التي ارتبطت بها وبالأسس التي قامت عليها وفهمها على ضوءها ٠٠ لذا فإنه يصبح عرض التاريخ الإسلامي بصورة صحيحة ضرورة لا مفر منها، ليس

حق قدره، دون أن يثنيه ذلك عن متابعة آخر المعطيات المنهجية والموضوعية التي يطلع علينا بها العصر الحديث، واشدها صرامة، موقف وسط يرفض الاستسلام للرواية القديمة ويأبى إلغاها المجاني من الحساب[٣].

وحول سبب إعادة كتابة التاريخ الإسلامي يقول الدكتور محمد قطب: إذا نظرنا إلى المصادر الإسلامية القديمة التي كتبها المؤرخون المسلمون نجد فيها ذخيرة ضخمة من الأخبار والوقائع والروايات، تصلح زادا للباحث المتعمق، ولكنها - بصورتها الراهنة - لا تصلح للقارئ المتعجل الذي يريد أن يجد الخلاصة الجاهرة، محصنة، سهلة الاستيعاب، سهلة الهضم[٤].

ولابد لنا ونحن ندعو إلى ضرورة التفكير في إعادة كتابة التاريخ من جديد وعرضه عرضاً سليماً للأجيال وتمحيصه بأسلوب علمي هادف، من وضع منهجية سوية وقواعد موضوعية هدفها تقديم الحقيقة في قالب يجمع بين الصواب الذي يعرض، والأسلوب الذي لا يعود على الأمة في مختلف عصورها بالإحباط ويقودها إلى مزيد من الفرقة والتمزق والضياع[٥].

إن التاريخ ليس شيئاً يكتب مرة واحدة ولكنه مادة تكتب مئات المرات، وتعاد كتابتها باستمرار، سواء بسبب ظهور معلومات مستجدة عن أي صفحة من صفحات التاريخ أو بسبب تطور في مذاهب

بين التاريخ السياسي والحضاري، فالجوانب الحضارية يكاد يكون حيزها أقل بكثير من الجوانب السياسية في العديد من المؤلفات وكتب التاريخ الإسلامي، وحول هذا المعنى يقول الدكتور عبد الرحمن الحجى: حتى ليصور للدارس أحيانا بأن تاريخ الإسلام في المدينة المنورة الذى يمثل انتصاره وانطلاقه الى الوجود الواقعي ليس هو إلا تاريخ معارك وحروب، حتى إننا لو حذفنا هذه المعارك لما بقي في الكتاب إلا القليل من صفحاته المكتوبة .. ثم إننا لا نعرف إلا القليل عن نشاطات المسلمين الأخرى في المدينة بعد أن أقاموا المجتمع الجديد وفي المقابل يجب أن تكون دراستنا للتاريخ الإسلامي شاملة، لا تقتصر فقط على مقاطع معينة - كالمعارك مثلا - وإنما تكون دراسة تاريخية على اعتبار أن التاريخ يستوعب بعض - أو كل - جوانب النشاط الإنساني وتراثه الحضاري بالمعنى الشامل[٨].

وقد تكون كتب التاريخ العام قد ظلمت أعلام حضارتنا ولم ترصد حياتهم كما رصدت حياة الحكام والعساكر .. وحتى كتب التاريخ الحضاري، فقد صيغت بطريقة مجملة، فلم تتبع حياة صناع الحضارة بالتفصيل الكافي، وقد نجد ترجمة عالم كبير عاش سبعين سنة، وقدم عشرات الكتب وخرج أجيال عاله مجاهدة صانعة، ترد في مساحة لا تزيد على صفحة أو صفحتين .. وقد تكون المعلومات التى فيها مركزة على النواحي العادية التى يكاد يشترك فيها كل العلماء، دون أن تقدم هذه المعلومات رحلة معاناته، وخلاصة تجاربه، وأبرز آرائه، وإطاره الفكري العام،

فقط لأهميتها ولكن لانطباقها والواقع التاريخي، ولكن هذا العرض لا يمكن أن ينتهياً إلا إذا كان من منطلق إسلامي وبقلم من يقف في المركز الإسلامي يطل على الحياة الإسلامية ويعيش الباحث بكل كيانه في جو الإسلام، وذلك يعني منتهى الإنصاف، والبحث عن الحقيقة رائد هذه النظرة، تقول ما لها وما عليها، فلا يصح مثلاً أن نأخذ تاريخنا بكتابة «جرجي زيدان» أو «فيليب حتى» أو «ساطع الحصري» ولا بأسلوب المبشرين المتعصبين والمستشرقين[٩].

إن كل أمة تحترم نفسها وعقيدتها ولها شخصيتها لا تهمل تاريخها ولا ترضى أي نوع من التعليم أو الأفكار أو الموجهين يشوهون هذا التاريخ ويثيرون الشبهات الباطلة التى لا سند لها من الواقع، بل هي قلب للواقع والحقيقة وليس وراءها إلا العداة والكراهية فلا أقل عن مناقشتها، ونعرض الحقائق الناصعة معه إن لم يكن قبله[٧].

رابعاً: تحقيق التوازن

بين الجوانب السياسية والحضارية:

تكاد تجمع كتب التاريخ الإسلامي قديماً وحديثاً على التركيز على الجانب السياسي والعسكري الذى يتناول بإسهاب أخبار الحروب وما تخلفه وراءها من دماء وأشلاء وهذه الأحداث قد تجعل النفوس لا تقبل على قراءة ودراسة ذلك التاريخ رغم أن هذه الحروب هي في صميم الجهاد الإسلامي الذى كان هدفه الأسمى إعلاء كلمة الله تعالى ونشر الإسلام، لذلك فمن المفترض من المؤرخين - على أقل تقدير - إحداث توازن

**** التاريخ المكتوب الآن يحتاج إلى مراجعة وغربلة ***

**** الفيلم التاريخي لتقوية للتراث ***

**** علماء التاريخ عليهم مراجعة ما كتب بصدق وأمانة ***

دربهم رغبة في تحقيق غايات تكنها قلوبهم المريضة، ومن تلك الشبهات على سبيل المثال لا الحصر أن الإسلام انتشر بحد السيف وأن هدف الجهاد الإسلامي مادي، أو التفسير المادي لأحداث التاريخ الإسلامي، وتشويه الفتوحات الإسلامية بأن المرأة هي سببها وغيرها من تلك الشبهات[١٧].

ومن المفيد جدا إلقاء الضوء على الاتهامات والشبهات التي أثّرت حول التاريخ الإسلامي ومناقشة مصادرها ودوافعها على ضوء الواقع التاريخي الإسلامي، وذلك بعد دراسة وقائع هذا التاريخ ومعرفة حقائقه. وبدون أن تكون هذه الدراسة على أساس اعتزاري توفيق، أي بشعور المدان والشاعر بالنقص. وإذا كان رد

إضافاته العلمية والفكرية بطريقة ترتفع فوق المستوى الإحصائي والبيوجرافي. . . يضاف الى هذا أن الكتب التي عالجت - بحق - تاريخنا الاجتماعي والثقافي والإقتصادي قد اتجه بعضها - على قلته - اتجاهاً متحيزاً بتأثير بعض الضغوط الخارجية فجاء كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني[٩] - مثلاً - تلبية لتوجيه شعوبي وعقدي ضد العرب وضد أهل السنة ولخدمة الحكم البويهى الشيعي الذي كان قد نجح في التسلط على الخلافة العباسية[١٠].

ويؤكد الأستاذ يوسف العظم على ذلك حين قال: « . . كما ركزوا على الحروب والقتال بصورة أكثر من الحديث عنها، حتى إنهم قالوا عن عام لم تقع فيه حروب بأنه عام لم يقع فيه شيء، يذكر، متجاهلين أو غير آبهين بالمعطيات الأخرى في مختلف الحقول»، ويقول في موضع آخر «أورد كثير من المؤلفين - الجانب العسكري - في مصنفاتهم دون سواها . . . ولا بد عند الحديث عن الجانب العسكري من تناول الجهاد هدفاً ووسيلة وأدبا وأساليب وثمرات ونتائج، وإبراز الجوانب الإيجابية المشرقة فيه، مع البعد عن شبهات المغرضين من المستشرقين ودس المزورين[١١].»

خامساً: إيضاح الحقائق وكشف الشبهات وتفنيدها:

لا يختلف اثنان على أن تاريخنا الإسلامي قد نال بعض أحداثه نصيب من التشويه والشبهات التي حيكت من أعداء الإسلام كاليهود والنصارى وبعض المستشرقين وأصحاب الفرق والمذاهب ومن سار على

ما يورثه اليأس ويدعوه الى التكرار لتاريخه المشرق
وتراثه العريق [١٤].

سادسا: التركيز على القصة :

التاريخ سجل لما دُون فيه، فقد أغرقت كتب
التاريخ في سرد المعارك والحروب حتى سئما نزف
الدماء وسفكها عبر سطور وصفحات كتب التاريخ، وكم
ظلم التاريخ كثيرا عندما دون على أنه حروب ومعارك
وقتل واشلاء فقط، فلقد تناسى الكثير من المؤرخين
والكتاب المسلمين القصة التاريخية بما تحويه من عبر
وفوائد ودروس وبما تنطوي عليه من مكارم وفضائل
وما تدعو إليه من مآثر ومناقب وأخلاق، وبما تبينه من
انتصار الخير على الشر، وبما تحذر وترجر به أهل
الشر والظلم، وما ستكون عليه نهايتهم ومآلهم، والقصة
بصفة عامة تحتل مكانة عزيزة في النفوس، وإذا كانت
هذه القصة هي نبت الواقع فستكون أثيرة لدى
القارئ والسامع.

سابعا: دور وسائل الإعلام والاتصال في إعادة الأنظار للتاريخ الإسلامي:

يمثل الإعلام المقروء والمسموع والمرئي عاملا
مهما في إعادة الأنظار الى التاريخ الإسلامي،
فالسحف والمجلات عندما تدون أحداث التاريخ
الإسلامي بكل أمانة وتغند الشبهات التي أحاطت به
فإنها تكسب عدداً من القراء من مختلف شرائح
المجتمع وإذا قدم هذا الأمر عبر الإذاعة والتلفاز كان
وقعه أبلغ.

إن فيلما واحدا بما يجسده عن حقبة تاريخية هو

التهمة ضروريا فلا يجب
أن يشغلنا ذلك عن
العرض المشرق لجوانب
هذا التاريخ والدراسة
الواعية له وهي لابد أن
تسبق المناقشات والردود
على التهم، وربما بهذا
العرض نفسه تتداعى تلك
الشبهات الظالمة [١٢].

وبعد حديث يوسف
العظم عن الجانب
الجهادي أو العسكري
الذي أغرق فيه المؤرخون
أضاف قائلا... وقد جاء
حديثهم عن تلك المعارك
أحيانا تحاملا على حاكم
وتأييدا لآخر وفق موقع
المؤلف ومكانه من الأمير
أو ذاك، والأمر الذي لابد
منه في هذا المجال أن
يحص - ذلك الجانب -
تمحيصا جيدا وأن
يعرض عرضا مشوقا
دون تشويه للحقيقة أو
تغيير للواقع والحدث مع
الحرص على عدم التركيز
على السلبيات وتقديمها
مكثفة للجيل الناشئ
حتى لا يناله من الإحباط

**** الاسلام**

دين

سماحة،

والمسلمون

قادة أمة

أخيار،

ونماذج

رائمة

للتسامح

والتسامي.

**** كثير**

من كتب

التاريخ لا

نجد فيها

الا الحروب

والاقتتال

والدماء.

دار القلم، دمشق، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ص ٢٠٩ و ٢١٠.

(٦) مجلة العربي، عدد ٢٥٦، ربيع الثاني ١٤٠٠هـ مارس ١٩٨٠م، «مقال حول إعادة كتابة التاريخ متى وأين ومن ولماذا؟» بقلم أحمد بهاء الدين.

(*) إن معرفة تراجم المؤرخين سواء القدماء منهم والمحدثين يوضح بجلاء أهدافهم ومذاهبهم ومعتقدهم وميولهم أيضا لذلك فعلى القارئ أن يكون عارفاً بذلك حتى لا يكون صيدا سهلا لكل ما يكتبون.

(٧) د. عبد الرحمن على الحجي، نظرات في التاريخ الإسلامي، دار الاعتصام، ط ٢، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م، ص ١٠٤.

(٨) المرجع السابق، ص ٤٩ و ٥٠.

(٩) تعد مؤلفات أبو الفرج - مع قدر من التحفظات - أكثر مؤلفات رصدت الحصيلة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية للأمة الإسلامية في عصره، وحسبنا أن نذكر مؤلفات - غير الأغاني - لنعرف كيف أنه تطرق إلى موضوعات كثيرة غير التاريخ السياسي فمن مؤلفاته مقاتل الطالبين، وكتاب الممالك الشعراء وكتاب الأدباء، وكتاب أدب السماع، وكتاب أخبار الطفيليين، وكتاب مجموع الأخبار والآثار، وكتاب جمهرة النسب وغيرها.

(١٠) مجلة البعث الإسلامي، العدد الأول، المجلد ٣٥، رمضان ١٤١٠هـ أبريل ١٩٩٠م، مؤسسة الصحافة والنشر، مقال بعنوان «المجتمع الإسلامي عبر التاريخ في الطريق لكتابة تاريخنا الحضاري» بقلم: د. عبد الحليم عويس.

(١١) يوسف العظم، مرجع سبق ذكره، ص ٢١٠.

(١٢) انظر مقالنا بعنوان «هل كانت المرأة سببا في الفتوحات الإسلامية» المجلة العربية، العدد ١٩٥، شهر ربيع الآخر ١٤١٤هـ، سبتمبر، أكتوبر ١٩٩٣م.

(١٣) د. عبد الرحمن الحجي، مرجع سابق الذكر، ١١٨ - ١٢٠.

(١٤) يوسف العظم، مرجع سابق الذكر، ٢٠٩ - ٢١٠.

(١٥) مجلة العربي، عدد ٢٥٦، ربيع الثاني ١٤٠٠هـ - مارس ١٩٨٠م.

الذي يلصق بالذهن ويمحو عن الذاكرة أثر مئة كتاب، فما بالنا وهو يتجه لملايين لا تقرأ الكتب وليس لديها صناعة المعلومات السابقة أو قدرة إدراك الخطأ والتحريف؟! وجه الممثل الذي يقوم بالدور يلتصق في الذهن العام... الثياب... القصص والجدران وصور المارك... كلها تلتصق صورها في ذهن الجمهور... وكل ذلك بنظرة المخرج ورؤية الكاتب وتصورات والله أعلم بمدى قربها أو بعدها عن الحقيقة. ولكن هذا هو ما يستقر في الذهن ويمحو سواه، وأعظم كتاب تاريخ يقرؤه العدد المحدود من القراء، في حين أن الفيلم يراه الملايين[١٥].

وكذلك الحال بالنسبة لوسيلة الاتصال الجديدة «الانترنت» تلك الشبكة العنكبوتية التي أصبحت تنازع التلفاز على جمهوره والتي أصبحت تصل إلى كل أرجاء العالم بيسر وسهولة وتدخل كل بيت بدون استئذان، فعندما نخضع على هذه الشبكة مواقع تقدم تاريخنا الإسلامي بصورته المشقة وتفضع ما يزعمه أعداء تاريخنا فاننا نسهم ولو بجزء يسير في إعادة الأنظار إلى التاريخ الإسلامي.

الهوامش:

(١) سورة الحجر / ٩.

(٢) محمد بن صامل السلمي، كتابة التاريخ الإسلامي وتريسه «رسالة ماجستير»، دار الوفاء، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٨٨م، ص ٢١٧ - ٢٢٤.

(٣) د. عماد الدين خليل، حول إعادة كتابة التاريخ الإسلامي، دار الثقافة، الدوحة، ط ١، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ص ١٣٧ و ١٣٨.

(٤) د. محمد قطب، كيف نكتب التاريخ الإسلامي، دار الوطن للنشر، الرياض، ١٤١٢هـ، ص ٩.

(٥) يوسف العظم، تاريخنا بين تزوير الأعداء وغفلة الأبناء،



المرأة واللغة

«وليس الذكر كالأنثى»

في المقالات السابقة ركز الدكتور مصطفى عبد الواحد على ان الجامع ما بين الرجل والمرأة أمر تكامل في الوظائف وليس امر اختلاف وتنافر .. وما بينهما ليس أمر حقوق مغتصبة، بل هي اختصاصات في الاداء حسب التكوين لتقوم الحياة على قدمين سوية معافاة ..

وقيل المراد وصلة الإسلام . وهذه جملة معترضة بينت بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد الله عباده العاملين» [٢] .

فالذين يحاولون في عصرنا إثارة الصراع بين الرجال والنساء وادعاء أن المرأة مقهورة مسلوية الحقوق بما في ذلك حقها في اللغة .. وأن اللغة يغلب عليها طابع الذكورة .. كما يزعمون أن المجتمع العربي الإسلامي هو مجتمع «ذكوري» تضعيع فيه ذاتية المرأة وتحرم فيه من التعبير والتفكير . ليسوا مخلصين للمرأة كما أنهم ليسوا مخلصين للرجل . بل يريدون تعميق الهوة وتوسيع الفجوة وزرع بذور الفتنة والاضطراب بحيث تفسد العلاقة بين الرجال والنساء وينظر كل منهما للآخر نظرة حقد وعداوة باعتباره منافساً له ومنافياً لوجوده .

المسألة إذن ليست مفاضلة بين الجنسين ولا صراعاً بين الذكر والأنثى .. فكلاهما من «نفس واحدة» وقد اقتضت حكمة الله سبحانه أن يجعل لكل منهما خصائص تعينه على القيام بما خلق له .. ومن هنا فإن العلاقة بينهما هي علاقة التعاون والتكامل وليست علاقة التنافس والصراع .

كما قال الحق سبحانه: [فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضهم من بعض] [١] .

قال الزمخشري في تفسير قوله تعالى: [بعضكم من بعض]: «أي يجمع ذكوركم وإناثكم أصل واحد فكل واحد منكم من الآخر أي من أصله . أو كأنه منه لفرط اتصالكم واتحادكم .

** العلاقة بين الرجل والمرأة علاقة تع



بقلم: د. مصطفى عبد الواحد

جامعة أم القرى - مكة المكرمة

فلا بد من التسليم بحقيقة الأصل الواحد .. مع التسليم بالتمايز والاختلاف فيما يصلح له كل من هذين النوعين .. أما محاولة إسقاط الفروق بين الذكر والأنثى والزعم بأن التقدم الحضاري يعني التسوية بينهما من كل وجه .. فهذه جناية على الإنسان ذكراً كان أو أنثى.

وجناية على الأسرة والمجتمع تؤدي الى العروج والاختلال .. ولهذا ذكر القرآن الكريم أن امرأة عمران نذرت ما في بطنها ليكون محرراً، أي خالصاً للعبادة مُنقطعاً لها معتكفاً في مكانها .. لكنها فوجئت حين ولدت بأنثى وضعت أنثى، فقالت كما جاء في الكتاب الكريم: [رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى][٦]. أي أن خدمة بيت العبادة تليق بالذكر أكثر مما تليق بالأنثى التي تحتاج الى التسرُّ والتحجب عن أنظار الرجال.

وقد ذكر المفسرون جوانب الاختلاف بين الذكر والأنثى في هذا المجال .. فقال بعضهم: لأن خدمة المسجد تحتاج الى قوة الرجال في ذلك أقوى من النساء .. وقال آخرون: لأن المرأة لا تستطيع القيام على خدمة مكان العبادة والانقطاع فيه لا تبرحه .. فقد يصيبها الحيض فلا تستطيع المكوث في مكان خدمة العبادة ولا ينبغي لامرأة أن تكون مع الرجال[٧].

وكان على هؤلاء أن يرجعوا الى حديث القرآن عن الذكر والأنثى وما بينهما من صلات ووشائج. وما ينبغي أن يكونا عليه من تنوع واختلاف يُفضي الى التعاون والتكامل .. وابتعد عن المغالبة والمنازعة والصراع .. فالذكورة والأنوثة وجهان متقابلان لفطرة الحياة الإنسانية .. ولا يمكن ادعاء التماثل التام بين الجنسين وإن اشتركا في الأصل الواحد والخصائص الإنسانية الواحدة. قال الله سبحانه [وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى][٣]. وقال سبحانه: [ألم يك نطفة من منيٍّ يمئى. ثم كان علقة فخلق فسوئى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى][٤].

وأقسم سبحانه بخلق الذكر والأنثى تعظيماً لهما وتوحيهاً بدلائل القدرة فيهما، فقال عز من قائل: [وما خلق الذكر والأنثى][٥]. فاحتفاظ كل منهما بخصائصه، وتحركه في المجال الذي يصلح له دليل على احترام الفطرة، وإدراك مغزي هذا التنوع في خلق الجنس البشري. ولو شاء الله لجعل الإنسان نوعاً واحداً .. ذكراً كان أو أنثى .. لكن هذا النوع الواحد لا يتحقق معه دوام التكاثر ولا اتصال الأجيال .. ولا تعمر به الأرض ولا يستقيم معه أمر الإنسان.

عاون وتكامل، وليست علاقة تنافس وصراع

** أي

دعوة الى

استقام

السمات

وإزالة

الفروق

وادعاء

التماثل

التام بين

الذكر

والأنثى

تؤدي الى

شقاء

البشر

واضطراب

نظام

الحياة.

ولكن هذه الجملة
القرآنية تقرر حقيقة
تامة لا تقف عند هذه
الفروق التي ذكرها
المفسرون... فليس
الذكر كالأنثى وليست
الأنثى كالذكر...
فإذا حاول أحدهما
أن يكون كالآخر
سواء بسواء...
فسدت الفطرة واختل
النظام...
وقد ذكر «ابن
المنير» في حاشيته
على تفسير الكشاف
أن القياس يقتضي
في هذا التعبير أن
يقال: «وليست الأنثى
كالذكر» لأن مقصود
امرأة عمران فيما
حكاه عنها القرآن
تنقيص الأنثى
بالنسبة للذكر...
والعادة في مثله أن
يُنْفَى عن الناقص
شبهه بالكامل لا
العكس...
فلماذا جاء

التعبير القرآني على غير هذا القياس إذ قال
سبحانه {وليس الذكر كالأنثى} ولم يقل: «وليست
الأنثى كالذكر»؟
وقد أجاب ابن المنير عن هذا التساؤل الذي
أثاره ببيان أن ذلك ليس بلازم - أي أن يُنْفَى عن
الناقص شبهه بالكامل - بدليل قوله تعالى: {يا
نساء النبي لستن كأحد من النساء}[٨] فنفي عن
الكامل شبه الناقص وعلى هذا جاءت عبارة امرأة
عمران...
لكنني أرى أن المقصود في هذه الآية - والله
أعلم - ليس بيان نقص الأنثى وكمال الذكر...
فكلاهما يعتريه النقص بالنسبة الى ما زود به
الآخر... فالأنثى ضعيفة القوي بالنسبة الى الذكر
الذي يتحمل المشقات ويصبر على عناء العمل...
لكن هذه الأنثى الضعيفة نسبياً تقدر على ما لا
يقدر عليه الرجل فيما زودها الله به من خصائص،
فهي تحمل وتلد وترضع وتربي وليدها وتصبر على
رعايته، ولا قِبَل للرجل الأقوى منها بذلك...
وكذلك الرجل يتحمل من الكدح والضرب في
الأرض وقتال الأعداء والصبر على الحر والبرد...
مالا تحتمله المرأة...
فنفي المماثلة بينهما لا يعطي أحدهما الفخر
على الآخر... ومن هنا جاء التعبير القرآني
الحكيم: {وليس الذكر كالأنثى} بدلا من: «وليست
الأنثى كالذكر» ليدل على أن لكل منهما مجالا
يمتاز به عن الآخر ليحدث التعاون والتكامل
بينهما، ولتمضي الحياة في مسيرتها وفق الفطرة
التي فطر الله الناس عليها.

**** التنوع يفضي الى التجويد في الأداء.. ويبتعد عن الحنازة والمغالبة. ** نفي المحاكاة بين الذكر والأنثى لا يعطي أحدهما الفخر على الآخر.**

وإن كان هناك من المفسرين من ذهب الى أن المراد في هذه الآية تفضيل هذه الأنثى - بخصوصها - على الذكر - وهذا هو قول الإمام الشوكاني في تفسيره المسمى «فتح القدير» إذ قال: **[والله أعلم بما وضعت]** أي بسكون تاء التأنيث - ليكون من كلام الله سبحانه وتعالى على جهة التعظيم لما وضعته والتفخيم لشأنه والتخجيل لها، أي لامرأة عمران، حيث وقع منها التحسر والحزن، مع أن هذه الأنثى التي وضعتها سيجعلها الله وابنها آية للعالمين وعبرة للمعتبرين ويختصها بما لم يختص به أحداً.

وقرأ ابن عباس: «بما وضعت» بكسر التاء على أنه خطاب من الله سبحانه لها: أي أنك لا تعلمين قدر هذا الموهوب وما علم الله فيه من الأمور التي تتقاصر عنها الأفهام وتتضافر عندها العقول [٩].

ثم قال: قوله: «وليس الذكر كالأنثى» أي وليس الذكر الذي طلبت كالأنثى التي وضعت فإن غاية ما أرادت من كونه ذكراً أن يكون نذراً خادماً للكنيسة، وأمر هذه الأنثى عظيم وشأنه فخم، وهذه الجملة اعتراضية مبينة كما في الجملة الأولى من تعظيم الموضوع ورفع شأنه وعلو منزلته - واللام في الذكر والأنثى للعهد - هذا على قراءة الجمهور [١٠].

فعلى هذا التفسير يكون الذكر هو الأنقص والأنثى - المخصوصة - هي الأكمل - فينفي عن الناقص شبهه بالأكمل! ومهما كان القول في تفسير الآية فإن أي

الهوامش :

- (١) سورة آل عمران: الآية/ ١٩٥.
- (٢) تفسير الكشاف ٢٣٨/١ (ط المكتبة التجارية بالقاهرة).
- (٣) سورة النجم/ ٤٥.
- (٤) سورة القيامة: الأيتان/ ٣٧ - ٣٩.
- (٥) سورة الليل/ ٢.
- (٦) سورة آل عمران/ ٣٦.
- (٧) يراجع في تلك الأقوال تفسير الطبري ٢٣٨/٢.
- (٨) سورة الأحزاب/ ٣٢.
- (٩) فتح القدير ٣٣٥/١ (ط دار الفكر).
- (١٠) المرجع السابق.

لقاء وحوار مع :

الشاعر الكبير عبد المنعم عواد



عقيل المسكين مع الشاعر الكبير عبد المنعم عواد

الأستاذ الشاعر عبد المنعم عواد
يوسف ، شاعر متميز يملك حساً
إنسانياً شقيقاً رفيعاً.
وشعره يشكل إضافة إبداعية
للشعر المعاصر الحديث، ويتميز
شعره بالتوازن الجاد النبيل بين كثير
من معطيات الأداء الشعري على
الساحة..
يسعدنا ان يكون لنا معه هذا
اللقاء .. وهذا الحوار ..

إضافة

الشاعر/ عبد المنعم عواد يوسف:
- ولد في مدينة (شبين القناطر)
بجمهورية مصر العربية عام ١٩٣١م
- حصل على ليسانس الآداب من
جامعة القاهرة - قسم اللغة العربية
١٩٥٦م
- امتد عطاؤه الشعري عبر عشرة
دواوين بدأها بدواين «عناق الشمس»
سنة ١٩٦٦م الصادر عن المجلس
الأعلى للفنون والآداب، ثم «أغنيات
طائر غريب» ثم «الشيخ نصر الدين
والحب والسلام» و«الحب أغني»
و«الضياع في المدن المزخمة»، وهكذا
غنى الاستبداد» و«تنويعات على الأوتار
الخمسة» و«بينى وبين البحر» و«عيون
الفجر» و«لكم نيلكم ولي نيل» سنة
١٩٩٣م..
- مازال طرحه مستمراً فله ديوان
تحت الطبع بعنوان «المرايا والوجوه»
وديوان للأطفال بعنوان «ساحرة الافق
الشرقية».

اجرى الحوار : عقيل ناجي المسكين - الرياض

فضل كبير في نضج تجربتي الشعرية، بسبب تبادل الخبرات الفنية.. من هؤلاء: من رحل عن عالمنا الآن مثل المرحومين فتحي سعيد وكامل أيوب ومحمد الجيار، ومنهم من لا تزال نكُونُ معاً جوقة شعراء الريادة مثل: حسن فتح الباب وكمال نشأت ومجاهد عبد النعم مجاهد، ومحمد مهران السيد.. وإلى جانب هؤلاء الرواد كان التقائي بشعراء الموجة التالية: عفيفي مطر وفاروق شوشة وأحمد سويلم ومحمد إبراهيم أبو سنة ومحمد حمد..

وتتلاحق أجيال الشعراء، فيكون التجاوب مع فريد أبو سعدة وأحمد عنتر مصطفى ومحمد أبو دومة ومحمد سليمان ومحمد آدم وعشرات غيرهم من الشعراء الذين يشكلون معاً الوجه الحقيقي للشعر المصري الآن..

أصدرت حتى الآن تسعة دواوين هي على الترتيب: (عناق الشمس) - أغنيات طائر غريب - الشيخ نصر الدين والحب - للحب أغنى - الضياع في المدن المزدحمة - هكذا غنى السندباد - بيني وبين البحر - لكم نيلكم ولي نيل - وكما يموت الناس مات).

وهناك مجموعتان هما: (أغاني الزاحفين - وتنويعات على الأوتار الخمسة)، مشتركتان مع شعراء آخرين.. ولي ثلاثة دواوين للأطفال، (عيون الفجر - ساحرة الأفق الشرقي - الطفل والزهرة)، وهناك ديوان جديد أعده للنشر بعنوان: «المرايا والوجوه»..

الى جانب مجموعة شعرية للشباب بعنوان: «قمم إسلامية».. كما أنوى إصدار مجلد كبير يضم قصائد ذات الاتجاه الإسلامي. وفرغت أخيراً من جمع مادة ديوان جديد، كتبت معظم قصائده خلال

*** التجربة الأولى تظل محفورة في الذاكرة.. كيف كانت البدايات؟ وكيف تطورت؟

* في حوالي الرابعة عشرة من عمري.. نظمت قصيدتي الأولى عن فلسطين عام ٢٠٤٨.. كانت قصيدة موزونة مقفاة تنبئ بنضج مبكر، أشاد به مدرسي، وكم كانت سعادتي حين اعترف بي شاعراً صغيراً يدرج على الدرب الصحيح..

الشعر عندي صدق مع النفس، إفراز معاناة حقيقية، لا يصدر إلا عن تجربة معاشة، أنصهر بنارها فتخرج القصيدة تعبيراً صادقاً، لا زيف فيه ولا اصطناع، لا أتعمد كتابة الشعر، فالقصيدة عندي تكتمل في لا شعوري، ثم تنبثق خارجه متى تم لها الاكتمال..

والبداية الحقيقية كانت على صفحات جريدة «الزمان» منذ أوائل الخمسينيات، وكان للمرحوم الشاعر الكبير محمد الأسمر الفضل الأول علي كشاعر حيث أخذ بيدي ونشر لي في «ركن الأدب» الذي كان يشرف عليه كل أسبوع في جريدة «الزمان».. كان ذلك عام ١٩٥٠.. وكانت أول قصيدة تنشر لي بعنوان «خلود» وفي هذه الجريدة كانت بدايتي مع مجموعة من الشعراء الذين مازالت تربطني بالأحياء منهم صداقة طيبة أذكر منهم: محمد الفيتوري، ومحمد مهران السيد، وفتحي سعيد، ومحبي الدين فارس، ومحمود الربيعي وإبراهيم عيسى، وهاشم الرفاعي، وجليلة رضا، وعبد العزيز الدسوقي.. وغيرهم.. وهناك مجموعة من الشعراء كان لاحتكاكي بهم

ورؤيته الفكرية التي انبثقت عنها هذه التجربة، وقد لاحظ بعض النقاد وجود آلية السرد في إبداعى الشعري، بما يوحي بما أسميته بالقصة الشعرية، والواقع أنني لا أعمد في شعري الى ما أطلقت عليه «القصة الشعرية» بقدر ما أستخدم وسيلة تعبيرية هي آلية السرد في تشكيل بعض تجاربي الإبداعية، وقد تناول أحد الباحثين وهو الناقد محمود الضبع هذه الظاهرة في شعري الى جانب عدد آخر من الشعراء، وذلك في رسالة جامعية نال عنها درجة الماجستير مؤخراً.

**** جسد يدور هنا وهناك: (القصيدة العمودية - وقصيدة التفعيلة) وما أسموه (قصيدة النثر) على أي معيار ترى القصيدة؟**

* الشعر العربي الحقيقي بخير يستوى في ذلك الشعر العمودي والتفعيلي.
فمازال هناك شعراء متمسكين بالشكل العمودي ويكتبون روائعهم من خلاله والمثال على ذلك الشاعر اليمنى الكبير عبد الله البردوني. كما أن القصيدة التفعيلية متألقة على أيدي أمثال محمود درويش وعشرات غيره.

وستظل الساحة الشعرية لزمن طويل تحتضن الشكليات، طالما وجد الشعراء الحقيقيون الذين يكتبون الشعر على هذا الشكل أو ذاك، والقصيدة العمودية المتطورة باقية الى جانب القصيدة التفعيلية الجديدة التي تشكل ملامحها الحداثيّة باستمرار.
وواهم من يتصور أن هذا الكيان الشائئ الممثل في قصيدة «النثر» يستطيع أن ينتزع من الشكليات العمودي أو التفعيلي عرشها الذي استقرا عليه طويلاً. والذين يرفضون قصيدة النثر لمجرد خلوها من الوزن

إقامتى بالملكة هو ديوان «المرايا .. والوجوه»، ولا يعنى ذلك أنني قد صوّرت في قصائده تجربتي في الحياة بالملكة.. وربما يكون المخزون الإبداعى لكثير من هذه القصائد من نتاج معاشتي لتجارب كانت تستقر في اللاوعى لما مر بي قبل القدم الى المملكة. وأرجو أن ترى كل هذه الأعمال النور قريباً بإذن الله.

**** الشاعر الناقد .. أو العكس .. الى أي حد كانت تجربتك في هذا الاطار؟**

* كوّنّت من خلال تعاملى مع الشعر موقفاً فكرياً منه .. بحيث أصبحت لي رؤيتى النقدية الخاصة في النظر الى الإبداع الشعري، وقد حاولت توظيف هذه الرؤية في تناولى النقدى لعدد من الدواوين، ومقدمات المجموعات الشعرية التى طلب منى أصحابها تقديمها الى الجمهور مثل دواوين شهاب غانم وفوزى صالح ورفعت المرصفى ونجيب الكيلانى وهيثم الخواجة وعقيل ناجى المسكين وغيرهم.
كما أن لى كتاباً تحت الطبع بعنوان «القصيدة الجديدة وتجلياتها عبر الأجيال».

**** الوطن مندي: يكبر حتى يصبح الدنيا ويصفر حتى يصبح السكنا**
وأنا في تعاملى النقدى مع ما أعترض له من أعمال شعرية أسعى وراء الشعر الحقيقى متجاوزاً الشكل الذى كتب به الى المضمون والمعجم الشعري والصور الفنية التى يشكل الشاعر من خلالها تجربته الإبداعية،

**** آية السرد
في الإبداع
الشعري،
أنتجت ما
يمكن تسميته
بـ (القصة
الشعرية).**



بعض من مؤلفات الشاعر الكبير

وفي اعتقادي أن النقد الذي يستحق الالتفات إليه في تناول الأعمال الشعرية في حكم الندرة، وغالبية ما نقرؤه اليوم لا يخرج عن كونه ألعاب شكلية ومعاملات لفظية وشطحات فكرية لا تطلع منها بطائل.

**** المبدع .. بين الموهبة الشخصية
والمكونات الفكرية والثقافية والتراثية
للمجموع .. ما تعليقكم؟..**

* المبدع الحق هو الذي يستطيع أن يحدد موقفه من الأصالة والحداثة، وأستطيع أن أصور هذا الموقف بشجرة، تمثل جذورها كل ما يحتاج اليه المبدع من روافد تراثية تربطه بماضي أمته وعراقتها وقيمها الإبداعية ويمثل الساق والفروع كل ما تمثله الحداثة من رؤية معاصرة، ومعايشة للواقع الحي وتأثر وتأثير بمجريات الحركة الإبداعية الحاضرة، وتمثل المبدع لكل هذا يجعله متفهما لموقعه بين الأصالة والمعاصرة، فلا تشده النظرة التراثية الى الوراء، فيتخلف عن الركب الأدبي المندفِع دائما الى الأمام، ولا تجذبه النظرة

مخطئون، فليس بالوزن وحده ينهض الشعر، ولو أن الأمر كذلك لعدنا ألفية ابن مالك شعراً، بينما هي ليست من الشعر في شيء برغم كونها موزونة، فإذا استطاع مبدع أن يقنعي - فنيا - بأن ما يكتبه شعر برغم تخليه عن الوزن فسوف أكون أول المعترفين به شاعراً، فأين هو هذا النص الذي تتوفر فيه المقومات الأساسية لفن الشعر برغم تخليه عن الإيقاع الخارجى المتمثل في الوزن والقافية؟

والحقيقة التي لا مفر من الاعتراف بها أن عددا كبيرا ممن يكتبون قصيدة النثر، لم يلجأوا الى ذلك لضرورة فنية، وإنما اتجهوا الى هذا اللون لعجزهم عن كتابة سطر واحد موزون، وهذا هو الشأن مع العدد الكبير من الشباب من شعراء قصيدة النثر.

وبعامة يمكننا القول بأن المدارس النقدية المختلفة لكل منها مزاياها، والنقاد الحق هو الذي يستطيع الأخذ بطرف من كل هذه الاتجاهات ويؤلف له مذهبه النقدي الخاص به الذي يحدد رؤيته الفنية في النظر الى العمل الإبداعى الشعري.

*** ليس**

بالوزن

وحده

ينمض

الشعر.

*** النقد**

الذي

يتحقق

الالتفات

إليه في

حكم

الندرة.

*** المبدع**

نتاج متعادل

بين معطيات

التراث،

ومستجدات

العصر.

الحدثية، فينفلت من
جذوره مهرولا وراء
السرعات الجديدة،
ويتحول الى مسخ شائه
ليس به من الحدثية إلا
قشورها الخارجية التي
لا تمثل حدثية حقيقية
بقدر ما تمثل ما يمكن
أن نطلق عليه وهم
الحدثية.

*** يذهب**

البعض الى

القول بانحسار

الشعر عن

الساحة لتحل

الرواية

محله؟..

* الذين يقولون: إن
الشعر بدأ ينحسر عن
الساحة الأدبية هذه
الأيام واهمون. فالشعر
لن يهشم أو يتلاشى في
الآلفية الثالثة، ولن تحل
محله الرواية بحال من
الأحوال، وسوف يبقى
الشاعر طالما بقيت
العاطفة، وطالما تحركت
في نفوس الناس المشاعر
والأحاسيس، فالشعر لغة
الوجدان، وترجمان

العواطف، ولا يمكن أن تستمر الحياة دون عاطفة
ووجدان.

**** الحركة الشعرية في المملكة، كيف**

تراها؟..

* الحركة الشعرية في المملكة مزدهرة، ومستقبل
الشعر فيها يبشر بكل خير، وما يجرى على الشعر في
كل موقع من مواقع الثقافة في وطننا العربي الكبير
المتمد من الماء الى الماء يجرى على الشعر في المملكة،
والاتجاهات الشعرية السائدة في الأقطار العربية
تسود المملكة. هناك التيار التقليدي والتيار الحدثي
المعتدل وحتى تيار الحدثية المتطرف له مشايعوه في
المملكة. ومن خلال إقامتي في المملكة استوقفتني
أسماء كثيرة من كل الاتجاهات وجدت فيها إبداعا
متميزا، ودعني من ذكر الأسماء حتى لا يسقط من
الذاكرة أحد الأسماء التي أعزّ بها.

**** مصطلحات وكلمات تتداولها كثيرا..**

ماذا تعني لشاعرنا؟..

- القيم: أقاتيم أحرص على توافرها في إبداعى
الشعري.

- الوطن: قلت عنه:

يكبر حتى يصبح الدنيا

يصغر حتى يصبح السكن

هذا هو الوطن

- المرأة: هى أمى وزوجتي وابنتى وأختى

وحفديتى.. هى وجه الحياة الحلو.

- الفضيلة: الشيء الذى بدونه لا تستمر الحياة.

- الحرية: الشيء الذى بدونه تكون الحياة والموت

سواء.

- السلام: هدوء النفس والروح، وطمانينة خاطر

والبال.

شروط المسابقة:

- الاجابة عن جميع الاسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل الا الاجابات المدونة على القسيمة المرفقة
- يحق للمشارك الاشتراك باكثر من قسيمة لزيادة فرص الفوز.
- لا ينظر الى القسائم المصورة.
- ارسال الاجابات خلال ٤٥ يوماً من صدور العدد.
- يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة ويكتب على الظرف البريدي «مسابقة المنهل الثقافية»



طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من المشاركين.
- يتم استبعاد القسائم ناقصة الاجابة.
- تجمع القسائم الصحيحة الاجابات ويعمل لها قرعة لاختيار الفائز الاول والثاني والثالث وهكذا الى الثامن.
- ترسل الجوائز الى اصحابها فور الوصول الى النتيجة وتدفع بالريال السعودي او ما يعادله.

جوائز المسابقة

الجائزة الاولى : ١٠٠٠ ريال	الجائزة السادسة: ١٥٠ ريال
الجائزة الثانية: ٧٠٠ ريال	الجائزة السابعة: اشتراك سنوي في المنهل .
الجائزة الثالثة: ٥٠٠ ريال	الجائزة الثامنة: مجموعة اعداد متفرقة من المنهل، وبعض اصدارات الدارة.
الجائزة الرابعة: ٤٠٠ ريال	
الجائزة الخامسة: ٢٥٠ ريال	

المنهل

AL MANHAL

مجلة العرب الأدبية الثقافية



اليوبيل الذهبي



اليوبيل الفضي



العدد الأول ١٣٥٥ هـ

تسبيحة مسابقة العدد (٥٨٥)

ضع علامة امام الاجابات الصحيحة ..

١. من هو صاحب كتاب (الوافية في شرح الكافية الشافية)

☐ ابن هشام ☐ ابن مالك ☐ ابن جني

٢. ما هو اكبر خليج في البحر الاحمر؟

☐ خليج السويس ☐ خليج عدن ☐ خليج العقبة

٣. اقل كتاب في تاريخ البشرية يتكون من ٧٢٨٠ طناً، وهو مكون من ٧٢٨ صفحة ويوجد في:

☐ الهند ☐ الصين ☐ ماينمار



بقلم: د. ياسين بن ناصر الخطيب

جامعة أم القرى - مكة المكرمة

٢٣



الفروق في اللغة

الفرق بين الرواية والشهادة

الإنسان قد يقرأ شيئاً ما أو يسمع، ثم لا يخطر بباله الفرق بين كلمتين مما قرأ أو سمع، فإذا سئل عن الفرق بينهما حار ولم يدر الجواب، ولذلك تجد الفقهاء - رحمهم الله تعالى - اهتموا بهذا الأمر وأعدوا له عدته، وكلامنا اليوم عن الفرق بين الرواية والشهادة فنقول:

قال القرافي [١] أقمت نحواً من ثمانين سنين أطلب الفرق بين الرواية والشهادة وتحقيق ماهية كل منهما فلم أظفر بما أريد، لأن كل واحدة منهما خبر، فيقولون:

الفرق بينهما: أن الشهادة يشترط فيها العدد والذكورة والحرية بخلاف الرواية فإنها تصح من الواحد والمرأة والعبد.

فأقول لهم: اشتراط ذلك فيها فرع تصورها وتمييزها عن الرواية، فلو عرفت بأحكامها وآثارها التي لا تعرف إلا بعد معرفتها لزم الدور، وإذا وقعت لنا حادثة غير منصوصة، من أين لنا أنها شهادة حتى يشترط فيها ذلك؟ فلعلها من باب الرواية التي لا يشترط فيها ذلك، فالضرورة داعية لتمييزهما، وكذلك إذا رأينا الخلاف في إثبات شهر رمضان هل يكتفى فيه بشاهد واحد أم لا بد من شاهدين؟ ومنشأ الخلاف في ذلك هو هل هذا من باب الرواية أم من باب الشهادة؟

بحقيقتهما فلا يتأتى شيء من ذلك، ثم قال: فلم أزل كثير القلق والتشوف الى معرفة ذلك حتى طالعت شرح البرهان للمازري [٢] فوجدته ذكر

هذه القاعدة وحققها وميز بين الأمرين، واتجه تخريج تلك الفروع اتجاهاً حسناً، وظهر أي الشبهين أقوى وأي القولين أرجح، وأمكنا من قيل

(قلت) فمن قال إنه من باب الشهادة أوجب العدد، ومن قال إنه من باب الرواية لم يشترط العدد.

ثم قال القرافي: وهذا إنما يتخلص منه إذا علمت حقيقة كل منهما من حيث هي هي فحينئذ يتصور هنا اشتراط العدد وغيره، أما مع الجهل

شخص واحد . الثالث: أن بين كثير من المسلمين عداوات تحملهم على شهادة الزور بخلاف الرواية عنه {صلى الله عليه وسلم} .

(٢) : لا تشترط الذكورية في الرواية مطلقاً، بخلاف الشهادة في بعض المواضع .

(٣) : لا تشترط الحرية فيها بخلاف الشهادة مطلقاً .

(٤) : لا يشترط فيها البلوغ في قول .

(٥) : تقبل شهادة المبتدع إلا الخطابية [٨] ولو كان داعية ولا تقبل رواية الداعية ولا غيره إن روى موافقه .

(٦) تقبل شهادة التائب من الكذب دون روايته .

(٧) من كذب في حديث واحد رد جميع حديثه السابق، بخلاف من تبين شهادته للزور في مرة لا ينقض ما شهد به قبل ذلك .

(٨) لا تقبل شهادة من جرت شهادته الى نفسه نفعاً أو دفعت عنه ضرراً، وتقبل ممن روى ذلك .

(٩) لا تقبل الشهادة لأصل وفرع ورقيق بخلاف الرواية .

(١٠، ١١، ١٢) الشهادة إنما تصح بدعوى سابقة، وطلب لها، وعند حاكم، بخلاف الرواية في الكل .

(١٣) للعالم الحكم بعلمه في التعديل والتجريح

أنفسنا إذا وجدنا خلافاً محكياً ولم يذكر سبب الخلاف فيه أن نخرجه على وجود الشبهين فيه إن وجدناهما، ونشترط ما نشترطه ونسقط ما نسقطه، ونحن على بصيرة في ذلك كله، فقال - رحمه الله تعالى: الشهادة والرواية خبران غير أن المخبر عنه إن كان أمراً عاماً لا يختص بمعين فهو الرواية، كقوله عليه الصلاة والسلام «إنما الأعمال بالنيات» [٣] «والشفعة فيما لم يقسم» [٤] فهذا لا يختص بشخص معين، بل ذلك على جميع الخلق في جميع الأعصار والأمصار، بخلاف قول العدل عند الحاكم - وهو يدلي بشهادته: لهذا عند هذا دينار، فهذا إلزام لمعين لا يتعداه الى غيره، فهذا هو الشهادة المحضة، والأول هو الرواية المحضة، ثم ذكر كلاماً نفيساً لا يتسع المقام لذكره [٥] لكن اذكر ما قاله الإمام السيوطي [٦] في كتابه تدريب الراوي حيث بين الأحكام التي تفرق فيها الرواية عن الشهادة فقال:

وأما الأحكام التي يفرقان فيها فكثيرة، لم أر من تعرض لجمعها وأنا اذكر منها ما تيسر:

(١) : العدد لا يشترط في الرواية بخلاف الشهادة، وقد ذكر العز بن عبد السلام [٧] في مناسبة ذلك أموراً: أحدها: أن الغالب من المسلمين مهابة الكذب على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بخلاف شهادة الزور . الثاني: أنه قد ينفرد بالحدث راو واحد، فلو لم يقبل لفات على أهل الإسلام تلك المصلحة بخلاف فوت حق واحد على

من علماء المالكية له مصنفات نفيسة في الفقه والأصول
- الديباج المذهب ص ٦٢ - ٦٣، شجرة النور الزكية ص
١٨٨.

(٢) المازري ٤٥٣ - ٥٣٦هـ - محمد بن علي بن عز التميمي
المازري، أبو عبد الله، محدث من فقهاء المالكية، له
المؤلفات النافعة. لحظ اللاحظ ص ٧٣. وفيات الأعيان
٤٨٩/١.

(٣) متفق عليه صحيح البخاري ٣/١، صحيح مسلم
١٥١٥/٣. صحيح ابن خزيمة ٧٣/١ صحيح ابن
حبان ٥١، ٢.

(٤) متفق عليه صحيح البخاري ٧٧٠/٢، صحيح مسلم
١٢٢٩/٣، صحيح ابن حبان ١٧٠/١، سنن الترمذي
٦٥٠/٣، مجمع الزوائد للهيثي ١٥٨/٤.
(٥) الفروق للقرافي ٥/١ - ١٨.

(٦) السيوطي ٨٤٩ - ٩١١هـ. عبد الرحمن بن أبي بكر بن
محمد بن سابق الدين الخضير جلال الدين، إمام
حافظ مؤرخ أديب، له نحو (٦٠٠) مؤلف، شذرات
الذهب ٥١/٨. الضوء اللامع ٦٥/٤.

(٧) الغز ٥٧٧ - ٦٦٠هـ. عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي
القاسم السلمي الدمشقي عز الدين الملقب بسلطان
العلماء، الشافعي بلغ رتبة الاجتهاد. له المؤلفات
النافعة، فوات الوفيات ٢٨٧/١. طبقات السبكي
٨٠/٥.

(٨) شرح النووي على صحيح مسلم ج: ١ ص: ٦٠ قال
العلماء من الحثيثين والفقهاء وأصحاب الأصول:
المبتدع الذي يكفر ببدعته لا تقبل روايته بالاتفاق، وأما
الذي لا يكفر بها فاختلفوا في روايته: فممن ردها
مطلقا لفسقه ولا يتنفع التأويل، ومنهم من قبلها مطلقا
إذا لم يكن ممن يستحل الكذب في نصرة مذهب، أو
لأهل مذهب، سواء كان داعية إلى بدعته أو غير داعية،
وهذا محكي عن إمامنا الشافعي - رحمه الله - لقوله
أقبل شهادة أهل الأهواء لا الخطابية من الرافضة:

لكونهم يرون الشهادة بالزور لموافقيهم.

(٩) تدريب الراوي للسيوطي ٣٢١/١ - ٣٢٤.

قطعا مطلقا. بخلاف الشهادة فإن فيها ثلاثة أقوال
أصحابها: التفصيل بين حدود الله تعالى وغيرها.

(١٤) يثبت الجرح والتعديل في الرواية بواحد
دون الشهادة على الأصح.

(١٥) الأصح في الرواية قبول الجرح مفسراً
من العالم، ولا يقبل الجرح في الشهادة إلا
مفسراً.

(١٦) يجوز أخذ الأجرة على الرواية، بخلاف
أداء الشهادة إلا إذا احتاج إلى مركوب.

(١٧) الحكم بالشهادة تعديل للمشهود له، بل
قال الغزالي أقوى منه بالقول بخلاف عمل العالم أو
فتياه بموافقة المروي على الأصح.

(١٨) لا تقبل الشهادة على الشهادة إلا بسند
بخلاف الرواية.

(١٩) إذا روى شيئاً ثم رجع عنه سقط، ولا
يعمل به، بخلاف الرجوع عن الشهادة بعد الحكم
فلا ينقض الحكم.

(٢٠) إذا روى حديثاً ثم نفاه المسمّع فالمختار
أنه إن كان جازماً بنفيه بأن قال ما روايته ونحوه
وجب رده ولا يقدح في باقي روايات الراوي عنه.
وهكذا إلى الكثير من الفروق بين الشهادة والرواية
بيننا بعضها ليرجع من أراد المزيد [٩]. والله أعلم.

الهوامش :

(١) القرافي المتوفي سنة ٦٨٤هـ. احمد بن إدريس بن عبد
الرحمن، أبو العباس، شهاب الدين الصنهاجي القرافي



أمره الحرم عبر التاريخ

ولاية البدر اللؤلؤ

كما قد توقفنا في الحلقة الماضية عند القول بأن الإمام أبا جعفر بن جرير الطبري ذكر في تاريخه في أخبار الأمير أبي المغيرة محمد المخزومي بأنه عاد إلى إمارة البلدة المقدسة في سنة ٢٦٥ من الهجرة المباركة واليا متغلباً عليها مواليا لصاحب الزنج ودخل البلدة المحرمة فقاومه أمير البلد الأمين حينئذ هارون بن محمد العباسي فصار إلى موضع يقال له مشاش فغور ماءها ثم توجه إلى جدة وصدرت منه أفعال لا يحسن ذكرها وقد ورد في أمره أقوال متضاربة وأعتقد أن الروايات الواردة بشأنه تحتاج إلى ضبط وتدقيق ولسنا هنا بصدد ذكرها في الخلافة أمير المؤمنين المعتمد وفي نظري أنه كان على ولاية أوسع وأشمل وكان فيما ولي من البلاد الحرمين الشريفين وكان الوالي المباشر في هذه الفترة هو:

الأمير هارون بن محمد العباسي رحمة الله عليه.

كما ذكره الإمام تقي الدين الفاسي في شفاء الغرام. وكانت ولايته في سنة ٢٦٣ من الهجرة كما ذكر ذلك في كتابه العقد الثمين. واستمرت حتى سنة ٢٧٨ من الهجرة. وذكر الإمام أبو جعفر بن جرير الطبري في تاريخه أنه حج بالناس في سنة ٢٦٤ من الهجرة وحتى سنة ٢٧٩ للهجرة وكذلك ذكر العلامة أبو محمد بن حزم في كتابه جمهرة أنساب العرب وكانت أيامه عامرة بالعدل والأمن والرخاء وذكر العلامة عز الدين بن فهد الهاشمي في كتابه غاية المرام في ترجمته بأنه كان شريفاً نبيلاً ثقة.

وقد فارق الديار المكية المقدسة إثر فتنة حدثت بها في سنة ٢٨٠ من الهجرة الشريفة بعد ولاية دامت نحو أربع عشرة سنة. ولجأ إلى مصر وحديث بها وتوفي في شهر رمضان المبارك من عام ٢٨٨ للهجرة المباركة حسبما ذكره العلامة ابن كثير القرشي في تاريخه البداية والنهاية. وخلال هذه السنوات ذكروا من الأمراء على الرحاب الحرمية:

الأمير محمد بن موسى بن يعقوب بن

المأمون بن أرشيد رحمة الله عليه.

في سنة ٢٦٨ من الهجرة الشريفة على ما ذكره



بقلم : السيد ضياء محمد عطار - المدينة المنورة

عدم ثبوت الولاية لأحمد بن طولون ولا سيما فإنه كما سبق وأن الأمير هارون امتدت ولايته من سنة ٢٦٢ وحتى سنة ٢٨٠ للهجرة للحرمين الشريفين ومن بعده جاءت ولاية:

١- الأمير العج بن حاج مولي أمير المؤمنين المعتضد رحمة الله عليه:

وكان اليه إمارة الحرمين الشريفين وكانت ولايته في سنة ٢٨٠ من الهجرة المباركة كما ذكره الامام تقي الدين الفاسي في شفاء الغرام. وذكر ولايته للحجاز عموماً العلامة عريب بن سعد القرطبي في ذيل تاريخ الامم والملوك. وفي عهده أُنخلت توسعة واعمار واصلاحات كثيرة للمسجد الحرام وضمت الاجزاء الباقية من دار الندوة الى هذه التوسعة وجعل للمسجد الحرام اثني عشر باباً وقد بدأ العمل بهذا المشروع الكبير عام ٢٨١ من الهجرة المباركة، وانتهت في سنة ٢٨٤ من الهجرة كما جاء في ذيل تاريخ الامام الازرقى في اخبار مكة.

وقد استمرت ولايته سنين عديدة فأحبه الناس وأحبه الخلفاء وليس ذلك الا لحسن سيرته وشمول عدالته واحسانه وامتنانه فقد ولاه أمير المؤمنين المعتضد فاقره فيما يبido الخلفاء من بعده المكتفى ثم المقتدر رحمهم الله، ولم يزل عليها حتى توفي بمكة شرفها الله في شهر جمادى الأولى من سنة ٣٠٦ من الهجرة الشريفة كما جاء في ذيل تاريخ الامم والملوك وهو ممن توفي بمكة - شرفها الله - من ولاتها

العلامة ابن كثير القرشي في البداية والنهاية ولم يذكره الامام الفاسي في شفاء الغرام في باب ولاية مكة في الاسلام كما لم يذكره في العقد الثمين ولم يذكره أيضاً العلامة العز بن فهد بن الهاشمي في غاية المرام في اخبار سلطنة البلد الحرام غير أن الامام الفاسي ترجم له في العقد الثمين غير أنه قال محمد بن يوسف بن يعقوب ووصفه بأمر مكة وقال وليها في سنة ٢٦٨ من الهجرة. وقدم مصر فحدث بها وتوفي في سنة ٣٤٢ من الهجرة وكذا ذكر العلامة صلاح الدين الصفدي في تاريخه الوافي للوفيات بنحوه وأعتقد أن السهو وقع من الامام الفاسي في نسبه والله أعلم. ومن الأمراء الذين نذكر ولايتهم في سنة ٢٧١ من الهجرة هو:

٢- الأمير يوسف بن أبي الساج رحمة الله عليه.

ونذكر له في ولايته قصة الغلام بدر الطائي وأنه وقع بينهما حدث فأسر خلالها وحمل الى بغداد. . . الخ. . . وأعتقد أن ولايته كانت في زمن أمير الحرمين الشريفين هارون بن محمد العباسي نائباً عنه بمكة شرفها الله.

ونذكر الامام الفاسي في شفاء الغرام ولاية أحمد بن طولون على البلد الحرام في سنة ٢٦٩ من الهجرة ولكن العلامة ابن ظهيرة القرشي نفى عنه ولاية البلد الأمين في كتابه الجامع اللطيف في تاريخ مكة وبناء البيت الشريف. والى هذا أميل مرجحاً

بأستار الكعبة المشرفة فقاومه الأمير ابن محارب هذا مع جماعته وجنوده فقتله القرمطي وكثيراً من أصحابه كما ذكره الامام الفاسي في شفاء الغرام وكذا ذكر العلامة نجم الدين بن فهد الهاشمي في اتحاف الوري غير أن الامام الفاسي ذكر أن الذي قتله عدو الله القرمطي هو الأمير ابن محارب وعزا ذلك للامام الذهبي ثم اورد خبراً بأن الذي قتله القرمطي هو الأمير ابن مخلب وعزا ذلك للامام ابن الأثير والحق أن الذي قتله عدو الله هو أحد الأمراء وكونه الأمير ابن محارب أقرب الى الصواب .
وجاءت في سنة ٢٢١ من الهجرة ولاية الأمير :

• ابن مخلب رحمة الله عليه

ويسمى محمد بن اسماعيل بن مخلب وأما الذين سبقوه فلم يرد في أسمائهم شيء حسبياً عرفت وعلمت . وجاء من بعده الغموض في اخبار أمراء البلد الأمين ولم اظفر بأى خبر أو علم يستند عليه أو يستأنس به غير أن الحجيج كان يقودهم في هذه الفترة الأمير الحسن بن عبد العزيز العباسي الهاشمي رحمة الله عليه من الديار المصرية . وكان ممن يخلفه في اماره الحجيج عبد الله بن سليمان العباسي وسليمان بن على العباسي وجعفر بن على بن سليمان العباسي والقاضى عمر بن الحسن بن عبد العزيز العباسي قاضى البلد الأمين كما ذكر ذلك العلامة عبد القادر الخريزى الانصارى في درر الفرائد .

ولما لم يوجد من امراء البلد الحرام من يشار اليه مباشرة استعيض في هذه الحالة ذكر من كان اليه الحرمان الشريفان في هذه الفترة بولاية اوسع

وبقيت ولايته نحو ست وعشرين سنة . وهي مدة لا تأتى من فراغ في ذلك الزمان ولم يسبقه بمثلها أحد من الامراء للاباطح الحرمية والحجاز رحمة الله عليه . وقد ولى بعده أخوه بأمر من الخلافة العباسية ولم يذكر اسمه في الآثار .

ومن الولاة الذين ذكر ولايتهم للبلد الأمين الامام الفاسي في شفاء الغرام الأمير مؤنس الخادم الملقب بالمظفر الورقاني واعتقد أنه لم يباشر هذه الولاية بنفسه ولا يوجد له ما يستأنس به على ولايته ولكن الراجح حسب اعتقادى ان الذى ولي من بعد الأمير أخى الأمير العج بن حاج المتقدم ذكره هو الأمير :

• أبو معد نزار بن محمد الضبي رحمة الله عليه:

غير أن الامام الفاسي وكذلك العلامة العز بن فهد الهاشمي ، والعلامة ابن ظهيرة القرشي لم يذكروه في كتبهم في باب أمراء البلد الحرام . وانما ذكر ولايته العلامة محمد بن عبد الملك الهمداني في ذيل تاريخ الأمم والملوك . كما أنه لم يذكر بداية أمره وانما ذكر عزله في سنة ٣١٠ من الهجرة ، فخلفه عليها :

• الأمير ابن ملاحظ رحمة الله عليه .

• فالأمير ابن محارب الشهيد

وكانت في أيامهم فتنة القرامطة وغزوهم لبلد الله الأمين وانتهاكهم به الحرمات وسرقتهم للحجر الأسعد الميمون حيث جاء عدو الله أبو طاهر حمدان القرمطي الى الاباطح الحرمية ودخل المسجد الحرام وألحد في الحرم وفجر فيه وقتل من قتل ممن تعلقوا

وأشمل ولكن دون الخليفة ومنهم:

١- الأمير الأخشيدي أبو بكر بن طغج الفرعاني .

كما ذكره الامام الفاسي في شفاء الغرام، وكان ذلك في سنة ٢٣١ للهجرة المباركة وكان أمير المؤمنين المتقي لله عقد ولاية الحرمين الشريفين والحجاز والديار المصرية والبلاد الشامية له ولولديه من بعده . وكان يلقب بالأخشيدي وهو من ملوك فرغانة احدى مدن بخارى من ما وراء النهر وكان والده من القادة الطولونيين وكان الأخشيدي قد تقلب في عدة مناصب حتى عقد له على الحرمين الشريفين وكان رحمة الله عليه شديد اليقظة حازماً متبصراً كما حسن التدبير حسن السيرة محبوباً في الرعية كما ترجم له الامام تقي الدين الفاسي في العقد الثمين . وكان يدعى له على منابر الحرمين الشريفين بالولاية بعد الخليفة وكان الأخشيدي مولده في النصف من شهر رجب الحرام في سنة ٢٦٨ من الهجرة بمدينة السلام ووفاته في يوم الجمعة الثاني والعشرين من شهر ذي الحجة الحرام سنة ٢٣٤ من الهجرة وعمره ست وستون سنة وخمسة أشهر وسبعة أيام بمصر ونقل جثمانه الى البيت المقدسي المبارك ودفن هناك وكانت مدة ولايته للحرمين الشريفين ثلاث سنوات تزيد أو تقل قليلا وخلفه من بعده:

٢- الأمير أبو القاسم محمود ارنجور بن محمد

بن طغج الأخشيدي رحمة الله عليه .

وكان عقده من الخليفة فوليه خلفاً لوالده في شهر ذي الحجة الحرام من سنة ٢٣٤ للهجرة الشريفة كما ذكره الامام الفاسي في شفاء الغرام . وكان عمره حين تقلدها ابن ثنتي عشرة سنة . فاستحوذ على أمره خادهم ومولاهم كافور

الأخشيدي اذ كان وصيا عليهم وظل الأمير أبو القاسم محمود حتى توفي في الثالث والعشرين من شهر ذي القعدة الحرام في سنة ٢٤٩ للهجرة عن عمر لا يزيد على ست وعشرين سنة وقد حظى سكان الحرمين الشريفين في ولايته بكثير من الصلات ومزيد من الخيرات وكان يبر أهلها ويحسن اليهم وكانت مدة ولايته نحواً من اربع عشرة سنة . وكان ممن تولى مكة شرفها الله في زمن ولايته مباشرة:

٣- الأمير القاضي أبو جعفر محمد بن الحسن

العباسي الهاشمي رحمة الله عليه .

وذلك في سنة ٢٣٨ من الهجرة كما ذكره الامام الفاسي في شفاء الغرام ولم أظفر بخبر يحدد مدة ولايته . وقد خلف في ولاية الحرمين الشريفين والبلد الأمين بعد الأمير أبو القاسم محمود:

٤- الأمير أبو الحسن علي بن محمد بن طغج

الأخشيدي رحمة الله عليه .

في سنة ٢٤٩ من الهجرة الشريفة في شهر ذي القعدة الحرام في خلافة أمير المؤمنين المطيع لله كما ذكره الامام الفاسي في شفاء الغرام . وسار معه في الامر مولاهم كافور واستحوذ عليه كما فعل بأخيه من قبل لصغر سنه ثم بلغ الأمر بكافور أن حبسه في قصره ووضعه في الإقامة الجبرية - على مصطلح اليوم - ومنع الناس عنه حتى مات الأمير أبو الحسن في شهر الله المحرم سنة ٢٥٥ من الهجرة على ما ذكره الامام الحافظ شمس الدين السخاوي في تحفته اللطيفة .

- الموضوع صلة -

التأليف المعجمي عند اليهود ومصادره العبرية (*)

نظرة عامة حول حركة التأليف المعجمي عند اليهود :

إن مساهمة النحاة اليهود في الدراسات اللغوية لم تقتصر فقط على تأليف كتب نحوية مثل كتب ورسائل حيوج وابن جناح، وإنما تعدت ذلك إلى الاهتمام بالجانب المعجمي في اللغة العبرية، وهكذا سنشهد منذ القرن العاشر ظهور مجموعة من المعاجم في الغرب والأندلس.

المعجمي يعود إلى كل من يهودا بن قريش وداوود بن أبراهام الفاسي وهما معا من المغرب أو ما نجمع على تسميته بالغرب الإسلامي .
ويمكن أن نميز بين مرحلتين في تاريخ التأليف المعجمي العبري:

١- مرحلة جمع الكلمات :

ويبدو أن اللغويين اليهود لما كان لهم وعي بالغموض الذي يعتري مناهجهم لم يسموا أبدا معاجمهم التي هي أقرب إلى الرسائل في هيكلها العام، وزيادة على ذلك فهي سبقت عموما إرساء قواعد النظرية الثلاثية . ومثال ذلك بكتاب «جامع الألفاظ» .

٢- مرحلة تسمية المعاجم :

ومثال ذلك كتاب «الأصول» لابن جناح [٥] ،، في حين تصنف رسالة يهودا بن قريش وكتاب الموازنة

وكان أول معجم هو «رسالة يهودا بن قريش إلى جماعة يهود مدينة فاس» [١] حيث عمد يهودا بن قريش إلى اللغتين العربية والعبرية ولغات أخرى من أجل تفسير وشرح الكلمات النادرة أو المفردة في الكتاب المقدس، ويبدو أن هذه الرسالة كانت مسبقة بمعجم عبري ضخم لم يكتب له البقاء [٢] .

أما في المشرق العربي فإن حركة التأليف المعجمي كانت قبل القرن العاشر، ويعتبر سعدايا رائدا في هذا المجال، غير أن معجمه ضاع في وقت مبكر أو على الأقل لم ينقل إلى الأندلس لأن المؤرخين اللاحقين لم يطلعوا عليه، بل ويذكرونه بعناوين مختلفة [٣] . وقد أولى القراءون كذلك أهمية للتأليف المعجمي وألفوا بعض المعاجم وأطلقوا عليها اسم أكاررون، لعل أكثرها أهمية كتاب جامع الألفاظ لداوود بن أبراهام الفاسي [٤] .

ونستنتج مما سبق أن الفضل في التأليف

النظام الخليلي: يقدم كتاب «العين» للخليل [٩] على الأسس الثلاثة الآتية وهي:

١ - الترتيب الصوتي .

٢ - نظام التقاليب .

٣ - نظام الأبنية .

وإذا عقدنا مقارنة سريعة بين هذا المعجم وكتاب الأصول لابن جناح فإننا سنخرج بالخلاصات التالية:

أ - نظام التقاليب :

رغم أن ابن جناح لم يتبع هذا النظام في ترتيب المادة اللغوية فالواضح أنه كان ملما بكل أبعاده ومرامي، هذا ما يمكن استخلاصه على الأقل في كتاب اللمع حيث يقول: «اعلم أن الحرفين لا يتركب منهما إلا كلمتان كما يتركب من الميم والجيم «جم» «مج» لا غير، وأن الثلاثة أحرف يتركب منها ست كلمات وربما كان بعضها ملغى مثلما يتركب من العين والباء والراء (٠٠٠) . وأن الأربعة الأحرف يتركب منها أربعة وعشرين كلمة يستعمل أقلها ويبلغ أكثرها مثلما يتركب من الكاف والراء والسين والميم (٠٠٠)» [١٠] . تماثل هذه القول ما جاء في كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهي: «اعلم أن الكلمة الثنائية تنصرف على وجهين نحو دق شد دش والكلمة الثلاثية تنصرف على ستة أوجه وتسمى مسدوسة» [١١]

ب - نظام الأبنية :

يقول ابن جناح: «وكذلك جعلت رتبة الألفاظ الثنائية المتضاعفة قبل رتبة الثنائية الغير متضاعفة» [١٢] . ويتبع هذا الترتيب: الألفاظ الثنائية المتضاعفة -

لابن برون [٦] في المرحلة الأولى، ويتميزان كذلك بميل شديد نحو المقارنة اللغوية.

ودون الدخول في تفاصيل عن المنهج المقارن في الدراسات اللغوية العبرية الذي سنخصصه ببحث في وقت لاحق إن شاء الله، فإننا سنركز في هذه الدراسة على تأثير المعجميين العرب القدامى على التأليف المعجمي عند اليهود .

كان هذا التطور الذي مس الحركة اللغوية العبرية جزءاً من ازدهار الحضارة العربية الإسلامية آنذاك . ويعدُّ العصر الأندلسي، على وجه التحديد، العصر الذهبي الثاني للغة العبرية وآدابها وفلسفتها ويحوتها الدينية، بل ربما لم يسبق للثقافة اليهودية أن رأت عصراً مثل هذا العصر فيما سبق من تاريخها [٧] . وسواء في مرحلة تأسيس النحو العبري أو في مرحلة ازدهاره فإن اعتماد النحاة واللغويين اليهود على المصادر العربية كان ثابتاً ومنتظماً . ولقد رأينا في دراسة سابقة أن ابن جناح لا يقتفي فقط النحاة العرب في مناهجهم، بل إنه أحياناً يأخذ نصوصاً كاملة من معجم «العين» للخليل و«كتاب» سيبويه و«مقتضب» المبرد . أما حيوج المعتصب لمناحيم بن شاروك المعتصب للغة العبرية وأحد أشد المدافعين عنها، لم يستطع الاستغناء عن غنى الثقافة العربية فأخضع اللغة العبرية ذاتها لمناهج النحاة العرب [٨] .

بعض مظاهر التأثير العربي

في المعاجم العبرية:

وفي مجال التأليف المعجمي تمثل التأثير العربي في ما يلي:

* * المعجم

العبري لم

يستطع

الاستفناء

عن المعجم

العربي

والثقافة

العربية.

* * ابن

برون

يستخدم

نفس

الكلمات

العربية

الواردة في

قاموس

الفيروز

آبادي.

الألفاظ الثنائية غير

المتضاعفة - الألفاظ

الثلاثية المتضاعفة -

الألفاظ الثلاثية غير

المتضاعفة.

ومن المعلوم أن هذا

الترتيب مستمد من

المصادر المعجمية

العربية.

أما الترتيب الذي

اعتمده ابن جناح في

كتاب «الأصول» فهو -

خلافاً «للعين» - الترتيب

الألفبائي. ولا يوجد أي

دليل على أن أصوله

عربية [١٣].

المصادر العربية في

كتاب «الموازنة» لابن

برون:

اعتمد ابن برون -

وهو من نحاة الربع

الأخير من القرن الحادي

عشر - في كتابه «الموازنة

بين اللغة العبرانية

والعربية» على المصادر

العربية، فهو لا يحيل فقط

على القرآن الكريم كما

فعل يهودا بن قريش

وحي كاؤون ويهودا بن

بلعم، وإنما أيضاً على

الآداب والتراث بما في ذلك مختلف اللهجات العربية،

وربما لهذا السبب كان يُصنّف كتابه مقاطع كاملة

مستقاة من المصادر العربية.

ونشير في هذا الصدد إلى أن س. ابنتاين لم

يفلح في تحديد المصادر العربية لكتاب الموازنة حين

قال: أن ابن برون يستخدم نفس الكلمات العربية التي

يحتوي عليها قاموس الفيروزبادي، يبدو أنهما معا -

كما هو الشأن كذلك بالنسبة لابن جناح - رجعوا إلى

نفس الكتاب [١٤]، وذلك لأن الفيروزبادي من معجمي

القرن الرابع عشر (١٣٢٩ - ١٤١٥) وقاموسه يعتمد

خصوصاً على «الحكم» لابن سيده و«العباب»

للساغاني.

إن المصادر العربية التي رجع إليها ابن برون

تتمثل في كتاب «العين» للخليل و«المقاييس» لابن

فارس، وللتدليل على ذلك نورد الأمثلة التالية:

المثال الأول:

- ابن برون: «(أب) فيجانس الأب الذي هو المرعى،

قال الشاعر:

جئنا قيس ونجد دارنا

ولنا الأب به والمكرع» [١٥]

- يهودا بن قريش: «(أب) وتفسيرها ثمرة وكذلك

هي أيضاً بلسان العرب يقولون في الجنة فاكهة وأبأ

يعني ثمرة» [١٦].

- ابن فارس: «قال الخليل وأبو زيد: الأب المرعى

وأشدد ابن دريد:

جئنا قيس ونجد دارنا

ولنا الأب به والمكرع» [١٧]

المثال الثاني:

- ابن برون: «(إجلي طل) فسر فيه دقيق الطل وهي

لفظة لا اشتقاق لها في النص، وغذا كان كذلك فيمكن

ومثله (أجفيخ) أي جماعتك، ولا محتاج بهذه الترجمة الى الخروج عن حقيقة اللفظ والمعنى كما فعل من ترجمها أجنة وشبه العساكر بها» [٢٤].

- ابن فارس: «أما قولهم للجماعة الكثير من الناس جَفَّ، وهو في قول النابغة:

في جف ثعلب واردي الأمرار

فهو من هذا: لأن الجماعة ينضوي إليها ويجتمع، فكانها مجمع من يأوي إليها» [٢٥].

خلاصة:

إن الغاية من تحديد المصادر العربية في التأليف المعجمي العبري هي أولا الوقوف على ذلك الثراء المدهش الذي طبع الحركة اللغوية العبرية في الغرب الإسلامي، وثانيا قراءة تاريخ النحو العبري بعيون عربية. فهو في آخر المطاف جزء من التراث العربي القديم.

الهوامش:

(*) هذه المقالة جزء من بحث مستفيض في تاريخ النحو العبري.

Berges, Jean Leandre et Dov Ben (١) Alexander Goldberg: "Rabbi Yahu-daben Koreisch, Risala, B.Duprat et A.Maisonnette, 1857, Paris.

W. Jacques Van Bekkum: "the Ri-sala of Yahuda Ibn Quraysh and its Place in Hebreu linguistics in the History of linguistics in the Neare East", Jahn Benjamins Publishing Company, 1983, Amsterdam/ Philadelphie.

Voir aussi Katz, Moshe: "Iggeret R Yehuda Ibn Quraysh", 1950, Je'rusalem. (en H'ebreu).

أن يكون مجانسا للمأجل وهو حوض يحبس فيه الماء، كأنه استعار للطل حوضا كما استعار للثلج والبرد مخازن في قوله (١٠٠)» [١٨].

- ابن فارس: «المأجل شبه حوض واسع يؤجل فيه ماء البئر أو القناة أياما ثم يفجر في الزرع والجمع مأجل، ويقولون أجل لنخلتك اجعل لها مثل الحوض، فهذه هي الأصول وبقيت كلمتان إحداهما من باب الإبدال وهو قولهم أجلا ما لهم يأجلونه أجلا أي حبسوه» [١٩].

- الخليل: «والأجل شبح حوض واسع يؤجل فيه ماء البحر وماء القناة المحفورة أياما ثم يفجر في الزرع وهو بالفارسية طرخة والجمع مأجل. والأجل مصدر قولك أجلا إبلهم يأجلونها أجلا أي حبسوها في المرعى والأجل الضيق أيضا» [٢٠].

المثال الثالث:

- ابن برون (أجم ميم) «أجمة وهي منبت الشجر كالغيضة والجمع أجام. ولقد أجاد الحكيم أبو الوليد رحمه الله في ترجمته (وإت ها أجميم شرفو بإش وأنشي) حصونا، فالعرب تقول للحوض أجام وأحدهما أجم بضم الهمزة والجيم مثل أطم وأطام وهي الحصون أيضا بلغة الحجاز» [٢١].

- ابن فارس: «أجم لا يخلو من التجمع والشدّة، فأنما التجمع فالأجمة وهي منبت الشجر المتجمع كالغيضة والجمع أجام وكذلك الأجم وهو الحصن ومثله أطم وأطام» [٢٢].

- الخليل: «الأجمة منبت الشجر كالغيضة» [٢٣].

المثال الرابع:

- ابن برون: «(وكل أجفيو إزره لكل روح) ترجمته جففة والجفة والجف جماعة من الناس. قال النابغة: في جف ثعلب واردي الأمرار

(١٣) حسب أدولف نوياور فلان الربى زماش بن بالفاتي
ألف كتابا حول التمود متبعا فيه الترتيب الألفبائي.

"Notice sur la lex- icographie" لمزيد من المعلومات انظر ص ٤٥٧.

S.Eppenstein: "Ishaq Ibn Baroun (١٤) et ses comparaison de l'h'ebreuavec l,arabe", Revue des Etudes juives, 1900, n=81, p 245.

(١٥) ابن برون: الموازنة، ص ٢٦.

البيت الشعري لحنم بن نويرة وهو من بحر الرمل.

(١٦) يهودا بن قريش: الرسالة، ص ٠٢. {فاكهة وأبأ} الآية
٣١ من سورة عبس.

(١٧) ابن فارس: مقاييس اللغة، دار الجيل ١٩٩١، بيروت
ص ٦.

(١٨) ابن برون: الموازنة، ص ٢٧ - ٢٨.

الترجمة العربية للشاهد العبري «قطرات الندى» أيوب

(٢٨ - ٢٨).

(١٩) ابن فارس: مقاييس اللغة، ص ٦٤ - ٦٥.

(٢٠) الخليل: العين، ص ١٧٩، ج ٦.

(٢١) ابن برون: الموازنة، ص ٢٧.

الترجمة العربية للشاهد العبري: «عيون مياه» المزامير

(١٠٧ - ٣٥).

الترجمة العربية للشاهد العبري: «والمعاقل احترقت

بالتار» إرميا (٥١ - ٣٢).

(٢٢) ابن فارس: مقاييس اللغة، ص ٦٥.

(٢٣) الخليل: العين، ص ١٩٤.

(٢٤) ابن فارس: مقاييس اللغة، ص ٤١٦.

(٢٥) ابن برون: الموازنة، ص ٢٨.

الترجمة العربية للشاهد العبري: «وكل جيوشهم أنزريهم

لكل روح» حزقيال (١٤ - ١٢) ونشير الى أن هذه

الترجمة التي تتفق مع ما يذهب إليه يهودا ابن قريش

تختلف تماما عن ترجمة ابن برون لنفس الشاهد. فابن

برون يترجم أجافيو، كما رأينا، بالجماعة.

Neubauer, Adolphe: "Notice sur la (٣) lexicographie h'ebraique", Journal Asiatique, 1861, P 463.

Skoss, Solomon, "Kitab jami' al- (٤) alfaz" de David ibn Abraham Alfasi, 2 Vol, New Haven: Yale Univ press, 1936-1945,

Neubauer, Adolphe: "The Book of (٥) Hebrew Roots by Abu L-walid Marwan Ibn Janah., At The Clarendon Press, Oxford, 1875.

Paul K.Kokowzoff: "Kitab al- (٦) muwazana" D'Abu Ibrahim Ishaq Ibn Barun, Imeratorskaja Akademija Nauk, Petersburg, 1893.

(٧) أحمد شحلان: من الفكر الفلسفي اليهودي العربي: أبو
عمران موسى بن ميمون وكتابه دلالة الحائرين، مجلة
كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة محمد الخامس،
الرباط، العدد الخامس والسادس ١٩٧٩، ص ٢٠.

Said, Gafaiti: "Trait'es de lin- (٨) guistique juive et ses sources arabes au moyen age (occident Musulman), sous la direction de Haim Zafrani et puis Ephtaim Riveline, th'ese de doctorat (N.R), paris V111, 1993.

(٩) انظر حسين نصار: «المعجم العربي: نشأته وتطوره»،
دار مصر للطباعة، القاهرة ١٩٦٨، ج ١.

Derenbourg, Joseph: "Le livre des (١٠) parterress fleuris", F.Vieweg, Libraire-Editeur, paris, 1886, p 30.

(١١) الخليل بن أحمد الفراهيدي: «العين»، تحقيق مهدي
المخزومي وإبراهيم الامرائي، مؤسسة الأعلمي
للمطبوعات، بيروت ١٩٨٨.

(١٢) كتاب الأصول الذي سبق ذكره في الهامش ٥، ص
١٢.



إحذر مفاجآت الطريق



الالتزام
بالتعليمات أمان
لك ولأسرتك
والمجتمع
فاحرص على اتباعها

مع تحيات **خالد عفا** مجلة العرب الأدبية

تصدر عن دار المنهل للصحافة والنشر المحدودة

المركز الرئيسي جدة رمز بريدي ٢١٤٦١ ص ب ٢٩٢٥ ت ٦٤٣٢١٢٤ فاكس ٦٤٣٨٨٥٣

كراهية وجرائم :

إن التحليل النقدي لمسرحية «اليهودي المألطي» التي كتبها الكاتب المسرحي الإنجليزي الكبير كرسستوفر مارلو (١٥٦٤-١٥٩٣) في عام ١٥٩٠م، المستند الى دراسة لأفعال الشخصية الرئيسية براباس ولأقواله ولأقوال الشخصيات الأخرى عنه، يبين أن مارلو كان مهتما جداً بتجسيد مخزون الكراهية الشديدة التي تعتمل في نفس براباس، ممثل الصهيونيين في المسرحية، والتي تفجر فيها طاقة خارقة تولد أفعالا شريرة من أنواع شتى، يوجهها ضد الأفراد وضد جماعة المسيحيين المألطين التي يعيش في وسطها وضد جماعة المسلمين. وهذه الكراهية الشديدة المخزونة في نفس براباس تمثل في المسرحية خصلة البغضاء المفرطة التي يحملها الصهيونيون في كل العصور ضد البشرية غير اليهودية.

يقول براباس عن نفسه إنه «يقذف اللعنات القاتلة على هؤلاء المسيحيين كأنه غراب الشؤم يدق للمرضى أجراس موتهم من تجويف منقاره، وينثر الأوبئة من جناحيه القاتمين في عتمة الليل الساكن» (الفصل الثاني: ٦٤٠ - ٦٤٥) [١].

ومن المعروف أنه عندما تتمخض الكراهية الصهيونية المفرطة عن الكثير من الأذى والشر والخراب للآخرين، فإن الآخرين يردون عادة على الصهيونيين بمعاقتهم، فيستعذب الصهيونيون هذا العقاب، لأنهم يحبون أن يتخذوا منه سبباً للرد بأفعال انتقامية، وببالغون كثيراً بهذا الانتقام، لكي يشبعوا دوافع أنانيتهم، التي يعبر عنها براباس، إذ يقول، مناجياً نفسه: «وما دمت أنا حياً فليهلك كل العالم» (الفصل الخامس: ٢٢٩٢). قال ذلك عندما كان منهمكا في الإعداد لأفطع وأكبر



طرق

الصهيونيين

في تفرغ

كرهيتهم

دراسة في مسرحية
«اليهودي المألطي»

الإجرامية التي تتألف فيها تلك الصورة هي تمثيل لتوجهات الصهيونيين نحو الأغيار في كل عصور التاريخ، ذلك لأن هذه الأفعال هي نفس الأفعال التي ينسبها التاريخ الاجتماعي الأوروبي وغير الأوروبي إلى الصهيونيين، مثل وضع السم في آبار الماء، وممارسة الطب من أجل قتل المرضى الذين يعالجونهم من غير اليهود، وممارسة الهندسة الحربية واختراع وسائل القتل الجهنمية بقصد قتل المحاربين من الجانبين في الحروب، وممارسة الخيانة في البعثات الدبلوماسية، وذلك بالإضافة إلى تعاطي الربا الفاحش في الأمور المالية (الفصل الثاني: ٩٢٩ - ٩٦٥).

أنماط تفريغ الكراهية :

إن عاطفة الكراهية عند الصهيونيين نحو جميع

جرائمه في المسرحية، إذ كان وقتئذ يشرف على عمل النجارين الذين نصبوا البكرات والروافع والحبال التي أراد أن يقتل بواسطتها كاليماث، القائد التركي، ويقتل معه حاشيته.

إن جميع الشرور والجرائم التي يقرّفها براباس في المسرحية هي حصيلة روح الكراهية التي تمدّ طبيعته اللئيمة بالقوة المحركة، والتي تجعله مولعاً دائماً بمقارنة نفسه بالحيوانات المفترسة والضارة. إنه، على سبيل المثال، يقول عن نفسه على أفراد عندما يبدأ بتدبير المكيدة التي يقتل بواسطتها لودوفيك ومائثاس: «الآن سأبرهن على أن للأفعى في طبيعتي نصيباً أكبر من نصيب الحمامة، أي أنني شرير أكثر مني ساذجاً» (الفصل الثاني: ٧٩٧ - ٧٩٨).

جو المسرحية المشحون بالكراهية :

إن الجو الأخلاقي العام لمسرحية «اليهودي المألطي» هو جو الكراهية الشديدة التي يحملها رمز الصهيونيين براباس للمسيحيين والمسلمين. ومن هذه الكراهية تنشأ معظم الأفعال العدوانية التي يقرّفها براباس في المسرحية، ولا سيما أفعال القتل بالفرق وبالجمل.

إن الصورة الواضحة التي يرسمها براباس في البيان الذي يعطيه في الفصل الثاني عن ماضيه الشخصي الإجرامي تعتبر نموذجاً للجو العام للمسرحية، وإن الأفعال



صورة تعبر عن مدى كراهية اليهود للعرب

المدسوس إله العاصفة، وجعلوه فاقداً للوعي والضمير والعقل، يجتاح عدو الصهيونيين على شكل عاصفة، فيأتي على الأخضر واليابس.

يجسد كرسstofرمارلو نزعاً لعنف الشديد والقتل بالمفرق وبالجمل عند الصهيونيين، يجسدها في ممثلهم في مسرحية «اليهودي المألطي» براباس. إن أشد فرح يحصل عليه براباس هو فرحه بعمليات القتل التي ينجزها ويستعمل في تنفيذها براعة فائقة، كما في عملية قتل لوردوفيك وما تياس وعمليات قتل الراهبين برناردين وجاكومو. ويأخذ فرحه عمقاً شديداً خاصاً عندما يشبع عاطفة الكراهية بتدبير مجازر إبادة جماعية. وهكذا فإنه يقول عندما يسمح أجراس الكنائس تدق معلنة عن موت جميع راهبات الدير بالسلم الذي دسّه هو وخادمه إثمور في طعamen: «ليس هناك موسيقى تضارع في عذوبتها أنغام الأجراس التي تدق معلنة وفاة مسيحي. ما أعذب صوت الأجراس وهي تدق الآن معلنة وفاة الراهبات!» (الفصل الرابع: ١٥٠٩ - ١٥١٠).

وأما عن المكيدة الكبيرة التي دبرها لتدمير الجيش التركي بالألغام في نفس الوقت الذي يقتل فيه قائد الجيش وضباطه بحيلة «ميكانيكية تجعلهم يسقطون في قدر ماء غال فإنه يقول فرحاً، مناجياً نفسه: «ياالفرحي! أليست تجارة رائعة أن اشتري المدن بالغدر ثم أبيعها بالخديعة؟ أخبروني أيها الناس إن كان أحد ما قد قام بتزييف أروع من هذا التزييف ونفاق أعظم من هذا النفاق» (الفصل الخامس: ٢٣٢٩ - ٢٣٣٣).

ضرب الشعوب ببعضها البعض :

إن الصهيونيين يعرفون بالغريزة وبالتواتر التاريخي أن العنف اللامتناهي الذي يريدون وقوعه في المجتمعات غير اليهودية، إشباعاً لعاطفة الكراهية المتأصلة في نفوسهم، لا يمكن أن يأخذ الأبعاد الكبيرة

بني البشر عميقة جداً، وهي بحاجة دائمة إلى أن يفرغوا. وبناء على ذلك فإنهم ينظمون أنفسهم دائماً على أشكال تسمح لهم بأن يدبروا عمليات تفريغ كراهيتهم بطرق فعالة تؤدي إلى أعمال ذات فظاعة رهيبة.

عنف ليس له حدود :

النمط الأول من أنماط تفريغ عاطفة الكراهية هو اتخاذ العنف الشديد سلاحاً للانتقام. إن كرهه الصهيونيين للأغيار يولد فيهم رغبة جامحة لتبني العنف ضد أولئك الأغيار، وهو في الغالب عنف لا يقف عند حد سوى حد إبادة الجماعات غير اليهودية التي يرون أن وجودها متضارب مع أهدافهم في الاستغلال والاستعباد.

وهذا الاتجاه في الإبادة هو الاتجاه الذي يسير فيه براباس في مسرحية «اليهودي المألطي» من بداية الفعل المسرحي حتى نهايته. كيف لا يعتمدون سياسة العنف بلا حدود وهم الذين يعتقدون دائماً أن إلههم «يهوه» يأمرهم بهذه الإبادة الشاملة للشعب الذي يقاوم خطتهم الشريرة، وأنه قد ودهم بالأشتراك معهم في القتال وفي إبادة الكبار والصغار من خصومهم من غير رحمة ولا هوادة.

إنهم يحلون قتل الأغيار، أفراداً وجماعات، لأن القتل في نظرهم هو أكثر الأفعال إرضاء لعاطفة الكراهية الراسخة في نفوسهم. وهم يستلهمون هذه العقيدة على الدوام من التراث الديني الذي كتبوه بأيديهم وسمّوه «العهد القديم»، وأيضاً من التلمود ومن الكتب الدينية الصهيونية الأخرى.

إن العنف بلا حدود شيء مجبول عليه كيانههم الأساسي، ولهذا السبب فإنهم عندما زوروا التوراة اليهودية جعلوا صفة العنف واحدة من أبرز صفات إله الذي صورّه لهم خيالهم المريض على هوى ميولهم الطبيعية، إذ أنهم سموه في ذلك الإله الديني



التي يرغبونها إلا إذا أمسكوا بزمام الشعوب والطوائف المختلفة وضربوا بعضها بالبعض الآخر، عن طريق التآمر، وعن طريق التحالف مع هذا الطرف من أطراف النزاع اليوم، ومع الطرف المعادي له غداً، وهلمّ جرا .

إن سلوك إبراباس في مسرحية «اليهودي المالطي» يمثل هذه الخصلة الصهيونية، خصلة خيانتهم للحليف الذي يثق بهم، فهو يتحالف مع قائد الجيش التركي كاليماث ضد مالطة، أملاً منه في أن يدمر الجيش التركي المدينة، إنه يقول مناجياً نفسه، بعد أن يفقد من التخدير الذي أصابه من جرّاء تناوله عصارة الخشخاش وتفتح الجن عامداً «سأنتقم من هذه المدينة الملعونة، وسأكون وسيلة كاليماث في دخوله إليها . لسوف أساعد على

ذبح نسائهم وأطفالهم، وعلى حرق كنائسهم، وهدم بيوتهم» (الفصل الخامس: ٢٠٦٤ - ٢٠٦٧). ولكنه ينقلب على الأتراك بعد احتلالهم للمدينة بوقت قصير، من غير أن يصدر عنهم ما يبرر ذلك الانقلاب، ويتحالف سرا مع فرنريزي حاكم مالطة السابق ضدّهم .

إن هدفه الأساسي من تغيير حلفائه هو جعل المسلمين والمسيحيين يضربون بعضهم بعضاً . إنه يقول بهذا الصدد: «على هذا النحو سادبر الأمور . فلاذنتي لا أحب المسلمين والمسيحيين، أحسن صنعاُ إذ أعيش معهما كليهما، وسأجني الأرباح من مكائدي، وأني واحدة من الطائفتين تدرّ عليّ أرباحاً أكثر تغدو حليفة لي . هذا هو نوع الحياة التي اعتدنا نحن الصهيونيين أن نحياها، وهي معقولة» (الفصل الخامس: ٢٢١٢ - ٢٢١٨). وهذا النشاط التأمري

الذي يمارسه إبراباس، يرمز به مارلو الى نشاط الصهيونيين المتجه دائما الى ضرب طائفة المسلمين وطائفة المسيحيين إحداهما بالأخرى، والى ضرب الفرق والشعب داخل كل طائفة ببعضها البعض .

إن إبراباس لا يجد أيّ حرج في خيانة الحليف الذي يتحالف معه، وفي نقض عهده معه بالتحالف مع خصمه، وهكذا فإن الحاكم فرنريزي يلخص توجهات إبراباس كلها، ولا سيما توجهاته في تدبير مكيدة بيع الجيش المالطي أولاً، ثم بيع الجيش التركي ثانياً، في نهاية المسرحية، فيقول لكاليماث: «تلك مجاملة صهيونية، فبراباس الذي عمل بغدره على سقوطنا، هو نفسه الذي سلمكم بغدره إلينا» (الفصل الخامس: ٢٣٩٤ - ٢٣٩٦).

إن مسارعة جماعة الصهيونيين للتحالف مع الطرف القوي الذي يتوقعون منه أن يضمن لهم تحقيق

الأخر، وثانياً بإدخال الرب إلى قلب كل منهما من أن الآخر عازم على قتله، وثالثاً بإرسال رسالتي التحدي إليهما.

إن بلاميرا تبين مسؤولية براباس القانونية عن فقدان الشابين لروحيهما، إذ تقول لفرنيزي عن مقتل ابنه لودوفيك: «لم يقتله ماثياس». اليهودي براباس هو الذي قتله» (الفصل الخامس: ٢٠١١ - ٢٠١٢).

ويتضاعف شر هذه المقدرة الشيطانية آلاف المرات، مقدرة الصهيونيين على ضرب أطراف النزاع ببعضها البعض، عندما يتعلق الأمر بإثارة حرب بين دولتين. يقول براباس عندما يسمع من اليهود الثلاثة عن وصول الأسطول التركي إلى ميناء ماطة: «حسناً... فليأتوا ما داموا لا يأتون لحرب، وليحاربوا، فسنكون نحن المنتصرين (على انفراد)». كلا، فليحاربوا وينتصروا، وليقتلوا الجميع على أن يبقوا

مصالحهم ضد الطرف الثالث هي صفة تقليدية من صفاتهم، وغرضهم من ذلك هو دائماً ضرب الطرفين أحدهما بالآخر. وهذا التوجه يجلب إلى نفوسهم سروراً كثيراً. ولكن الادعى إلى سرورهم هو تحريض طرفين سرا على التقاتل فيما بينهما وبقاعهم في موقع المتفرج من وراء ستار.

إن الحادثة التي يحرض فيها براباس كلا من لودوفيك وماثياس على قتل كل منهما لصاحبه ترمز إلى هذه القدرة الشيطانية عند الصهيونيين. يزور براباس رسالتي تحد للمبارزة بالسيف يكتبهما بيده ويرسلهما إلى الشابين الصديقين، فيظن كل منهما أن صديقه هو الذي كتب إليه متحدياً، ويتلاقيان في مبارزة تنتهي بمقتل الاثنين. إن كلا من الشابين هو قاتل صاحبه في الظاهر، وأما في الحقيقة والجوهر فإن براباس هو قاتلهم، لأنه غسل دماغ كل منهما، أولاً بإيهامه كلا منهما أنه يرغب به زوجاً لابنته دون



على وعلى ابنتي وثروتي» (الفصل الأول: ١٨٩ - ١٩٢).

التسميم :

إن عدوانية الصهيونيين التي تضرب جذورها في أعماق التاريخ والتي تتغذى من طبقة اللاوعي في السيكولوجية الجمعية الصهيونية التقليدية تجعلهم لا يترددون في استعمال أفظع أنواع القتل للتخلص ممن يغيظونهم، وهم أتباع الديانات الأخرى وأبناء الشعوب من غير اليهود. من هذه الطرق الفظيعة في القتل استعمال السموم.

كان الأديب كرسstofرمارلو والأدباء والمفكرون الآخرون يعرفون الكثير عن شهوة تسميم الناس التي اشتهر بها الصهيونيون. وهكذا فإن قارئاً مسرحية «اليهودي المالطي» يلاحظ أن مارلو يتناول موضوع استعمال رمز الصهيونيين براباس للسموم في كثير من حوادث المسرحية من أجل تغريغ عاطفة الكراهية الشديدة المتقدة في نفسه ومن أجل تصفية الذنوب بقر تصفيتهم. يقتل براباس خادمه إثمور وحليفه الجديدين بلاميرا وبيليا بورزا بالسّم الذي رشه على باقة الزهور التي ثبتها على قبعته وبخل بها عليهم متخفياً في زي موسيقار فرنسي، وكان هذا السّم من النوع ذي التأثير السريع، إذ جعلهم «يهمدون كما تهمد الخبيزي» (الفصل الرابع: ١٩٥٠ - ١٩٦٣).

تعتبر هذه الحادثة من عمليات التسميم الفردي. أما مكائد التسميم التي تدخل سروراً أعظم إلى نفوس الصهيونيين، والتي اشتهرت عنهم في التاريخ، فهي التي يدبرون بوساطتها جرائم القتل الجماعي.

وهكذا نلاحظ أن خيال براباس يوحى إليه بلفظ عبارات التسميم الجماعي حتى في كلامه عن الجرائم التي سوف ينفذها بطرق غير طريقة التسميم، إنه، على سبيل المثال، يقول عن نيته تصفية لودوفيك ابن الحاكم: «ليس له عندي إلا سم المدينة والجذام الأبيض» (الفصل الثاني: ٨٠٤ - ٨٠٥).

حادثة التسميم الكبيرة التي ترمز في المسرحية إلى شهوة تسميم جماعات بكاملها دفعة واحدة عند

بني صهيون هي جريمة قتل راهبات الدير كلهنّ بالسّم. كان براباس قد نوى من قبل قتلهنّ حرقاً، فهو يقول على انفراد في أثناء حديثه وبين لودوفيك: «وأمل أن أقوم قبل مضي وقت طويل بإشعال النار في الدار، فأني وإن كان عددهنّ يزداد حالياً سأنفذ حكمي على ذلك الدير» (الفصل الثاني: ٨٥١ - ٨٥٣).

وربما كان سبب تفكيره في اللجوء إلى طريقة الحرق هو أنه وضع لهنّ سماً في طعامهنّ مرة في كل عام من الأعوام السابقة، ولكن السّم لم يصل بهنّ إلى النتيجة المطلوبة في المرات السابقة. ومع ذلك فإن براباس عاد فاختر في هذه المرة طريقة السم المحببة إلى نفوس الصهيونيين، وحرص على أن يكون مسحوق السم الذي مزجه مع ثريد الرز الذي أرسله إليهنّ شديد الفاعلية، فهو «مسحوق نفيس اشترته مرة من طلياني في أنكونا، وهو يشلّ الجسم ويفسده ويسمّمه تماماً، وإن كان أثره لا يظهر إلا بعد أربعين ساعة من تناوله» (الفصل الثالث: ١٣٧١ - ١٣٧٥).

كان كرسstofرمارلو والأدباء الأوروبيون الآخرون في عصر النهضة الأوروبية يستندون إلى الواقع الذي كانوا يلاحظونه في المجتمعات التي يقيم فيها الصهيونيون، في كتاباتهم الأدبية عن جرائم التسميم الفردي والجماعي التي كان بعض الصهيونيون يقترفونها، كما كانوا يستندون أيضاً إلى الأخبار الفظيعة المتواترة التي كانوا يسمعون روايتها عن تلك الحوادث أو يقرأون عنها.

فقد تناقل الأوروبيون أخباراً مرعبة كثيرة عن قيام بعض الصهيونيين، بأمر من رؤساء مجالسهم، بوضع السموم في الآبار والينابيع وجداول الماء، وبوضع المواد الوبنة على مقابض أبواب البيوت بقصد نشر الأوبئة بين المسيحيين، وعلى الأخص مرض الطاعون. وكان هناك مختصون من الصهيونيون بتدبير هذه النشاطات المهلكة. وكان براباس يعتبر نفسه واحداً من هؤلاء المختصين، منذ أيام شبابه، فهو يعدّد لخادمه إثمور ممارساته في مجالات القتل، ويذكر من بينها أنه «في بعض الأحيان أخرج لأدس السّم في آبار الماء» (الفصل الثاني: ٩٤١).

بعثة عسكرية من وزارة الدفاع الإسرائيلية على تدريب عصابات مهرّبي المخدرات في كولومبيا على الأعمال العسكرية، واشترك الصهيونيين في تنظيم تجارة المخدرات في أمريكا الجنوبية وأمريكا الوسطى وعلى الأخص بنما، وفي تهريب هذه المواد إلى الولايات المتحدة الأمريكية وإلى أقطار أخرى كثيرة.

ذبح آدميين من أجل دمهم:

ومن بين الأفعال الصهيونية الفظيعة الأخرى التي تواترت قصص واقعية عن ارتكاب الصهيونيين لها، تفرغاً للكراهية، مرأت كثيرة متكررة في الزمان والمكان، جريمة قتل صبيان من غير اليهود من أجل استنزاف الدم من أجسادهم، لكي يعجن العجين الذي يصنعون منه فطيرة عيد الفصح اليهودي بذلك الدم.

إن عدد حوادث ذبح الصهيونيين للأطفال التي كشفت وبنوت في سجلات الأحداث في أوروبا الغربية هو مئة وخمسون. إن الصهيونيين يعتقدون أن الدم الإنساني، وعلى الأخص دم الأطفال، له قيمة طبية، ويعتقدون أيضاً أن ذبح شخص من غير اليهود ومزج طحين فطير عيد الفصح اليهودي به هو واجب ديني يقومون به ضمن ما يؤدونه من طقوس دينية، وبناء على ذلك الاعتقاد السخيف الذي ليس له من أساس إلا روح الكراهية كانوا يسرقون أطفالاً مسيحيين في المدن الأوروبية ويستعملون دمهم في تلك المناسبة. وكثيراً ما كانوا يستعملون بناتهم طعاماً في تنفيذهم لجريمة السرقة هذه. ومن الواضح أن براباس استعمل بنته أبيجيل طعاماً في مسرحية «اليهودي المألطي» من أجل قتل لودوف وماتياس، ولكن من غير أن يعرفها بالغرض الحقيقي الذي كان يسعى إليه. إن جريمة ذبح الصهيونيين للأطفال كانت على الدوام في مخيلة الأوروبيين. فعندما يخبر الراهب برناردين زميله الراهب جاكومو أن أبيجيل قد أوصت قبل موتها أن يذهب الراهبان إلى أبيها ويهدياه، فإن أول ما يتبادر إلى ذهن جاكومو من جرائم ارتكبتها براباس هو ذبح طفل؛ يقول على الفور: «ويل له! هل صلب طفلاً؟» (الفصل الثالث: ١٥٠٥).

وكان الأطباء الصهيونيون يجتمعون في مواسم معينة، ويتفاخر كل واحد منهم بعدد الذين قتلهم من المسيحيين بهذه الأساليب. وقد استخدم بعض أطباؤهم مقدرتهم على القتل بالسّم في تأمرهم مع هذا الطرف أو ذاك من أطراف التنافس على المراكز السياسية العليا، فقاموا مع المتأمرين على أرواح الملوك والوزراء. لقد اشتهر من هؤلاء المتأمرين الصهيونيين في التاريخ الإنجليزي طبيب صهيوني برتغالي الأصل كان يخدم الملكة إليزابيث الأولى، فقام مع خصومها على قتلها بالسّم، واسمه الدكتور لوبيز. إن إحدى شخصيات جون مارستون (١٥٧٥ - ١٦٢٤م) «الناعم» يسأل مالفيل: هذا السؤال: «هل تستطيع أن تقتل بالسّم؟». فيجيب مالفيل: «نعم، بطريقة ممتازة. ما من صهيوني ولا بائع أدوية ولا مكافيلي يستطيع أن يبذني في ذلك».

والسموم التي يستعملها الصهيونيون أنواعها كثيرة، منها ما يقتل على الفور، ومنها ما يفعل في الجسم والعقل والنفس فعلاً سيئاً بطيئاً، فمن المعروف أن التجار والمخطفين للفساد العام من بني صهيون يمكرون ببناء الطوائف الدينية الأخرى في كل الزمان، فيوزعون عليهم على نطاق واسع مواد الاستهلاك التي تضر بصحتهم، ويشيعون استعمالها، مثل الأفيون والعقاقير الأخرى المخدرة، ومثل المشروبات المسكرة، فيكون لتلك المواد في أجسام أفراد تلك الجماعات وفي عقولهم تأثير مثل تأثير السموم البطيئة. إن كرستوفر مارلو ثبت أنه واع لهذا النوع من الخطر الصهيوني عندما يجعل براباس يذكر أمام الراهبين أنه يملك «مخازن تجارية كبيرة معبأة بالقوالب وبالمخدرات» (الفصل الرابع: ١٥٧٢).

وبناء على هذا فإن واحداً من السبل الجيدة لإنقاص خطر هذا النوع من الإفساد الصهيوني على البشرية هو أن يتعاون الباحثون والمؤرخون العرب، ومسئولو دور النشر ومؤسسات الإعلام العربية، على نشر الأبحاث والكتب عن تفاصيله. وكلنا نعرف أن هذا الشر الصهيوني قد أصاب معظم أقطار العالم، وأن بعض البلاد العربية قد كان لها نصيب كبير منه. وآخر حادثة كبيرة من هذا النوع هي حادثة إشراف

الحزنية، ولكن تم اكتشاف الجريمة وإيقافها قبل أن يموت الصبي، ويسبب هذا العمل العدواني جرى ربط كثيرين من اليهود في لندن بذيول الخيول لكي تجرهم وراءها، في يوم عيد الفصح، ثم تم إعدامهم»[٢].

نشر الفساد :

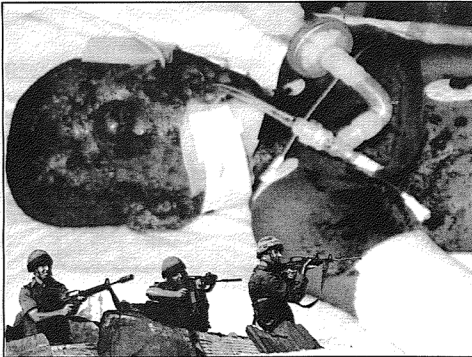
إذا عجز الصهيونيون، أحياناً عن إشباع كراهيتهم الشديدة للأغيار بجرائم مادية يرتكبوها ضدهم، من أنواع التسميم والاغتيال والذبح، فإنهم يعوّضون عن ذلك بإيقاع ضرر أشد، عن طريق نمط آخر من أنماط تقريغ الكراهية المعروفة عنهم، وهو نشر الفساد الأخلاقي والفكري عن عمد في مجتمعات الأغيار، بقصد تخريب الأمم من الداخل.

إن توفر الجمعيات السرية الصهيونية في أغلب دول العالم يجعل إمكانات التخريب الاجتماعي والفساد الأخلاقي والفكري كبيرة لدى الجماعة الصهيونية. إن هذه الجماعة تؤسس الجمعيات السرية الدولية والعالمية وتحملها مهمات إنشاء الحركات الهدامة وإثارة الفتن وحك الدسائس وتسميم العقول وإفساد الأخلاق في المجتمعات غير اليهودية، وهو عمل مخطط ومبرمج صادر عن كراهية الصهيونيين لغيرهم

إن ذبح الصهيونيين للأطفال المسلمين أو المسيحيين من أجل استنزاف دمهم في عيد الفصح اليهودي يجلب لهم سروراً عظيماً، والتفسير السيكولوجي لهذا السرور بهذا العمل الوحشي الهجومي هو أنهم يكرهون الأغيار ويكرهون سعادة أولئك الأغيار بنسلكهم، فيصممون على أن يسلبوهم أعز ما عندهم، ويرمزون إلى نجاحهم في إنفاذ عزمهم عندما يذبحون طفلاً واحداً أو أكثر. والسبب الثاني هو أنهم يعتقدون بحق السيادة على غيرهم لهم وحدهم، ويعبودية أولئك الأغيار لهم، مما يوجب على الآخرين أن يتنازلوا لهم عن أثمن ما عندهم، وهو أطفالهم. ولولا هذا السرور العظيم الذي يحصلون عليه لما أقدموا على المخاطرة بأرواح المئات من الصهيونيين أنفسهم، إذ أن جريمة الذبح تنكشف أحياناً وينتقم المسيحيون أو المسلمون لضحاياهم. فقد كشف السكان المسيحيون في بريطانيا وفي دول أوروبا الأخرى عدداً كبيراً من جرائم ذبح الأبرياء التي كان الصهيونيون يقتربونها في كل عام، وكان هذا الاكتشاف يحدث ردة فعل قوية في الضمير الشعبي.

إن ذبح الصهيونيين، مثلاً (هيو أف لنكولن) و(وليم أف نوروتش) قد شغل جزءاً هاماً من الوعي الشعبي بين من وعي الأدباء

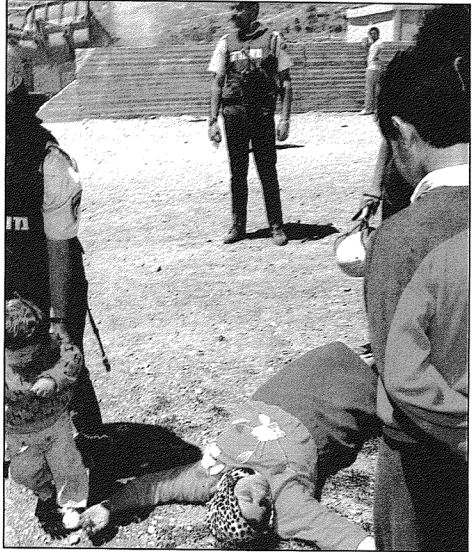
والفنانين في القرون الوسطى. كانت الجريمة التي من هذا النوع تثير عند انكشافها نقمة ثائرة عند السكان المسيحيين، فعلى سبيل المثال، يذكر لنا المؤرخ ستو في كتابه «الحواليات» (طبع في لندن في عام ١٦١٥م)، وهو واحد من أهم المراجع التاريخية في القرن السادس عشر، أن «الصهيونيين في مدينة نورثامبتون شرعوا في جريمة قتل صبي في يوم الجمعة



الصهيونيين الذين يتعاونون فيما بينهم على شر الاحتكار واستغلال ثروات الأمم، وهم «كيرياجيرم يهودي اليونان الشهير، وعبيد في بيرست، ونونز في البرتغال، وأنا في مالطة، ونفر منّا في إيطاليا، وكثيرون في فرنسا، وكل منا ثري». فإنه يذكر نتيجة هذا التعاون على الإثم فيقول: «امنحنا حكماً هادئاً واجعل المسيحيين ملوكاً وهم الذين يتعطشون كثيراً الى الرئاسة» (الفصل الأول: ١٥٧ - ١٧٣).

وهذا القول فيه إشارة من براباس الى السيطرة التي تفرضها الجمعيات الصهيونية السرية على مجريات الأمور الكبيرة من وراء ستار.

لقد كتب أدولف هتلر في كتابه «كفاحي» عن هذا العمل السري من قبل الصهيونيين، كتب يقول: «اكتشفت مع الأيام



أنه ما من فعل مغاير للأخلاق وما من جريمة بحق المجتمع، إلا وليهود فيها يد. واستطعت أن أقيس مدى تأثير «الشعب المختار» في مجال تسميم أفكار الشعب وتخديره وشلّ حيويته، وذلك عن طريق تبعية نشاط الصهيونيين في الصحف وفي ميادين الفنون والآداب والتمثيل» [٣].

ويكبر حجم الشر الذي تزرعه الجمعيات السرية الصهيونية بسبب اهتمامها قبل كل شيء آخر بأن تتآمر مع بعض المسكينين بزمام الأمور في بعض الدول، فتمسك بخيوط السياسة والاقتصاد والإعلام في تلك الدول من وراء الستار، وتحرك الدُمى التي توجه هذه الشؤون الكبيرة، بواسطة تلك الخيوط الخفية، توجيهاً متفقاً مع أهداف الصهيونية في الإفساد

من البشر. وإن السرية في العمل التخريبي الذي تقوم به هذه الجمعيات هي التي تضاعف عشرات المرات مقدار الشر الذي تتمخض عنه نشاطاتها، وهي التي تزيد من حجم الأذى الذي يحصل منها.

يقول سنيكا (٤ ق م - ٦٥ م ب) في الفصل الثاني من مسرحية «ميديا»: «إن الغضب الذي يسره صاحبه يكون شديد الخطر، وأما الكراهية التي يعلنها صاحبها فإنها تفقد فرصة الانتقام». كان كرسطوفر مارلو صاحب تجارب شخصية مكنته من الاطلاع على طرف من هذا التعاون السري الصهيوني في عصره. وهكذا فإنه بعد أن يشير براباس في كلام يناجي به نفسه عن الوضع المالي والسياسي للصهيونيين في العالم، ويعد أن يشير الى أسماء بعض الممولين

في نقل عدوى مرض المادية الى المجتمع المالطي الذي يعيش فيه عن طريق جعل كل أشخاص المسرحية المؤثرين مشغولين مثله بحب المال. لقد تعلموا منه عبادة المال وتكثير الاضطراب الاجتماعي بهذه العبادة، وهو الدرس الذي يقول مكا فيلي في مقدمة المسرحية إن براباس قد تعلمه منه، ولكن الحقيقة هي أنه مبدأ أساسي في تقاليد الصهيونيين منذ أقدم العصور.

كتب كارل ماركس، وهو العارف بعناصر الطبيعة الصهيونية، يقول: «المال هو إله الإسرائيليين المطاع، وأمامه لا ينبغي لأي إله أن يعيش... إن المال هو الجواهر الذي يسيطر على الإنسان ويستعبده. لقد أصبح إله اليهود إلهاً للناس جميعاً، وهذا انتصار لليهود» [٤].

إن اشتغال الصهيونيين على الدوام بالرأب هو أحد عناصر المنهج الصهيوني الهادف الى تخريب الحياة الاقتصادية والنفسية والأخلاقية للجماعات غير اليهودية. إن العالم الذي تصوره مسرحية «اليهودي المالطي» عالم مادي جداً. إن روح المادية المفسدة التي تملأ قلب براباس وعقله قد انتقلت الى من حوله، فأصبح كل من في المسرحية مادياً يابساً جافاً لا يهيمه من الحياة إلا جمع المال واغتصابه من الآخرين. لقد عبروا كلهم عن هذا الانشغال بالمال: الحاكم فرنيزي وفرسانه والقائد التركي والراهبان برناردين وجاكومو وإثامور والمومس وشريكها.

إن الجملة الأولى التي يفتتح براباس بها المسرحية تعبر عن الجو العام لهذه المسرحية، جو الجشع وجمع الأموال. إنه يخاطب نفسه في تلك الجملة قائلاً: «وهكذا فقد تكشف لي أنني قد جنيتُ كثيراً من الأرباح». إن بطل المسرحية براباس هو صهيوني مكار مراوغ، ليس له من صديق، لأن أنانيته وجشعه يأتیان عليه أن يصادق أحداً، حتى اليهود الذين يعيشون في نفس المدينة التي يعيش فيها، ولأن الآخرين يبادلونه العداوة. وهكذا فإن جو المسرحية يشبه جو زنزانة سجن، إن أنانيته تمثل في المسرحية أنانية الصهيونيين، فالصهيونيون أنانيون بطبيعتهم،

والتخريب، وأما الصهيونيون أنفسهم فإنهم يظنون بعيدين عن كل مسئولية لا يريدون تحملها في العلن أمام الشعوب، ولكنهم يستمرون في رسم الخطط في الخفاء لتخريب أخلاق الأمم ومجتمعاتها واقتصادها وسياساتها وثقافتها، وتستمر الدُمى المربوطة بالخيط في تنفيذ تلك الخطط.

إن براباس، على سبيل المثال، يتصرف وفقاً لهذا التوجه الصهيوني عندما يقرر أن يتجاهل العداوة التي نشأت بينه وبين الحاكم فرنيزي بسبب الجزية، وأن يعيد ارتباطه به من أجل استخدام هذه العلاقة في تحقيق أغراضه، فيقول: «وسأعيش هنا رغماً عن مالطة، يؤيدني فرنيزي الذي سأمكك قلبه، نعم وقلب ابنه أيضاً، لأنني إن لم أفعل ذلك تعرّضتُ لخطر شديد؛ إنني لا أنتمي إلى أبناء قبيلة ليقي الذين يستطيعون نسيان الأذى بعد وقت قصير، فنحن الصهيونيون نستطيع أن نتذلل كالكلاب عندما نريد، ولكننا عندما نكشر عن أنيابنا نعض، وإن بقيت هينتنا بريئة براعة الحملان» (الفصل الثاني: ٧٧٦ - ٧٨٣).

إن مئات مليارات الدولارات التي اقتطعتها حكومات الولايات المتحدة الأمريكية وبعض الدول الغربية الأخرى من أموال شعوبها وحولتها الى الخزينة الصهيونية من أجل استعمالها في توطين المهاجرين الصهيونيين في فلسطين، في القرن الحالي، وفي تسليحهم، هي مثال على هذه السيطرة الخفية من جانب الجمعيات السرية الصهيونية على بعض المسكين بزماء الأمور في تلك الدول. إن هذا الدعم الهائل المستمر منذ أكثر من سبعين عاماً لم يصدر عن مشاعر إنسانية أو عن مودة من شعوب تلك الدول نحو الصهيونيين، وإنما العكس هو الصحيح، إذ أن مشاعر أبناء تلك الشعوب المغلوبة على أمرها نحو بني صهيون هي المشاعر التي يعبر عنها أدباؤهم الذين يمثلون الفكر الأصلي لدى الأكثرية الشعبية في بلادهم، من أمثال مارلو، مشاعر الخوف والريبة من الطبيعة الصهيونية التقليدية المنحرفة، التي لا تعرف سبيلاً للعيش مع غير اليهود سوى سبيل الكيد والتآمر وبث الفساد الاجتماعي.

لقد صورَ مارلو، على سبيل المثال، نجاح براباس

وهم في نفس الوقت سوداويون، يكرهون أنفسهم ويكرهون الآخرين.

نشر عدم الثقة في المجتمعات :

ومثلما يث الصهيونيون عبادة المال في نفوس الأفراد، فإنهم ينشرون عدم الثقة في المجتمعات غير اليهودية؛ وهاتان الخصلتان الازميتان على كل حال متصلتان إحداهما بالأخرى بعلاقة السببية، ومرتبطتان بخصلة الكراهية. فعندما يغرس الصهيونيون الكراهية في نفوس غير اليهود من أبناء المجتمع تنتشر خصلة عدم الثقة بين الناس، فينظر الفرد إلى الآخرين نظرة ارتياب وشك، ويحيط نفسه بدائرة ملعونة من عدم الثقة تعزله عن الناس، فلا يحب إلا نفسه. إن الشاعر الذي تجري أفعال مسرحية «اليهودي المألطي» طبقاً له هو شعار «انعدام الثقة ونكث العهد» وهو شعار تبثه الجمعيات الصهيونية السرية خلسة في مجتمعات الأغيار، فيسببون لها بثته أشد الويلات. فبانعدام الثقة بين الناس، يصبح القانون حبراً على ورق، ويصبح وازع الضمير الإنساني معطلاً، ويعيش الناس في ما يسمى مجتمعاً واحداً، من غير أن تشدهم رابطة المصلحة العامة إلى بعضهم البعض، يعيشون كالذئاب التي تأكل بعضها بعضاً، ولا يهم كل فرد منهم إلا الكسب الشخصي على حساب الآخرين. ويصبح التبادل الاجتماعي عبارة عن عملية تجارية، فيحاول كل إنسان أن يبيع نفسه بأعلى ثمن ممكن وأن يشتري غيره بأرخص ثمن ممكن، ليس في مجال المادة فحسب، وإنما أيضاً في مجال الأخلاق والاجتماع والسياسة والحرب والسلام.

إن الصهيونيين ينشرون جرائم مرض عدم الثقة في المجتمعات غير اليهودية لأنهم يحملون كراهية شديدة لها ويسعون إلى التأثير منها عن طريق الإصرار على تهديم الروح الإنسانية من الداخل وعلى تخريب النفوس وإفساد العلاقات الاجتماعية.

أوضح مثال في مسرحية «اليهودي المألطي» على

حرص الصهيونيين على أن يحلوا المشاكل الخاصة بهم عن طريق حقن الأغيار بجراثيم مرض عدم الثقة فيما بينهم هو اعتماد رمزهم برباس هذه السياسة في التخلص من الراهبين برناردين وجاكومو، بعدما اطلعا على سر جريمة الأولى، جريمة قتل لودفيك وماتياس، وعلى موضوع التحدي المزور الذي أرسله إلى هذين الشابين. لقد جاء الراهبان إليه ليهدياه إلى الدين المسيحي، بناءً على طلب ابنته، و«ليوبخا ضميره» فيما يتعلق بقتل الشابين، ولكن من المهم جداً أنه قرر فوراً تصفيتهما عن طريق إثارة الفتنة بينهما، وكذلك بين الطائفتين المسيحيتين اللتين ينتميان إليهما، فرمى أمامهما «طعم» ثروته التي خدعهما بأنه سوف يتخلى عنها للدير الذي سوف يتحول إليه بعد تنصره وتوبته، وأوهم كلا منهما بأنه يفضل أن يكون تعميده في دير، وبأن الراهب الآخر عقبة كبيرة في طريق هذه الثروة الوفيرة التي ينوي أن يصبها في خزانة ذلك الدير. وهكذا فإنه أثار بينهما عراكاً دفعهما إليه طمعهما بثروته، ووقعا في قبضته بسبب ضعف نفسيهما الناتج من عدم الثقة بينهما التي بثها فيهما، وكانت النتيجة هلاكهما كليهما على يديه.

خاتمة:

إن مخزون الكراهية الصهيونية الشديدة الذي ترمز إليه أفعال برباس وأقواله في مسرحية «اليهودي المألطي» يتدفق من نفسه مثلما يتدفق نهر يحمل شتى أنواع العنف والشرّ بدلاً من الماء والخير. إن هذا النهر يتدفق في مجراه التقليدي الصهيوني من بداية الفعل المسرحي إلى نهايته محملاً بالسموم وبقتل المدايع وبالألغام وبالبراميل المعبأة بمسحوق البارود وبالأموات والمكائد وبدم القتلى؛ ويجري النهر جرياناً سريعاً نحو مصبه مدفوعاً بقوة عاطفة الكراهية، فيصب في النهاية في بحيرة من الكراهية لا بد لها من أن تحيق ببراباس، رمز الصهيونيين، ولا بد له من أن يغرق فيها، لأن المكر السيئ لا بد له من أن يحيق بأهله، وهكذا فإنه يموت مسلولاً في قدر الماء الغالي الذي

في الوقت ذاته أن تكون تلك الدولة أداة يحارب بها الغربيون أمة العرب وأمة الإسلام.

إن هذا التحول الذي يدخله كرسطوفر مارلو قبيل نهاية المسرحية على مجرى نهر الكراهية الصهيونية الذي سوف يحمل براباس حتماً الى الهلاك هو تعبير فني صادق ودقيق عن جانب هام من جوانب العلاقة التاريخية الأبدية بين الشرق والغرب وعن دور الصهيونيين فيها. يعاني الأوروبيون ضيقاً شديداً من وجود الصهيونيين في بلادهم وخوفاً شديداً من خطر كيدهم على مجتمعاتهم، وقبل أن يصفوا حسابهم معهم يستفيدون من ذلك الكيد الصهيوني إذ يستخدمونه سلاحاً شديد الفتك في صراعهم ضد أهل الشرق. إن الصفحات الأخيرة من مسرحية «اليهودي المألطي» تبين أن كرسطوفر مارلو كان واحداً من المعلمين الأوائل الذين عملوا على نشر مضمون هذا الدرس الخطير في أوساط المجتمعات الأوروبية، بعد أن صاغه في قالب درامي.

الهوامش :

(١) طبعة المسرحية التي استعملتها في هذه الدراسة النقدية هي تلك التي يتضمنها كتاب :

The Works of Christopher Marlowe, edited by C.F. Tucker Brooke (Oxford University Press, London, 1910)

وهي طبعة تعطي لكل سطر من أسطر النص رقماً متسلسلاً. وأما الطبعة الثانية للترجمة العربية التي كتبتها لهذه المسرحية فسوف تنشر قريباً إن شاء الله. الطبعة الأولى نشرت في دمشق في عام ١٩٦٣م.

(٢) أدولف هتler: «كفاحي» ترجمة لويس الحاج (دار بيروت ٢٠٠٠).

(٣) أدولف هتler: «كفاحي» ترجمة لويس الحاج (دار بيروت ٢٠٠٠).

(٤) كارل ماركس: «المسألة اليهودية»، ص ٥٩ من الترجمة العربية.

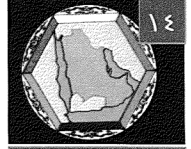
أخفاه تحت أرض الإيوان لكي يسلق فيه كاليماث قائد الجيش التركي ومعه كبار ضباط جيشه.

ومن الجدير بالملاحظة أن أفعال مسرحية «اليهودي المألطي» هي أيضاً تعبير عن شكل ثابت لعلاقة الصهيونيين مع غيرهم، شكل أبدي وتاريخي. ذلك أن الصهيونيين في كل العصور لا يهدأ لهم بال حتى يجعلوا كل علاقة كبيرة لهم شاملة لأصحاب الأديان الثلاثة: الإسلام والمسيحية واليهودية. وذلك من أجل أن يلعب الصهيونيون لعبة ضرب الطرفين الآخرين أحدهما بالآخر، وهذه نقطة سبقت الإشارة إليها.

وهكذا فإن قارئ المسرحية يلاحظ أن براباس يبالغ كثيراً في لعبة تغيير الحليف لكي يسهل على نفسه الاستمرار في ممارسات ضرب المسلمين بالمسيحيين وضرب المسيحيين بالمسلمين. وهذه المبالغة من جانب براباس هي التي توقعه في خطأ كبير، إذ يتحالف في النهاية مع فرنيزي ويتجاهل أنه قد قتل ابن فرنيزي وقتل المئات من أبناء مألطة، وأن جرائم القتل هذه قد انكشفت أسرارها من قبل.

إن زخم عاطفة الكراهية الشديدة هو الذي دفعه الى الوقوع في هذا الخطأ الجسيم؛ وهكذا يسقط براباس في المصيدة التي نصبها هو نفسه لنفسه، ويمكن فرنيزي من أن ينتقم منه لنفسه ومألطة. ولكن فرنيزي يقرر أن يستغل كيد براباس ضد المسلمين، قبل أن ينتقم منه، وذلك بأن يدعه ينفذ خطته الجهنمية التي دبرها للقضاء على الجيش التركي بالألغام التي زرعها في أرض الدير وفي جدرانها، وإيقاع قائد الجيش التركي وضباطه في مصيدة أخرى.

إن استخدام فرنيزي لكيد الصهيوني براباس ضد الجيش التركي وقيادته يشبه الى حد كبير ما يجري في القرن الحالي في مجال العلاقة بين الغربيين والمسلمين والصهيونيين؛ إذ يخفض الأوروبيون والأمريكيون أعداد الصهيونيين المكروهين المقيمين في الأقطار الغربية بوساطة وعد براق بمساعدتهم على لم شتاتهم في دولة واحدة، بعد أن يسرقوا لهم أرضها من شعوب الشرق الأوسط العربي، مشترطين عليهم



خلف أحمد خلف

يعتبر خلف احمد خلف رائد مسرح الطفل في البحرين .. حيث بدأ مشواره الفني بمسرحية (العفريت ووطن الطائر) نشرت عام ١٩٨٣م ثم أتبعها بقصة (ثعلوب يتعرف على الأرنب) التي أثارت اهتمام النقاد في البحرين.

وليس من البعيد أو من الهواء كما كنت تريد) هذا هو الدرس الذي أراده خلف للطفل العربي أن يعيه ويتعلمه ويفهمه، إن أجمل الألوان هي التي نأخذها من بلادنا، وليست هي التي نبحث عنها خارج هذه البلدان، درس قيم لا شك، لكن لست أرى لماذا اتجه خلف بهذا الأمر ذاك الاتجاه، فبالبحر ليس خاصا ببلاد دون بلاد، إن كل بحار العالم لها نفس الألوان والشمس ليست لنا وحدنا فكل الدنيا تستضيء بهذه الشمس والأشجار وما الى ذلك، حقيقة أي لون أخذ العصفور من بيئته يميزه ويمنحه خصوصية هذه البيئة، ثم لماذا نظر الى قوس قزح هذه النظرة التي لم تكن تختلف عن البحر لو شاء وقوس قزح ما دام متكونا في بيئتنا فهو منا [١].

ويمكننا أن نطلع على قصة اللعبة كنموذج لقصص الاطفال لدى خلف احمد خلف باعتبارها أول قصة يتم نشرها لهذا الكاتب ومن أوائل قصص الاطفال بدولة البحرين:

سلمان طفل عمره ثلاث سنوات، يلعب بمسدس أهداه إليه عمه، المسدس له صوت مثل المسدس الحقيقي .. رأى سلمان عصفورا في الحديقة، خرج إليه، مشى على مهل ويهدوء أصبح قريبا منه، والعصفور غافل عنه، يبحث عن أكل له بين الأعشاب،

وبعدها كتب قصة (أجمل من قوس قزح) وهي قصة تستحق الاهتمام كحدث فني له قيمته وقد كتب عنها الناقد عبد الحميد المحادين:

إن هذه القصة كتبت لأطفال في سن مبكرة لديهم خبرات معينة سيما وانها ترتبط بظواهر الطبيعة ارتباطا حقيقيا لا تخياليا، صحيح أن القصة هذه مبنية بناء جيد الإحكام، وتناسب المستوى العام لوعي الأطفال، من حيث أن الاحداث متسلسلة وبسيطة ويفضي كل حدث الى ما بعده، وهي مترابطة ترابطا مسطحا، هذا الترابط المسطح هو الذي يناسب الأطفال في سن ليست متقدمة كثيرا وفي خبرات ليست معقدة وليست مركبة.

**** هذا**

القاص

استطاع أن

يسير

بالقصة الى

الدرس

القيمي

ولقد نجح القاص في السير بالقصة الى الدرس القيمي الذي أراده لها، أو هكذا أظن، ولعله لم يكن قد فعل عن قصد، لكنني كقارئ أراه مهد لهذا الدرس (إنك أجمل ألف مرة من قوس قزح، لأنك أخذت الألوان من بلدك



بقلم : عبد الله بن أحمد الشباط

المملكة العربية السعودية - الخبر

*** * خلف ،** الألعاب المسلية التي لا تؤلم أحدا .

أجاد في ولقد واصل الأديب

قصص خلف احمد خلف مسيرته

الأطفال ، الفنية بالكتابة للأطفال

وكتب فكتب مسرحية النحلة

بأسلوب والأسد عام ١٩٨٧م وبعدها

سهل مميز قصة تلعب الحبوب ٠٠ ورد

لا يجيده إلا ذكره في كتاب (الحركة

قلعة من الفكرية في البحرين)

الكتاب . للأستاذ منصور محمد

سرحان ٠٠

بدأ مسيرة هذا التيار

- الكتابة للأطفال - الجديد

في الادب البحريني بتقديم

مسرحية «العفريت ووطن

الطائر» سنة ١٩٨٣م وكتب قصة «تلعب يتعرف على

الأرنب» وهذه القصة توضح بجلاء محاولات خلف

الاستمرار في كتابة قصص الأطفال وفق لغة بسيطة

ذات جمل سهلة الفهم [٢] .

إن خلف احمد كاتب نشط في مجال الكتابة

للأطفال وقد نشرت غالبية قصصه في مجلة بانوراما

الخليج، ولا يزال يواصل عطاءه المميز بأسلوب لا

يجيده إلا قلّة من الكتاب .

رفع سلمان المسدس صرخ بالعصفور قف مكانك لا

تتحرك، خاف العصفور، وقف مكانه، صرخ سلمان

مرة أخرى إرفع يديك تحير العصفور، كيف يرفع يديه؟

لكنه كان عصفورا ذكيا ٠٠ رفع جناحه، سلمان كان

طفلا ذكيا أيضا صرخ بالعصفور لا ٠٠ إنزل جناحك

تريد أن تطير ٠٠ ها؟ هيا الى الداخل أمامي ٠٠ دخل

العصفور غرفة سلمان ٠٠ بحث سلمان عن خيط حتى

وجده ٠٠ ربط قدم العصفور، رمى المسدس، وأخذ يلعب

بالعصفور، يطلب منه ان يطير، ثم يسحبه، فيسقط

العصفور على الأرض ويتألم، طلب العصفور من

سلمان أن يترك هذه اللعبة، لكن سلمان رفض، قال إن

اللعبة تعجبني ، بحث العصفور عن المسدس وجده

قريبا، طار وحط عليه، رفع العصفور المسدس وقال

لسلمان: إرفع يديك ولا تتحرك، رفع سلمان يديه ولم

يتحرك، أخذ العصفور الخيط وربط به قدم سلمان، قال

العصفور الآن جاء دورك هيا اركض ٠٠ ركض سلمان،

سحب العصفور الخيط، سقط سلمان على وجهه، تألم

لكنه لم يبك تذكر ان العصفور لم يبك قبله ٠٠ واصل

العصفور لعبته مع سلمان، تب سلمان، وتألم كثيرا،

طلب من العصفور أن ينهي هذه اللعبة ٠٠ لكن

العصفور قال: أعرفت الآن بانها لعبة متعبة مؤلمة؟ هن

سلمان رأسه ٠٠ نعم ٠٠ وكان خجلا ٠٠ قال

العصفور: إنني ذاهب ٠٠ بعد أن عرفت ذلك ٠٠ صاح

سلمان لا تذهب ٠٠ كن صديقي إن ألعب معك لعبة

متعبة بعد الآن ٠٠ قال العصفور ليس معي فقط لكن

مع كل الحيوانات والطيور ٠٠ قال سلمان نعم ٠٠ نعم

لن أوذي حيوانا ولا طيرا بعد الآن ٠٠ ومنذ ذلك اليوم

أصبح سلمان والعصفور صديقين ٠٠ يلعبان كل

الهوامش :

(١) رؤية في الظل ص ٢٤٩ .

(٢) الحركة الفكرية في البحرين ص ١٠٠ .

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم
النبيين، أما بعد!

فإن الإسلام جاء بنظام متكامل يشمل الدين وما
فيه من إيمان وعبادات، والدولة وما فيها من أنظمة
ومعاملات وقوانين وسياسة عامة، وهو قد وضع لنا
الإطار العام للمعاملات الاقتصادية والسياسية والإدارية،
ودعا إلى استخدام العقل السليم في كل عمل فكري
وعلمي وتقني، كما ترك لنا مجالا واسعا في داخل هذا
الإطار لكي نتصرف حسب مقتضيات الأحوال في
أمورنا الدنيوية.

أجهزة الإدارة في النظام الإسلامي

(٢٠١)





بقلم : د. محمد ضياء الحق

رئيس قسم الفقه الاسلامي - جامعة العلامة إقبال المفتوحة - باكستان

أهمية الموضوع :

قادرة على تقديم خدماتها في أنحاء الدولة الإسلامية، وقد أدت أجهزة هذه الإدارة دوراً أساسياً في نجاحات الدولة الإسلامية في العصور الوسطى.

ومنذ استقلالها من الاستعمار الإنجليزي والفرنسي تحاول البلدان الإسلامية أن تشكل إدارتها على منهج النظام الإسلامي، لذلك يجب علينا أن نعرف أجهزة الإدارة في النظام الإسلامي لكي نستخدمها في تطور الإدارة الإسلامية المعاصرة حسب مقتضيات هذا العصر.

منهج البحث :

لقد اعتمدت في هذا البحث المنهج العلمي القائم على الاستقراء الذي يهدف للوصول الى نتائج قائمة على الدليل والحجة، وقد قمت بالاستدلال من القرآن الكريم والسنة المطهرة وتاريخ الحضارة الإسلامية في بيان تفاصيل أجهزة الإدارة في الإسلام، وقد اعتمدت على المصادر الأصلية واتبعت في تحرير المعلومات منهج الاستقصاء لمصادرها ما أمكن، قصد الوصول الى أكبر قدر من الصحة والدقة.

خطة البحث :

اقتضت طبيعة هذا البحث أن يتكون من مقدمة وأربعة مطالب وهي كما يلي:

المطلب الأول : ديوان كتابة الرسائل.

المطلب الثاني : ديوان الخاتم.

المطلب الثالث : نظام البريد.

المطلب الرابع : إدارة مراسيم الخلافة.

القرآن الكريم وسنة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وضعنا لنا أسس الأنظمة الإسلامية بما فيها النظام الإداري. وبذل العلماء مجهودات كبيرة لتحديد تفاصيلها الدقيقة التي اتبعها المسلمون في مختلف أشكال حكوماتهم ومجتمعاتهم. ونظام الإدارة في الإسلام قد سجّل تطوراً ملحوظاً في العصور المتتالية، ومع تطور الحضارة الإسلامية وتوسع حدود الدولة الإسلامية أصبحت هذه الإدارة



أجهزة الإدارة الإسلامية :

كانت الإدارة الإسلامية تشتمل على عدة دواوين ومنها ديوان كتابة الرسائل وديوان الخاتم وديوان البريد وإدارة الضيافة والترجمان الى غير ذلك . وقد شهدت الدولة الإسلامية تطوراً كبيراً في هذا المجال منذ نشأتها، وتفصيلها كثيرة، نقدم بعضاً منها في هذا البحث المتواضع .

المطلب الأول :

ديوان كتابة الرسائل :

١- تطور هذا الديوان :

الكتابة وظيفه قديمة للإدارة، وقد ورد لفظ الكتابة في مواقع عديدة من كتاب الله العزيز حيث يقول الله سبحانه وتعالى: {وكتبنا له في الألواح من كل شيء} [١]، وقال الله تعالى في الكاتب: {ولا يُضَارْ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ} [٢] .

وقال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - «يقيدوا العلم بالكتابة» [٣] وقد كان الأنبياء عليهم السلام يكتبون، فكان لوط يكتب لإبراهيم، وكان يوسف يكتب

للعزيز، وكان يحي بن زكريا يكتب لعيسى عليه السلام، وكان هارون ويوشع يكتبان بين يدي موسى عليهم السلام [٤]، وقد شكّل هذا الديوان في الإدارة الإسلامية منذ عصر الرسول (صلى الله عليه وسلم) حيث استخدمه الرسول (صلى الله عليه وسلم) في إدارة حكومته فاتخذ له من أصحابه كتاب الرسائل [٥] التي أرسلها في بعثاته الدبلوماسية الى الملوك [٦]، واستخدم الخلفاء الراشدون الأعوان للاحتفاظ

بسجلات الدولة وما يتعلق بالمراسلات فدوّن ديوان الكتابة في عصر عمر بن الخطاب [٧] وكان سببه ورود مال كثير من البحرين، ف قيل له: إن ملوك الشام يدونون ديواناً، فوافق عمر بن الخطاب على تدوين هذا الديوان في سنة ٢٣هـ / ٦٤٢م [٨] .

كما تأسس ديوان خاص بتنظيم الرسائل في عهد الأمويين [٩] وأدخل الوليد بن عبد الملك (٨٦هـ / ٧٠٥م - ٩٦هـ / ٧١٥م) فيها الإصلاحات [١٠] .

وكانت المراسلات في عهد الخلفاء الأوائل قصيرة جداً ومقصورة على ما يراد منها، وينسب الى عهد مروان بن محمد بن مروان (١٢٨هـ / ٧٤٤م - ١٣٢هـ / ٧٣٩م) إدخال الأسلوب ذي المحسنات والصياغة الأدبية التقليدية [١١] .

وقد اتبع العباسيون هذا الأسلوب وزادوا في نموه واتساعه مع اتساع مسؤوليات الدولة، فاستقرت قواعد العمل في هذا الديوان وبلغت غايتها في عهد المنصور (١٣٦هـ / ٧٥٤م - ١٥٨هـ / ٧٧٥م) [١٢] .

وقد كانت الكتابة من الخط الكبرى في الخلافة الأموية في الأندلس، واتسعت الكتابة في عهد عبد الرحمن الناصر الذي عين أربعة كتاب وجعل كاتباً خاصاً للشؤون الدبلوماسية [١٣] .

٢- أوصاف الكتابة :

وضع العلماء عدداً من الشروط والصفات للكاتب، وخلصتها ما يلي:

*** كاتب
الأمير أو
السلطان هو
خازن سره
عليه أن
يكون حافظاً
للسر .**



أ - أن يكون صحيح الوجه،
فصيح الألفاظ، طلق اللسان، أصيلاً
في قومه، وقوراً، حليماً، مؤثراً للجد
على الهذل، ملازماً للديوان ليكون
قدوة لسائر الموظفين.

ب - أن يكون حليماً في موضع
الحلم، فهيماً في موضع الحكم،
ومقدماً في موضع الإقدام محجماً في
موضع الإحجام، كتوما للأسرار، وفيأ
عند الشدائد، متحسباً لما يأتي من
التوازل يضع الأمور مواضعها
وإلطارها في أماكنها.

ج - أن يكون جيد المعرفة، حسن
الخط، مهذب الطبع، نبيل الأدوات،

مشاركاً في العلوم، عالماً بالسير، وقافاً على الأثر، مع
سلامة الحواس، وفطنة الأكياس، وذكاء الذهن، وأمانة
الغيب وحفظ السر، وصدق اللسان.

د - وينبغي أن يكون حسن الهيئة، مقوم الخلقه،
نظيف الملبس، طيب الرائحة، فربما أدناه الملك لأمر
يسره إليه وقرب مجلسه لمعنى يطلعه عليه فلا يرى منه
شيئاً ينكره ولا يشم عليه ما يكرهه[١٤].

٣ - دور ديوان الكتابة في سير الإدارة:

وقد تولى رئاسة الشؤون المختلفة لهذا الديوان
عبر تاريخ الإدارة الإسلامية رئيس الديوان، ومن جملة
اختصاصاته نذكر ما يلي:-

أ - التوقيع على الرسائل الموجهة الى مختلف
الولايات داخل الدولة الإسلامية وخارجها.
ب - النظر في الكتب الواردة عليه.

* من شروط الكاتب: الفصاحة.. والذكاء والوقار

ج - رد الأجوبة في يومها وعدم تأخيرها.
د - النظر في الأقاب التي تكتب على الرسائل
حتى لا يزداد فيها ولا ينقص.
هـ - الاطلاع على ما يكتب في ديوانه ويوقع عليه
إشارة الى موافقته على مضمونها.
و - النظر في الأمور العامة أي كل ما يجلب الخير
للدولة ويرفع عنها الأضرار[١٥].

٤ - تنظيم ديوان الكتابة :

يمثل هذا الديوان في الواقع أرشيف الدولة، وقد
ضمّ في سلمه الوظيفي عديد المناصب المقررة في
تنظيم هذا الديوان، ومنها ناظم، ومتولي ديوان،
ومستوف ومعين، وناسخ، ومشرف، وعامل وكاتب،
وجهبذ، وشاهد، ونائب، وأمين، وماسح، ودليل، وحاذئ،
وحاشر، وضامن[١٦].

**** رئيس ديوان الرسائل، عليه التوقيع على كل الرسائل الصادرة .. والرد على الواردة.**

ويرى أن الرسول عليه الصلاة والسلام لما أراد أن يكتب إلى ملوك الروم قيل له «إنهم لا يقرؤون كتاباً إلا أن يكون مختوماً» فاتخذ خاتماً من فضة فكأنني أنظر إلى بياضه، ونُقش فيه محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) [٢٠].

وكان خاتم الرسول عليه الصلاة والسلام: محمد سطر، ورسول سطر، والله سطر [٢١] وكان خاتمه من حديد ملون، عليه فضة [٢٢].

وكان يختم به أبو بكر حتى توفي، ثم عمر بن الخطاب حتى توفي، ثم ختم به عثمان، ثم سقط من يد عثمان في بئر قليلة الماء، فلم يدرك، فصنع عثمان آخر مثله في كيفية نقش الخاتم، فجعله في أصبعه، فلما قتل عثمان ذهب الخاتم من يده فلم يدرك من أخذه [٢٣].

وقد وضع ديوان الخاتم في خلافة الأمويين، أول من فعل هذا هو معاوية وذلك لصيانة المكتوبات من التزوير، فصارت العادة أن يحتفظ ديوان الخاتم بنسخة عن كل ما يوقع من رسائل وحسابات، كما فعل ذلك الولاة، وذلك للرجوع إليها في المطابقة والمقارنة [٢٤].

وتأكد هذا الأمر خاصة في العصر العباسي، حين كثر عدد مكاتبات ورسائل الوزراء، وحين سهل التعامل بالرشوة والتلاعب بالقانون، والغنى غير المشروع [٢٥].

وقد كان مجلس الإنشاء والتحرير يمثل الإدارة الرئيسية لنشاط الديوان حيث إن الأعمال تتركز في القيام بالمكاتبات وتحرير القرارات الصادرة عن دار الخلافة واستقبال المكاتبات الواردة والقيام بعمل مختصر لمواضيعها، ويساعد في هذه الأعمال مجلس النسخ ومجلس الإنشاء والتحرير، أما المخازن، فهي مثل الأرشيف العام تحتفظ بسجلات للحوادث الكبرى في الدولة وكذلك المكاتبات التي ترد إلى الديوان بلغة غير عربية [١٧].

بهذه الطريقة كانت الإدارة الإسلامية تستفيد من ديوان الكتابة في أداء مهمتها.

المطلب الثاني: ديوان الخاتم :

يطلق اسم الخاتم على الآلة التي تجعل في الإصبع وبه يختم صاحبه إذا لبسه ويطلق على النهاية والتمام ومنه ختم الأمر إذا بلغ آخره وختم القرآن ومنه خاتم النبيين وخاتم الأمر [١٨].

١- تطور ديوان الخاتم :

لا يمكن اعتبار الوثيقة الرسمية إلا إذا كانت مختومة بالخاتم، وقد بدأ استخدام الخاتم في العصر الإسلامي منذ عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم)، فقد ختم عليه الصلاة والسلام الرسائل التي كتبت إلى الملوك والعمال وقواد السرايا [١٩].

٢) دور ديوان الخاتم في الإدارة الإسلامية:

كانت المراسلات الرسمية تكتب في ديوان الكتابة وتختتم في ديوان الخاتم وتحتفظ بنسخة منها في سجلاته لكي تتم صيانة الوثائق الهامة وحفظ اسرارها بضممان أكبر، وقد بلغ ديوان الخاتم أوج نشأته في زمن الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥هـ/

٦٨٤م - ٨٦هـ/ ٧٠٥م) حيث صار إدارة منظمة، وفي العصر العباسي حل ديوان التوقيع محل ديوان الخاتم واندمج هذا الأخير في ديوان الكتابة والإنشاء [٢٦].

٣) أسلوب ختم المراسلات الرسمية :

كانت المراسلات الرسمية تختتم صونا لها من التزوير، ويكون الختم في آخر الكتاب، ولئلا يطلع عليه أحد كانت الرسائل تختتم - بعد طيها - من الخارج، ويظهر أن الرسائل كانت توضع في الظروف التي كانت تستخدم أيضا في المراسلات الرسمية [٢٧] واختصاراً لما تقدم فقد كانت المراسلات الرسمية ترسل بعد كتابتها في ديوان الكتابة الى ديوان الخاتم حيث تنسخ وتختتم وتطوى حتى تتم صيانتها بصفة مضمونة من التزوير.

المطلب الثالث : نظام البريد :

استخدم العرب نظام البريد لنقل الأخبار والرسائل داخل الدولة العربية وخارجها، وقد استخدمت كلمة

البريد مرادفة للرسالة والرسول [٢٨] ف قيل البريد الرسول، وإبراده ارساله [٢٩]، وقد استعملت هذه الكلمة في حديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) حيث قال: (إذا أبردتم اليّ بريداً فاجلوه حسن الوجه حسن الاسم) [٣٠]، وكذلك قال (إنّي لا أخيس بالعهد ولا أحبس البرد) [٣١] أي لا أحبس الرسل الواردين عليّ [٣٢]، أما معناه لغة، فالمراد منه مسافة معلومة مقدرة باثني عشر ميلا، والبريد في الأصل اسم الدابة التي يركبها العامل، ثم نقلت الى المسافة المقطوعة مجازاً [٣٣]، والبريد في الاصطلاح هو أن تجعل خيل مضممرات في عدة أماكن، فإذا وصل صاحب البريد بالخبر المستعجل الى مكان منها وقد تعبت فرسه ركب غيره فرسا أخرى، وكذلك يفعل في كل مكان آخر حتى يصل بسرعة، وتستخدم هذه الكلمة في هذه الأيام للدلالة على نظام توزيع الرسائل [٣٤].

١) - تطور نظام البريد:

مصلحة البريد قديمة جدا، حيث عرفها الفرس والروم قبل الإسلام، وقد بدأ استخدام هذا النظام في الإسلام في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام، وكان قد استعمله أول مرة عند هجرته الى المدينة المنورة فقد كان عبد الله بن أبي بكر يأتيه بأخبار مكة، فوظيفة البريد من الوظائف الإدارية الأولى التي لاقى اهتماما كبيرا من طرف الرسول (صلى الله عليه وسلم) [٣٥].

*** ديوان
الخاتم ..
يراجع
الرسائل ،
ويختم
عليها ،
ويحفظ
نسخة منها
لمقدم
التزوير .**

* البريد من الوظائف الأولى التي لاقى اهتماماً كبيراً من الرسول صلى الله عليه وسلم *

وقد وقع إيفاد السفراء وتبادل الهدايا مرفقة بالبريد في عهد الخلفاء الراشدين [٣٦]، فقد كتب عمر بن الخطاب إلى عماله يأمرهم بإعلام الناس في مناطقهم بمواعيد خروج البريد إلى المدينة، فكتب إلى عامله بالبصرة: «أن بريد المسلمين يريد الخروج فمن كان له حاجة فليكتب» [٣٧]. وقد تطور هذا النظام في العهد الأموي

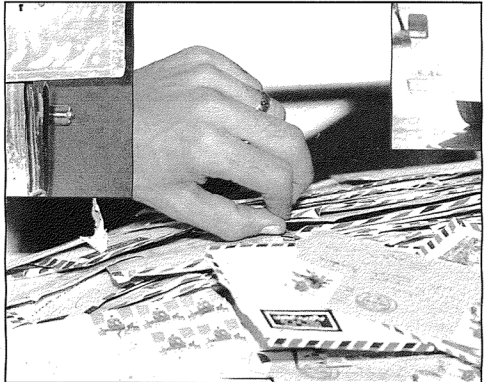
حيث وضع معاوية بن أبي سفيان ديوان البريد على أسس محكمة، وقسم المسالك الرئيسية إلى مراحل ومنازل لكل مرحلة خيل معدة لحمل البريد وكذلك استخدمت الإبل في هذه المهمة [٣٨] ثم أدخل عبد الملك بن مروان عدة تحسينات، وبذلك بلغت هذه الإدارة درجة جيدة من التطور [٣٩] وقد أمر عبد الملك بالاهتمام بالبريد، وقال لحاجبه: «وليتك حجابة تأبى إلا عن أربعة: المؤذن فإنه داعي الله فلا حجاب عليه، وطارق الليل فشر ما أتى به، ولو وجد خيراً نائم. والبريد فمتى جاء من ليل أو نهار فلا تحجبه، فريما أفسد على القوم سنة إذا أحبس البريد ساعة، والطعام إذا أدرك» [٤٠].

وازداد اهتمام العباسيين بالبريد، واعتمد الخلفاء العباسيون عليه اعتماداً كبيراً في إدارة شؤونهم، وكان أبو جعفر المنصور يعتمد كثيراً على صاحب البريد في الحصول على الأخبار [٤١] وقد أخذ نظام البريد قالبا

جديداً في عصر الرشيد (١٧٠هـ / ٧٨٦م - ١٩٣هـ / ٨٠٨م) والمأمون (١٩٣هـ / ٨٠٨م - ٢١٨هـ / ٨٣٣م) حيث ازدادت مهماته [٤٢].

٢ دور البريد في إعانة الإدارة الإسلامية:

استعمل العرب البريد لنقل الأخبار والمراسلات والسفارات، فكانت محطات البريد مزودة بتسهيلات



**** الأبراج**

العالية

والشعلة

المتقدة

كانت من

الوسائل

الاعلامية

آنذاك .

**** البريد**

كان من

وسائل

الترويج

الاقتصادي

والتعريف

بمنتجات

البلدان .

فقال ما معي من كتاب،
فقلنا لَتُخْرَجَنَّ الْكِتَابُ أَوْ
لَتُلْقَيْنَ الثِّيَابَ، فَأَخْرَجَتْهُ
مِنْ عَقَاصِهَا فَأَتَيْنَا بِهِ
النَّبِيَّ (صلى الله عليه
وسلم) فَإِذَا فِيهِ مِنْ حَاطِبِ
بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى أَنَاسِ
مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ
مَكَّةَ يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ
النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ[٤٧].

وكان ولاية البريد
في جميع أنحاء يكتبون
التقارير إلى الخليفة
يوميًا بأسعار الحبوب
والمأكولات وما يقضي به
القاضي وما يعمله الوالي
وكل ما يحدث في الولاية
ومما يرد إلى بيت
المال[٤٨]. فكانوا
أصحاب الأخبار وعيون
الملك الباصرة والأذان
السامعة، وكان عليهم
حضور مجالس الناس
والوعظ، والأسواق، حيث
تجرى في هذه الأماكن
الكثير من الأمور الواجب
الإطلاع عليها[٤٩].

السفر وراحة السفراء والرسول خلال رحلاتهم، وكان
هدف البريد في مهامه قطع المسافات البعيدة في
الأوقات القصيرة حتى تصل الأخبار بالسرعة المطلوبة،
واستدراك الأمور قبل فواتها، وانتهاز الفرص، وسد
الثغور وكثير من مهمات التدبير والضرورات
السياسية[٤٣].

كذلك كان نظام البريد وسيلة كبيرة للاتصالات
الرسمية حيث كانت تبعث المراسلات الرسمية بالبريد
السريع، فكانت بعض الرسائل تصل إلى الهدف في
أربع وعشرين ساعة[٤٤].

وعدا البريد استخدم العرب طرقاً أخرى
للإتصالات مثل إنشاء الأبراج العالية في بعض المدن
والبلدان حيث يستعمل الدخان علامة في النهار فيطلق
من أعلى أحد هذه الأبراج لينظر إليه موظف البرج
المقابل الذي بدوره ينقل العلامة إلى البرج الذي يليه
إلى أن تصل الرسالة إلى آخر محطة[٤٥].

وقد وقع عبر البريد تبادل أصناف من الفواكه
النادرة وأنواع من المياه الخاصة بين ملوك الدولة
الإسلامية وملوك الدول الأخرى في شكل هدايا
للتعريف بمنتجات بلدانهم[٤٦]. وكذلك استخدم البريد
للحصول على الأخبار وتقديم التقارير، وقد كان رسول
الله (صلى الله عليه وسلم) يهتم بأخبار المشركين
واليهود، كما يروى عن علي بن أبي طالب، قال: «بعثني
رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنا والزبير والمقداد
بن الأسود (ت ٣٢هـ / ٦٥٣م)، فقال (انطلقوا حتى
تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة ومعها كتاب فخذوه
منها) فانطلقنا تهادى بنا خيلنا حتى انتهينا إلى
الروضة، فإذا نحن بالظعينة، فقلنا: أخرجي الكتاب،

٣) شروط صاحب البريد :

من الشروط التي يجب أن تتوفر في صاحب البريد أن يكون ثقة، وأن يكون من أهل المعرفة بالطرق والأماكن، كما يجب أن يكون قوي الجسم صبوراً على الشدائد والآتباب، وفي الغالب يختار الملوك رجال البريد من الجند الذين يعول عليهم على أن يكونوا من الأمناء العقلاء النصحاء، وأن يكون فيهم حسن تأت ولفظ توصّل وتحيل وفكرة صالحة، ويجب أن تجرّ عليهم النفقات ويوسع لهم في العطايا [٥٠].

(للبحث صلة)

الهوامش :

(١) الاعراف/ ١٤٥.

(٢) البقرة/ ٢٨٢.

(٣) الدارمي (عبد الله بن عبد الرحمن)، السنن، (بيروت ١٩٨٧م)، المقيمة، باب من رخص في كتابة العلم، رقم الحديث ٤٩٧، ص ١٣٨/١.

(٤) ابن ممانى (شرف الدين أبى المقارم بن أبى سعيد) قوانين الدواوين (د. ط)، ص ٤.

(٥) أنظر تفصيل كتاب الرسول (صلى الله عليه وسلم)، البخاري (أبو عبد الله محمد بن اسماعيل)، الجامع الصحيح (دار ابن كثير ١٩٨٧م)، كتاب فضائل القرآن، باب كاتب النبي (صلى الله عليه وسلم)، رقم الحديث ٤٧٠٣، ص ١٩٠٧/٤، يعقوبي (أحمد بن أبى أيوب)، التاريخ، بيروت ١٩٧٠م، ص ١٥/٢، الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير)، تاريخ الأمم والملوك (دار الفكر ١٩٧٩م) ص ١٤٨/٣.

(٦) العمراني (عبد الحي)، حكومة الرسول عليه الصلاة والسلام، (فاس، المغرب) ص ١٧٠.

(٧) اختلف العلماء في أصل كلمة ديوان، وهل هي عربية أم فارسية ويعتبرها بعضهم كسبيو من اللغة العربية،

ويقول بعضهم كالأصمعي إنها فارسية معربة ومعناها سجل أو دفتر وأطلقت من باب المجاز على المكان الذي تحفظ فيه السجلات الرسمية، انظر: الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد)، الأحكام السلطانية، (بيروت ١٩٨٢م)، ص ١٩٩، ابن منظور (محمد بن مكرم) لسان العرب، بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٨م)، ص ١٠٣٩/٢.

(٨) الطبري، م، ن، ص ٢٢/٥، الجهشيري (أبو عبد الله محمد بن عبدوس)، الوزراء والكتاب، (القاهرة ١٩٣٨م)، ص ١٦، الماوردي، م، ن، ص ٢١.

(٩) حسيني، س، ١، ق، الإدارة العربية، ترجمة ابراهيم احمد العدوي، (وزارة التربية والتعليم بمصر) ص ١٦٨.

(١٠) القلقشندي (أبو العباس محمد بن علي)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، (القاهرة)، ص ٣٩١/٦.

(١١) حسين، م، ن، ص ١٦٨.

(١٢) أنظر هذه القواعد: الصبائي (أبو الحسن هلال بن المحسن)، رسوم دار الخلافة، تحقيق ميخائل عودا، (ط ٢ - بيروت ١٩٨٦م)، ص ١٠٤، ١٠٥، الشيباني محمد عبد الله، نظام الحكم والادارة في الدولة الإسلامية، (القاهرة ١٩٧٩م)، ص ١٢٨.

(١٣) احمد فكري، قرطبة في العصر العباسي، (الاسكندرية ١٩٨٣م)، ص ٢٩٥.

(١٤) أنظر: الشافعي (محمد بن ادريس)، الأم، (دار الشعب ١٩٦٨م) ص ٢١٢/٦، الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ٢١٦، ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون) المقدمة، (بيروت ١٩٨١م)، ص ٢٠٧ - ٢٠٨.

(١٥) أنظر: القلقشندي، م، ن، ص ٣٤٤/١٤ - ٣٦٦، الشيباني، م، ن، ص ٢٨.

Al Buracy Muhammad," Administration Development in an Islamic Perspective," (England 1985) P.20.

- (١٦) ابن ممانى، م، ن، ص ٥٥
- (١٧) الشيباني، م، ن، ص ١٣٠
- (١٨) ابن خلدون، المقدمة، ص ٦٦٤
- (١٩) أنظر الطبري، م، ن، ص ١٥/٥، ابن الأثير (أبو الحسن على بن محمد)، الكامل في التاريخ (بيروت ١٩٦٦م)، ص ١١٣/٣، الكتاني (عبد الحي)، الترتيب الإدارية، بيروت، ص ١/١٧٧
- (٢٠) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الجهاد، باب دعوة اليهود والنصارى وما كتب النبي [صلى الله عليه وسلم] إلى كسرى وقيصر، رقم الحديث ٢٧٨٠ ص ١٠٧٤/٣، الترمذي السنن، كتاب الاستئذان، باب ما جاء في ختم الكتاب، رقم الحديث ٢٧١٨، ص ٦٩/٥
- (٢١) أنظر البخاري، الجامع الصحيح، كتاب اللباس، باب هل يجعل نقش الخاتم ثلاثة أسطر رقم الحديث ٥٥٤٠، ص ٥/٢٢٠
- (٢٢) الكتاني، م، ن، ص ١/١٧٨
- (٢٣) أنظر: الطبري، م، ن، ص ٦٦/٥، ابن الأثير، الكامل، ص ١١٣/٣، ابن خلدون م، ن، ص ٦٦٤
- (٢٤) جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، (مصر ١٩٦٤م)، ص ١/١١٥
- (٢٥) أنور الرفاعي، الإسلام في حضارته، (دار الفكر ١٩٧٣م)، ص ٨٦
- (٢٦) أنظر: ابن مسكويه (أبو علي أحمد بن محمد)، تجارب الأمم، (القاهرة ١٩٦٤م)، ص ١٥٢/٥
- (٢٧) حميد الله (محمد) رسول الله كى سياسى زندكى (كتاب باللغة الأريية)، كراتشي ١٩٨٤، ص ١٦٣
- (٢٨) أنظر: ابن الأثير (مجد الدين)، النهاية في غريب الحديث (دار احياء الكتب العربية) ص ١/١١٥ - ١١٦
- (٢٩) ابن منظور، لسان العرب (بيروت ١٩٨٨م) ص ١/١٨٩
- (٣٠) حديث حسن أخرجه البزار عن بريدة في مسنده، أنظر السيوطي، الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، (بيروت) ص ١/١٥
- (٣١) أحمد بن حنبل، المسند (دار الفكر ١٩٩١م)، رقم الحديث: ٢٣٩١٢، ص ٢٢٨/٩، أبو داود، السنن، كتاب الجهاد، باب يستجن بالأمم في العهود، رقم الحديث: ٦٦٤١، ص ٤/٦٣
- (٣٢) ابن الأثير، النهاية، ص ١/١١٥
- (٣٣) القلقشندي، م، ن، ص ١٤/٣٦٦
- (٣٤) أنظر لمفهوم البريد/ ابن الأثير، النهاية، ص ١/١١٥، القلقشندي، م، ن، ص ١٦/٢٦٧ - ٢٦٨، حسن إبراهيم حسن، النظم الإسلامية، (القاهرة ١٩٥٩م) ص ١٨١
- (٣٥) الكتاني، الترتيب الإدارية، ص ١/٣٦٩ - ٣٦١
- (٣٦) الطبري، م، ن، ص ٥/٥٢، ابن الأثير، الكامل، ص ٩٦/٣
- (٣٧) الكتاني، الترتيب الإدارية، ص ١/١٩٢
- (٣٨) حسيني، الإدارة العربية، ص ١٧٠
- (٣٩) العدوي، النظم الإسلامية، ص ٢٣٧
- (٤٠) القلقشندي، م، ن، ص ١٤/٣٦٧
- (٤١) الطبري، م، ن، ص ٩/٢٩٧
- (٤٢) سعداوي نظير حسان، نظام البريد في الدولة الإسلامية، مصر ١٩٥٣، ص ٥٧
- (٤٣) ابن رضوان (أبو القاسم)، الاشهب اللامعة في سياسية النافعة، المغرب ١٩٨٤م، ص ٣٠٣
- (٤٤) حسيني، م، ن، ص ٣٣٣
- (٤٥) القلقشندي، م، ن، ص ١٤/٣٩٨ - ٤٠٣، أنور الرفاعي، م، ن، ص ١٤٦
- (٤٦) ابن رضوان، م، ن، ص ٣٣١
- (٤٧) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الجهاد، باب الجاسوس، رقم الحديث: ٢٨٤٥، ص ٣/١٠٩٥
- (٤٨) الطبري، م، ن، ص ٨/٩٦
- (٤٩) حسن بن عبد الله، آثار الأول في ترتيب الدول (بيروت ١٩٨٩م) ص ١٧٧
- (٥٠) حسن بن عبد الله، م، ن، ص ١٧٧ - ١٨٠، ابن رضوان، م، ن، ص ٣٣٠ - ٣٣١

نبات الإنخر لمرضى الكلى

الإنخرُ نبتٌ صحراوي طيب الريح وحدثتها أذخرة وهي شجيرة صغيرة تحتوي أوراقها على زيت عطري تستمر رائحته الخاصة عند تخزينه فترة طويلة، عرفه الرومان والإغريق وذكر مشاهير علماءهم فوائد الطيبة في مؤلفاتهم، كما عرفه عرب شبه الجزيرة العربية لانتشار نمواته البرية بشكل متجمع في حزون وسهول بأراضيهم، وقلما تنبت الأذخرة منفردة فإنك متى نظرت واحدة فحدقت رأيت غيرها، وربما استحسنت الأرض منه، لذلك قال الشاعر أبو كبير:

تهادى الريح بأنخرهن شبهاً
ونودي في المجالس بالقـداح

وأخو الإباء إذ رأى خلأه
تلى شفاعاً حوله كالإنخر

وتباع الأوراق الجافة للإنخر لدى العطارين لاستعمال منقوعها في الماء الساخن في الطب الشعبي في علاج بعض الأمراض.

اسماؤه :

تعددت أسماء نبات الإنخر وهو اسم عربي قديم، والشائع حالياً تسميته «حلفابر» أو «الحلفا» ويسمى أيضاً تين مكة وطيب العرب وأبو ركة، وفي اللغة الإنكليزية Camel, s Hay أي حشيشة أو قش الجمل أو حلفا Halfa، والاسم العلمي لنبات الإنخر هو: Cymbonpogon pyroximus

واستعمل الإنخر في سقف البيوت فوق الخشب واستخدمه الأطباء العرب في علاج بعض الأمراض، وجاء ذكره في أحد الأحاديث الشريفة، فثبت في الصحيح عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: «في مكة لا يختلى خلاها»، قال له العباس رضي الله عنه (إلا الإنخر يارسول الله فإنه لقينهم وليبوتهم، فقال الرسول (صلى الله عليه وسلم): إلا الإنخر)، وإذا جف نبات الإنخر أبيض لونه وعند مرور الرياح عليه تحدث نباتاته صوتاً موسيقياً، لذا قال أحد الشعراء عند ذكره جذباً:

إذا تلعأت بطن الحشرج أمست
جسيبات المسارح والمزاح

بقلم : د. محيي الدين لبنية

مركز الدراسات العليا لطب الأسرة والمجتمع - المدينة المنورة

الخالى وفي منطقة المدينة المنورة على جوانب المزارع
قرب المطار والصويدرة وغيرها .

ويعرف أيضاً بـ *C.schoenanthus spereg*،
وهو من الفصيلة النجيلية *Gramineae*.

وصفه النباتي :

وصف عالم اللغة الشهير الفيروز أبادي نبات
الإنخر في كتابه لسان العرب بأنه: «أطول من الثيل
ينبت على نبتة الكولان، قال أبو حنيفة: الإنخر له
أصل متدفن دقاق دفرُ الريح، وهو مثل أسل الكولان
إلا أنه أعرض وأصغر كعوبا، وله ثمرة كأنها مكاسح
القصب إلا أنها أدق وأصغر، وهو يشبه في نباته
الفرز يطحن فيدخل في الطيب»، والإنخر نبات معمر

موطنه وانتشار نباتاته:

يقال إن الموطن الأصلي للإنخر هو الهند وجزر
الهند الشرقية، ومنها انتقلت زراعته الى مناطق
أخرى، كثيرة في العالم، وفي الهند أدرج هذا النبات
في قائمة النباتات الطبية في دستور الأدوية،
والإنخر من نباتات المناطق الشبه استوائية
والاستوائية، وتنتشر نمواته البرية في شمال أفريقيا
بما فيها جنوب مصر وشبه الجزيرة العربية كالربع



نبات الإنخر

رائحة، وقوة هذا النبات قابضة مسخنة إسخناً يسيراً مفتتة للحصاة منضجة ملينة مفتحة لأفواه العروق ومدررة للبول والطمث، محللة للنفخ، تورث الرأس ثقلاً يسيراً، قابضة قبضاً يسيراً، نافع لمن ينفث الدم وأوجاع المعدة والرئة والكبد والكلى، وقد يقع في أخلاط بعض الأدوية المعجونة، وأصله أشد قبضاً، وطبيعته موافق للأورام الحارة الحادثة في الرحم إذا جلس النساء فيه»، ومما قاله الطبيب جالينوس عن أزهار هذا النبات وأصله: «زهرة هذا النبات تسخن إسخناً يسيراً وتقبض قبضاً يسيراً أيسر منه وليست ببعيدة عن الجوهر اللطيف، ولذلك هو دواء يدر البول ويحدر الطمث إذا استعمل على جهة التكميد، وإذا شرب وتمضمض به وهو نافع للأورام الحادثة في الكبد والمعدة وفم المعدة، وأصل هذا النبات أشد قبضاً من زهره وزهرته أكثر اسخناً من أصله والقبض موجود في جميع أجزائه لمن ذاقه إلا أن ذلك في بعضها أكثر وفي بعضها أقل»، كما استعمل الأطباء المسلمون الأوائل الإنخر لوجده أو مع غيره في علاج بعض الأمراض وذكروا فوائده العلاجية في كتبهم وقال عنه صاحب القانون - ابن سينا: «منه أعرابي طيب الرائحة ومنه أجامي ومنه دقيق وهو أصلب ومنه غليظ وهو أرخى ولا رائحة له، فيه قبض وانضاج وتلين ويفتح أفواه العروق ويسكن الأوجاع الباطنة وخصوصاً في الارحام ويحلل الرياح، ودهنه ينفع من الحكمة ..

قائم كثير الفروع عطري ثقيل الرائحة تنمو نباتاته بشكل متجمع وأوراقه شريطية دقيقة وأزهاره حمراء اللون على شكل نورات سنبلية مركبة تكون أجزاء نباتاته خضراء اللون بعد سقوط الأمطار ثم تصبح جافة كالقش عند ارتفاع درجة حرارة الطقس كما في فصل الصيف وتحافظ جذور الأنخر على النبات إلى حين توفر الماء لتنمو أجزائه الخضراء.

مكوناته الفعالة :

تحتوي أوراق الإنخر بشكل خاص قبل الإزهار على زيت عطري فيه مركب الجيرانيول Ge-raniol وهو يشبه زيت حشيشة الليمون Lemon grass ، وهو مزيج من رائحة النعناع ومادة راتنجية مرة ومركب بروكسيماديل -Prox-imadiol، والكومارين coumarins وقلويدات وفلافونيدات Flavonids وستيرونات وتانينات وزيت عطري.

في الطب القديم :

تمكن القدماء من تمييز أنواع نبات الإنخر عن النباتات الأخرى المشابهة له في شكلها، واستعمل أطباؤهم مختلف أجزاء نباتاته - أوراقه وأصله وأزهاره - في علاج بعض الأمراض، وقال عالم الطبيعة والفيلسوف اليوناني الشهير ديسقوريدس عن فوائده الطبية: «الأنخر له نوعان أحدهما لا ثمر له والآخر له ثمر أسود، أجوده الإعرابي الأذكي

الملك سعود بالرياض دراساته على التأثيرات الصيدلانية للمستخلص الغولي وبالكوروفورم لنبات الأنخر على حيوانات التجارب - الأرناب، والمنشورة في كتاب (Saudi plants. A phytochem- ical & Biological approach) فاكشفوا وجود تأثيرات مهدئة للمستخلص الغولي على سلوك هذه الحيوانات، لكن المستخلصين لهذا النبات لم يكن لهما تأثير على ضغط دمها، لكن أظهرها فعالية ضد نشاط الجراثيم العنقودية وخميرة مرضية من نوع كانديدا *Candida albicans* ولهما سمية عند استخدام تركيزات مرتفعة منها على الجمبري، وقد تفيد هذه النتائج العلمية وغيرها في التوسع في استخدامات الأنخر في علاج المرضى.

في الطب الشعبي :

شاع استعمال منقوع أوراق نبات الأنخر (الحلفا بر) في الماء بالطب الشعبي في علاج العديد من الأمراض مثل:

- داخلياً: في طرد الغازات المعوية (رياح البطن) وبالتالي تخفيف حدة المغص الناشئ عنها ويسكن المغص الناشئ عن حركة الحصى المترسبة داخل المسالك البولية وله تأثير مطهر للجراثيم ويدر للبول ويخفف شدة الحمى.

- خارجياً: يستعمل زيت المستخلص بعملية التقطير البخاري لأوراقه كمرهم في تخفيف الآلام الروماتزمية والمفاصل.

وقال عنه داود الأنطاكي في كتابه «تذكرة أولى الأبواب الجامع للعجب العجائب»: أجوده الحديث الأصغر المأخوذ من الحجاز ثم مصر والعراق، هو مفتاح مقطع بحرارة وحدته يحلل الأورام مطلقاً ويسكن أوجاع الأسنان وغيرها مضمضة وطلاء ويقاوم السموم ويطرد الهوام، ويدر الفضلات ويفتت الحصى ويمنع نفث الدم وينقي الصدر والمعدة».

في علاج داء الحصى البولية:

عرف الأطباء القدماء من العجم والعرب فائدة شرب مستخلص أوراق الأنخر في إدرار البول وتفتيت الحصى البولية، وثبتت فوائده في علاج مرضى المسالك البولية بعد اكتشاف فائدة مركب بروكسيمادبول الموجود فيه، والذي يعمل على توسيع الحالب عن طريق زيادة حركة العضلات الملساء الموجودة في جدرانه لطرد الحصى فيه، واستخدمت شركة دوائية مصرية مستخلص نبات الحلفا مع مركبات أخرى في صنع عقار سمته بروكسيمول للتخلص من الحصى البولية ويذيب النوع المحتوي منها على حمض البولة *Uric acid* وله تأثير مطهر للمسالك البولية وأثبتت فعاليته العلاجية وكذلك دوره الوقائي للأشخاص المعرضين لداء الحصى البولية وتكرار حدوثه.

تأثيرات طبية أخرى :

أجرى حديثاً فريق علمي بكلية الصيدلة جامعة

« ويجعل من يشاء عقيما »

العقم عند الرجال



ما إن يرد تعبير العقم في سياق الكلام عن مشاكل الإنجاب، حتى ينصرف الذهن الى جانب الزوجة، وكأن العقم وقف على النساء دون الرجال! والحقيقة أن الزوج يمكن أن يكون عقيما، تماما كما يمكن أن تكون الزوجة عاقرا. مع اختلاف في الأسباب والمسببات.

معدل الإصابة بالعقم بين الرجال، عاما بعد آخر! وفي بعض البلدان، كما في بعض الولايات المتحدة مثلا، تصل نسبة العقم بين الرجال الى معدلات مخيفة، حيث ترتفع الى أربعين في المائة.

ما هي أسباب العقم عند الرجال؟ قبل الإجابة على هذا السؤال يجب أن نذكر أن خلية الإخصاب في ماء الرجل هي «الحيوان المنوي» (sperm) وفي المتوسط يكون عدد الحيوانات المنوية في المذوف من ماء الرجل، في أى مرة من مرات الجماع، مائة وأربعين مليونا! وهذا عدد هائل بالقياس الى أن حيوانا منويا واحدا يلزم لإخصاب بويضة الأنثى! إلا أن هذا العدد الهائل من الحيوانات المنوية لازم لنجاح الإخصاب على أى حال - كما سيلى بيانه.

ومشكلة العقم عند النساء قتلت بحثا ومناقشة، فلا يكاد يكون هناك سبب للعقم عند النساء إلا وهو معروف بحذافيره. وما هكذا الحال مع العقم عند الرجال! فالى عهد قريب كان يرفض كثير من الأزواج الذين يشكون من العجز عن الإنجاب، الخضوع للفحص الطبي، بحجة أن ذلك سيؤثر على مكانتهم عند زوجاتهم، مما قد يكون له أثر سيء على استمرار الحياة الزوجية.

لكن يبدو أن عقلية الرجال وطرائق تفكيرهم ونظرهم الى مشكلة العقم، بدأت تتغير مؤخرا، وبات من السهل - الى حد ما - إقناع الزوج باجراء فحوصات طبية، في نفس الوقت الذي تجرى فيه الفحوصات لزوجته، بهدف معرفة العلة وراء العجز عن الإنجاب.

إنتاج الحيوانات المنوية :

استنادا الى ما تقدم، فإن أسباب العقم عند

وقد يكون مثيرا للدهشة أن نقول إن الدراسات الحديثة التي أجريت في هذا الحقل، تشير الى زيادة



بقلم: د. عبدالرحمن عبداللطيف النمر - الكويت

اقترح جهازا صغيرا لتبريد الخصيتين عند العاملين أمام الأفران. ولم يخرج الاقتراح، الذي تقوم فكرته على استخدام ماء بارد في كيس حول الخصيتين، الى حيز التنفيذ بعد.

وقريب من هذا السبب، العادة الشائعة عند كثير من الرجال، خصوصا في المجتمعات الغربية، بالجلوس زمنا في ماء ساخن أثناء الاستحمام. وسبب انتشار هذه العادة أن المكث في الماء الدافئ يؤدي الى استرخاء العضلات وإزالة الشعور بالتعب وتجديد النشاط. وإن كانت هذه المكاسب حقيقية، فإن الثمن في المقابل هو انخفاض تدريجي في قدرة الخصيتين على إنتاج حيوانات منوية.

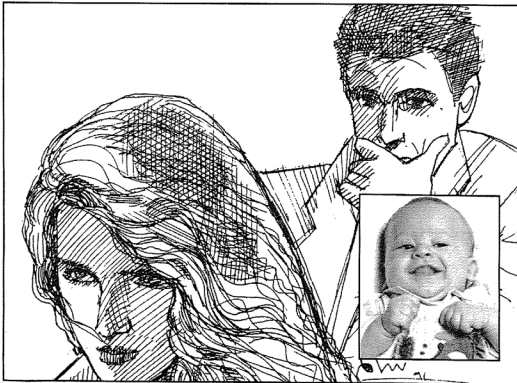
ومن العوامل الأخرى المؤدية الى قلة إنتاج الخصيتين من الحيوانات المنوية، الإصابة بنوع من

الرجال تتراوح بين تلك المتعلقة بإنتاج الحيوانات المنوية من ناحية، وتلك المتعلقة بطبيعة الحيوانات المنوية من ناحية أخرى.

في الجانب الأول، المتعلق بإنتاج الحيوانات المنوية في الخصيتين، كشفت الدراسات الحديثة عن عدد من الأسباب، منها ما يتعلق بطبيعة العمل الذي يقوم به الرجل المصاب بالعقم، ومنها ما يتعلق بالعوادات، ومنها ما يرجع الى الإصابة بأمراض معينة. وبعض الأسباب يتعلق بالبيئة.

وتفصيل ذلك أن الرجال الذين يقتضى عملهم الوقوف عدة ساعات كل يوم أمام أفران ذات درجات حرارة عالية، مثل العاملين في المخازن وفي مصانع الحديد وفي مطابخ المطاعم، تنخفض قدرتهم على إنتاج حيوانات منوية بنسبة أربعين في المائة، وتعليل

ذلك أن الحرارة العالية تؤثر تأثيرا ضارا على خلايا إنتاج الحيوانات المنوية في الخصيتين. والى اليوم لا يوجد حل ناجع لهذه المشكلة، اللهم إلا تغيير طبيعة العمل! إلا أن باحثا في مركز لدراسات العقم تابع لجامعة «واشنطن» (في الولايات المتحدة)



المبيدات الحشرية الى نقص قدرة الرجال الذين ينترونها على إنتاج الحيوانات المنوية! من غير المرجح أن يكون ذلك انتقاما من الطبيعة! ويذهب الافتراض الى أن استنشاق بعض غبار تلك المبيدات يؤدي الى تسمم وموت خلايا الخصيتين.

ومن الأسباب التي لا ينبغي إغفالها، فيما يتعلق بإنتاج الحيوانات المنوية، الإجهاد، خصوصا الإجهاد النفساني. فقد اتضح أن الصدمات العاطفية، نتيجة فقدان شخص عزيز أو الإخفاق في بلوغ هدف ما، وانفعالات القلق والتوتر تؤدي الى ضعف القدرة على إنتاج الحيوانات المنوية، سيما حين تطول فترة الإجهاد النفساني.

طبيعة الحيوانات المنوية :

الحيوان المنوي يشبه، من حيث الشكل الظاهري، جنين الضفادع المعروف باسم «أبو ذئبية» والذي يرى سابحا في المياه الضحلة قريبا من السطح. وللحيوان المنوي رأس بيضاوي، وجسم مستقيم صغير، وذيل طويل. بالقياس الى الجسم. وتحت المجهر العادي يبدو الحيوان المنوي مكونا من رأس وذيل طويل فحسب.

وقد سلف وذكرنا أن متوسط عدد الحيوانات المنوية في المذوف من ماء الرجل البالغ في مرة واحدة، حوالي مائة وأربعين مليونا. وأثناء الجماع، تتسابق الحيوانات المنوية الى بويضة الأنثى لإخصابها. ومن بين هذا المجموع الهائل، يفوز حيوان منوي واحد في السباق، فيخترق بويضة الأنثى ويخصبها. ومن إبداع صنعة الخالق أن البويضة متى أخصبت، لا يمكن أن يخترقها حيوان منوي آخر.

مرة أخرى يثور التساؤل: لماذا هذا العدد الهائل

الميكروبات اسمه العلمي «مايكوبلازما» وهذه الميكروبات تنتقل بالعدوى، فلا عجب إن كانت الإصابة بها عالية في مجتمعات «التحرر الجنسي»! والجدير بالذكر بشأن الإصابة بهذه الميكروبات، أن الإصابة لا تؤدي الى ظهور أعراض، كما الحال مثلا في «الزهرى» و«السيلان» وغيرهما من الأمراض الجنسية. كل ما هنالك أن الميكروب يصعد في قناة البول عند الرجال، الى أن يصل الى الخصيتين فيتخذ له مقاما بين الخلايا، ويمنعها من أداء عملها الطبيعي! ولاكتشاف الإصابة الساكنة بهذا الميكروب، يلزم عمل مزرعة للبول، وأخرى لماء الرجل. ومتى اكتشفت الإصابة، فإن علاجها يكون سهلا بالمضادات الحيوية. ومتى شفى المصاب فإنه يستعيد قدرته الطبيعية على إنتاج الحيوانات المنوية.

أما ما يتعلق بالبيئة، فقد اتضح أن سكان المناطق عالية التلوث، خصوصا بمعدن الرصاص أو أبخرته، يعانون من مشكلة العقم. وزيادة نسبة الرصاص في الدم عن حد معين، لا يؤدي فحسب الى نقص انتاج الحيوانات المنوية، وإنما يؤدي كذلك الى تشوه الحيوانات المنوية الناتجة! وتجدر الإشارة الى أن دم الإنسان الطبيعي يجب ألا يحوى أى مقادير من الرصاص.

من جانب البيئة كذلك، اتضح أن - بين المصابين بالعقم - عدداً من الرجال العاملين في حقل استخدام المبيدات الحشرية. وقد أشارت أصابع الاتهام الى نوعين من المبيدات بوجه خاص: أحدهما يعرف اختصارا في الانجليزية بالحروف (EDB)، ويستخدم في رش أشجار الفاكهة، والآخر يعرف اختصاراً بالحروف (DBCP) ويستخدم في رش المزروعات. ومن غير المعروف يقينا كيف تؤدي هذه

لعملية احتراق الوقود . والرصاص موجود كذلك في أبخرة كثير من المصانع . بتعبير آخر، فإن تلوث الهواء بمعدن الرصاص له تأثير مباشر على الإخصاب عند الإنسان . ومع ازدياد مشكلة تلوث الهواء عاما بعد آخر، خصوصا في المجتمعات الصناعية، فلا غرابة أن يزيد عدد الرجال المصابين بالعقم .

وفي حالات العقم التي خضعت للدراسة، واتضح وجود درجة ما من التسمم بالرصاص عندها، ظهرت الحيوانات المنوية مشوهة بطريقة مميزة، إذ كانت رؤوسها شبيهة بثمره الكرثى بينما كانت ذيولها ملتفة حول نفسها .

وتأتى الأسباب الأخرى التي ذكرت سلفا فيما يتعلق بإنتاج الحيوانات المنوية، كسبب للتشويه كذلك . يبدو أن العلاقة بين الأسباب والنتائج طردية ومزدوجة في معظم الأحوال . بمعنى أن زيادة تأثير سبب معين، يؤدي الى نقص أكبر في إنتاج الحيوانات المنوية، كما يؤدي في الوقت ذاته الى حدوث تشوه بنسبة أعلى في الحيوانات المنوية الناتجة .

كيف العلاج؟

سؤال طبيعى في هذا السياق . العلاج هو تفادي الأسباب وليس إصلاح النتائج . أى أن الوقاية واتخاذ التدابير اللازمة لتجنب الأسباب المؤدية الى العقم هو حجر الزاوية في الحفاظ على خصوبة الرجل . إذ متى وقع التلف فلا سبيل الى إزالته . وإن كان بعض التحسن يحدث في حال البعد عن الأسباب التي أدت الى المشكلة أصلا .

وبعد، فبقدر ما أفادت الدراسات الحديثة لفهم العقم عند الرجال، بقدر ما تشير الى مكان الخطر . وفي هذا تحذير ضمنى لبنى الإنسان بالاحتراس، إذا أراد الإنسان الحفاظ على جنسه على هذا الكوكب .

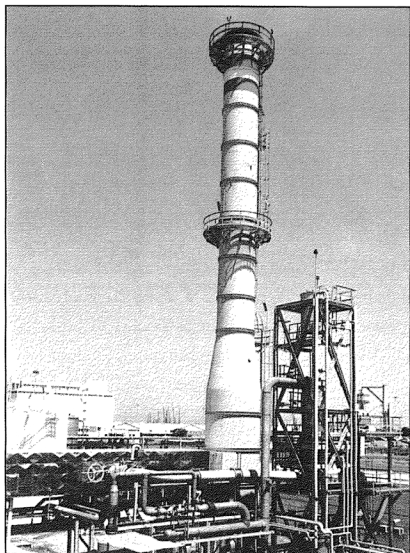
من الحيوانات المنوية، إذا كان حيوان واحد فقط يقوم بمهمة إخصاب بويضة الأنثى؟! الجواب سر من أسرار الخالق لم يمكن حل مغاليقه بعد . ولكن الثابت من الدراسات المتكررة أن عدد الحيوانات المنوية إذا قل عن ذلك، فإن الإخصاب لا يتم! .

وما دمنا وصلنا الى حد الإخصاب، فيجب أن نذكر أن العامل المهم هنا ليس عدد الحيوانات المنوية وحده، إنما طبيعة الحيوانات المنوية كذلك - بمعنى سلامتها وخلوها من التشويه .

ومن تشوهات الحيوانات المنوية، أن يكون للحيوان الواحد رأسان بدلا من رأس واحد، أو أن يكون له ذيلان بدلا من ذيل واحد . وأحيانا يأخذ التشويه صورا أخرى، فيكون رأس الحيوان المنوى منبعجا وليس بيضاوياً، أو أن يكون الذيل مشقوقا من نهايته، أو أن يكون الرأس منفصلا عن الذيل .

وغنى عن الذكر أن الحيوان المنوى المشوه لا يمكنه الاشتراك في سباق إخصاب بويضة الأنثى . وعلى ذلك، فكلما زاد عدد الحيوانات المنوية المشوهة في ماء الرجل، كلما قلت الفرصة لحدوث إخصاب، وبالتالي تكون هناك مشكلة عقم . وأحدث دراسات العقم عند الرجال تشير الى أن أقصى نسبة لتشوه الحيوانات المنوية في ماء الرجل القادر على الإخصاب هي أربعون في المائة . بمعنى أنه إذا كان أربعون في المائة من اجمالي عدد الحيوانات المنوية في المقيظف من ماء الرجل في مرة واحدة مشوها، فما يزال هذا الرجل قادرا على الإخصاب . لكن إذا زادت نسبة تشوه الحيوانات المنوية عن ذلك، قلت فرصة الإخصاب (العلاقة طردية) .

أكثر أسباب تشوه الحيوانات المنوية شيوعا هو دخول مادة «الرصاص» (lead) الى الجسم . والرصاص موجود في عادم السيارات كنتاج ثانوى



إدارة الطلب على الطاقة

تعتبر الإدارة الفعالة للطلب على الطاقة جزءاً مكملًا لعملية تخطيط الطاقة وذلك لأن الطاقة الوفيرة والتي لم تستهلك في دولة ما، هي في الواقع كأنها طاقة منتجة في تلك الدولة، كما أن توفير الطاقة يمكن الحصول عليه - في العادة - بسرعة أكبر من زيادة الإنتاج المحلي وذلك بسبب طول الوقت المطلوب لتحقيق موارد طاقة إضافية وخاصة من مصادر جديدة.

أيضاً تحقيق المستوى المناسب من الخدمات المطلوبة، فعلى سبيل المثال يمكن توفير التدفئة للبيت أو المكتب باستخدام أنواع عديدة من الطاقة كالغاز أو الكهرباء أو الفحم أو الوقود النقطي، ولكل نوع من هذه الأنواع تكاليفه وعوائده الاقتصادية الخاصة، كما يعتمد مقدار الطاقة المطلوبة على عوامل متنوعة كدفع الملابس التي

ولا يعتبر الطلب على الطاقة طلباً عليها بحد ذاتها إنما هو طلب على ما تؤديه من خدمات كالدفئة والإنارة والقوة الحركية، وهذه الخدمات يمكن تحقيقها بطرق مختلفة، وبكفايات مختلفة، وبموارد طاقة مختلفة، لذلك لا تتضمن إدارة الطلب على الطاقة اختيار موارد الطاقة الأكثر كفاية فقط، وإنما تتضمن

مهماً في إدارة الطلب، فعلى سبيل المثال من الممكن فنياً تخفيض استهلاك الخشب أو الفحم النباتي الى أكثر من النصف باستخدام أفران طهي أفضل تصميمياً ولكن هذه الأفران المقتصدة غير مقبولة اجتماعياً ونفسياً في العديد من أجزاء العالم النامي. مع هذا فإن إدارة الطلب على الطاقة التي تشمل الكفاية الأكبر في استخدام الطاقة واستبدال الوقود بمصادر طاقة متجددة هو أمر من الممكن تحقيقه في الدول النامية، إلا أن توفيرات الطاقة من قبل هذه الدول وحدها لن يكون لها أثر رئيسي على الطلب والعرض العالمي للطاقة، ذلك أن استهلاك الدول النامية بمجموعها يكون ١٤٪ من الاستهلاك العالمي للطاقة التجارية أي تقريباً مقدار ما تستهلكه الولايات المتحدة لوحدها، ومع هذا فإن إدارة الطلب على الطاقة ضرورية إذا ما أردنا القضاء على الأعباء المالية لاستيراد الطاقة التي تزداد كلفتها باستمرار، وإذا ما رغبتنا في تجنب حدوث أزمة نفطية ثالثة.

مبادئ إدارة الطلب على الطاقة:

ويعني تحسين كفاية استخدام الطاقة استخدام كل مصدر من مصادر الطاقة بطريقة تعمل على زيادة قيمة الطاقة المنتجة من مقدار ثابت من الموارد، وتخفيض الفاقد في كل نشاط يستخدم الطاقة، ويعني هذا على المستوى القومي تحديد الأولويات ما بين الاستخدامات الرئيسية للطاقة، كترتيب الأولويات - على سبيل المثال - بين النشاطات الصناعية مقابل التجارية والأسرية، وترتيبها بين النقل العام مقابل الخاص، وضمان انسجام السياسات الحكومية مع هذه الأولويات.

والإدارة الرئيسية لزيادة كفاية الطاقة في أغلب الدول النامية والصناعية على السواء هي سياسة

يرتديها الساكنون، ومستوى الراحة المطلوبة، والضرورات الصحية... الخ.

وتتضمن إدارة الطلب على الطاقة أيضاً تدخلا مباشراً من قبل الحكومة في سوق الطاقة، ومدى تدخل الحكومة لتطبيق كل الإجراءات المدة لإدارة الطلب أو قيامها بتوفير الحوافز المشجعة على تطبيق هذه الإجراءات يعتمد على الظروف التي تعيشها كل دولة على حدة، وسواء قل التدخل الحكومي المباشر أو كبير فإن هناك دائماً حاجة الى بعض التدخل حتى ولو كان من أجل رفع كفاية استخدام الطاقة في القطاع العام فحسب.

وفي الدول الصناعية حيث طبقت الحوافز المناسبة وحيث استخدمت إدارة الطلب على الطاقة من قبل القطاع الخاص على نطاق واسع، تبين أنها في حد ذاتها عملٌ يدر الربح على مجموعة واسعة من المصنعين كمنتجي مواد العزل، ومصنعي المضخات الحرارية، والسيارات الصغيرة، المقتصدة في استخدام الوقود. وقد وجد مستهلكو الطاقة في الدول الصناعية أن العوائد المتأتية من زيادة الكفاية في استخدام الطاقة أو إحلال الوقود تزيد - بشكل عام - عن التكاليف المبدولة في سبيل تحقيقها، وجراء ذلك قاموا بالاستثمار في المعدات الجديدة الموفرة في الاستهلاك، أما بالنسبة للعديد من الدول النامية فقد كانت عوائد رفع الكفاية في استخدام الطاقة غير واضحة بالنسبة للقطاع العائلي والصناعي، ويعود ذلك الى أسباب عديدة منها أن المستوى العام لاستخدام الطاقة أقل من ذلك الموجود لدى الدول الصناعية، وأن عملية استبدال الآلات والمعدات والأجهزة المنزلية في الدول النامية عملية بطيئة، وأن مستخدمي الطاقة لا يستطيعون تحمل تكاليف المعدات والأجهزة الجديدة، وأن التقاليد السائدة في المجتمعات النامية تلعب دوراً

الاعتراض الرئيسي على مثل هذه السياسات في الماضي أن التسعير المنخفض يمنع مزودي الطاقة من تحقيق عوائد كافية تسمح لهم بتمويل استثماراتهم المستقبلية لتحقيق مزيد من الطاقة الإنتاجية، أي أن التركيز كان ينصب على الاستخدامات التجارية لرأس المال الناتج عن الطاقة، ولكن الآن وحيث لم تعد الطاقة رخيصة أو وفيرة فإن كفاية الطاقة يجب أن تعتبر عنصراً أساسياً في التخطيط الاقتصادي وفي إدارة الطلب على الطاقة وأن تأخذ مكانها الصحيح مع الأشكال الأخرى للإدارة الاقتصادية.

وبسبب التنوع الواسع لأوضاع الطاقة بين الدول فلا يوجد هناك منظور عالمي موحد لبرامج إدارة الطلب، ففي الدول النامية الأشد فقراً تستخدم معظم الطاقة التجارية من قبل ساكني المدن الغنية في نشاطات الصناعة والنقل المرتبطة باحتياجاتهم، وأنماط الاستهلاك في هذه الدول والدول النامية متوسطة الدخل تتشابه ظروفها مع تلك الموجودة في الدول ذات الدخل العالي. ويعتمد السكان في المناطق الريفية الفقيرة بشكل كبير على أنواع الوقود التقليدية من أجل الطبخ خاصة، الذي يكون عادة على شكل نار مفتوحة أو باستخدام أفران حرق الخشب غير الكفية، ويحصر استخدام الطاقة التجارية بالكاز (البارافين) وبشكل أساسي من أجل الإضاءة وأحياناً يستخدم في الطبخ أيضاً.

تقنيات إدارة الطلب على الطاقة :

في القطاع العائلي :

يقدر استهلاك القطاع العائلي في المتوسط بحوالي ٤٥٪ من الاستهلاك الكلي للطاقة في الدول النامية، و ١٠ - ٢٠٪ فقط من استهلاك الطاقة التجاري، وفي الدول ذات الدخل المنخفض تصل هذه الحصص إلى ٧٥ و ١٠٪ على التوالي، وفي الدول ذات الدخل المتوسط تصل إلى ٢٠ - ٤٠٪ و ١٠ - ٢٠٪ على التوالي، ومعظم الطاقة غير التجارية المستهلكة من قبل

التسعير التي تضمن - قدر الإمكان - بأن تعكس أسعار الطاقة باستخداماتها المختلفة تكلفتها الاقتصادية الحقيقية، ويعني هذا بالنسبة لأغلب منتجات الطاقة أعلى سعر يمكن تبادله داخل الدولة أو مع الدول الأخرى على حد سواء، وعندما لا يمكن تبادل المنتج أو لا يمكن استبداله بمنتج طاقة آخر يمكن تبادله فيكون سعره الاقتصادي هو تكلفة إنتاجه أو استبداله، ويتطلب تحقيق التسعير الاقتصادي لمنتجات الطاقة - في حالات عديدة - إما إزالة القيود السعرية غير المناسبة والمفروضة من قبل الحكومة أو تصحيح السياسات الحكومية. إذ تستطيع الحكومة أن تفرض الضرائب على بعض أو كل منتجات الطاقة لتشجيع حفظها أو لتشجيع الإحلال بين أنواع الوقود المختلفة. كما تستطيع أن تستخدم ضوابط غير سعرية متنوعة مثل وضع قيود على الاستيراد، والتقنين الكمي، أو استخدام نظام الحصص حيث تتدخل الحكومة في السوق بواسطة هذه الأدوات لفترة قصيرة الأجل حتى تحقق التعديلات الأساسية المطلوبة في الأسعار.

كما قد يكون هناك ضرورة لأن تفرض الحكومة على هيئاتها - التي تكون في العادة منعزلة عن قوى السوق - أشكالاً مختلفة من الميزانيات تؤدي هذه الهيئات عملها وفقاً لها، أو أن تخضعها للتقنين من أجل التأكد من أن تعكس الطاقة المستهلكة في المشاريع والخدمات العامة تكلفتها الحقيقية، وتحتاج السياسات الإدارية والتسعيرية إلى دعم من قبل برامج التعليم الموجهة للعامة، ولغات خاصة من مستهلكي الطاقة للمساعدة في التغلب على المقاومة السياسية لأسعار الطاقة الواقعية.

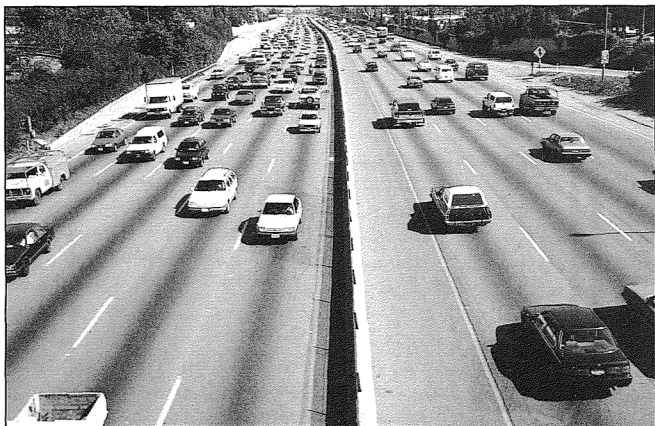
ويتأثر توزيع الطاقة بين استخداماتها الرئيسية في معظم الدول بدعم ومراقبة الأسعار، وبأشكال أخرى من الأنظمة والتعليمات الموضوعة لأجل ضمان انخفاض الأسعار لمستخدمين معينين أو جماعات استهلاكية خاصة، والتعرفة الكهربائية المنخفضة المعدة لتنشيط الصناعة مثلاً واضح على ذلك، وقد كان

ويستطيع معظم هؤلاء الناس الوصول الى مصادر الحطب في حين يستخدم مليار ونصف نسمة البقايا النباتية والحيوانية لطبخ طعامهم، وبشكل عام تستطيع الدول مواردها الخشبية بسرعة أكبر مما تستطيع تجديده من هذه الموارد، وتعاني جراء ذلك نتائج بيئية واجتماعية واقتصادية كبيرة.

وتكون - في العادة - عملية ضبط ومراقبة قطع الخشب وتصنيع الفحم النباتي وتوصيلهما الى أماكن استهلاكهما في المدن غير فعالة، وتشجع التخلي عن أنواع الوقود التقليدية والتحول الى الوقود التجاري بواسطة دعم أسعاره له محددات قوية خاصة عندما يزداد سكان المدن بالسرعة الموجودة حالياً، كما اكتشفت الدول النامية - ومن خلال التجربة - أن تصميم وترويج استخدام الأفران المقتصدة بهدف المساعدة في ترشيد استخدام الطاقة هي فكرة من الصعب تطبيقها وأنها في الواقع العملي تواجه

القطاع العائلي لها قابلية تسويقية محدودة. ويستخدم القطاع العائلي الطاقة بشكل أساسي لأغراض الطهي، وتبرز أهمية تدفئة وتبريد الأماكن عند مستويات الدخل العالية فقط باستثناء دول مثل كوريا وتركيا اللتين تعانيان من شتاء حاد، وبالمقابل فإن تدفئة وتبريد الأبنية السكنية في الولايات المتحدة وحدها يستهلك ما نسبته الى ٢٢٪ من استهلاك الطاقة الكلي.

ويشكل الحطب والفحم النباتي وبقايا المحاصيل وروث الحيوانات فعلياً معظم الطاقة المستخدمة في المناطق الريفية في الدول النامية وتصل الى حوالي ٢٥٪ من الاستهلاك الكلي، وتعتبر إفريقيا الأكثر اعتماداً على هذه المصادر وتليها آسيا ومن ثم أمريكا اللاتينية التي تعتبر الأقل اعتماداً على مثل هذه الموارد التقليدية، ويستخدم حالياً حوالي ٧٪ من سكان الدول النامية أنواع الوقود التقليدية لأغراض الطهي.



يصل استهلاك قطاع النقل إلى ٢٥٪ من استهلاك الطاقة في الدول الصناعية

لهذا القطاع في العديد من الدول ذات الدخل المنخفض بحوالي ١٠ - ٢٠٪ من مجموع استهلاك الطاقة الكلي، ويقدر استهلاك النقل على الطرق (السيارات، والشاحنات، والباصات) بحوالي ٧٥٪ - ٨٥٪ من الطاقة المستهلكة مباشرة في قطاع النقل ويعتبر النقل على الطرق أحد المستهلكين الكبار، كما يستهلك النقل الجوي والنقل بواسطة القطارات في العادة حوالي ٣ - ٥٪ و ١٠٪ على التوالي.

وباستثناء القطارات في بعض الدول فإن قطاع النقل يعتمد بشكل كامل تقريباً على النفط، ويستهلك في الكثير من الدول ما يزيد عن نصف المجموع الكلي لاستهلاك المشتقات النفطية، وبدأت بعض الدول - وفي البرازيل على وجه الخصوص - باستخدام الوقود الكحولي المنتج من الذرة كبديل لوقود المحركات، وتجرب دول أخرى مثل جمهورية كوريا وسائل مواصلات تعمل على الغاز المسال والكهرباء، وهناك بحوث مكثفة تجري في الدول الصناعية على وسائط النقل التي تعمل بالكهرباء، لكن يبقى البنزين ووقود الطائرات والسولار مصدر الطاقة الرئيسي لقطاع النقل. والمحاولات لتحسين كفاءة الطاقة في هذا القطاع مرغوبة بشكل خاص.

وإحدى الطرق لتخفيض استهلاك الطاقة أو لتبطين معدلات نموها هي نقل حركة المواصلات الى وسائل نقل مقتصدة مثل النقل البحري والنهري، وتكثيف استخدام أنظمة القطارات التي تعتبر أكثر كفاءة بعدة مرات من وسائط النقل على الطرق، خاصة عندما تستخدم كوسائط نقل ضخمة. إلا أن السكن الحديدية مكلفة في بنائها وهي نسبياً لا تتمتع بالمرونة، ولكن حتى في الأمكنة التي لا يمكن بناء أنظمة جديدة فيها أو لا يمكن توسيع الموجود منها، فيمكن جعل الخدمة أكثر كفاءة واعتمادية لجذب قسم أكبر من عمليات النقل المناسبة لهذا النمط، وبشكل مشابه يوجد في العديد من الدول طرق مائية ساحلية أو داخلية يمكن استغلالها على نحو كامل.

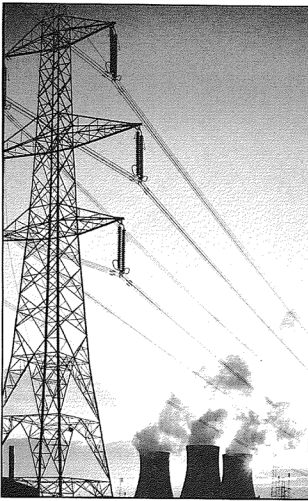
وفيما يتعلق بنقل المسافرين فإن تحسين خدمات

صعوبات شتى، بالإضافة الى ذلك فإن توفر أنواع الوقود التقليدية في معظم الدول النامية يعقد من مشكلة تقاضي أسعار مبنية على التكاليف مقابل الأنواع المختلفة من الوقود التجاري، لهذا فإن رفع أسعارها للحد من نمو الطلب عليها سوف يجعل أنواع الوقود التقليدية أكثر جاذبية الأمر الذي يضيف مزيداً من الضغط على الغابات، كذلك فإن فقر المناطق الريفية قد أضعف الحكومة بدعم الكاز وهو الوقود الأكثر شيوعاً في هذه المناطق، كما دفعها الى دعم التعرف الكهربي لضممان وصول حد أدنى من هذه الموارد الى الفقراء وسعر يستطيعون تحمله، لهذا ولأسباب بيئية واجتماعية تسود الدول النامية حالة تقل الأسعار فيها عن الأسعار الاقتصادية لأنواع الوقود التجارية والطاقة الكهربائية.

وتكمن الصعوبة أيضاً في حصر هذه الفوائد على المستهلكين الذين يحتاجونها فعلاً، فالكاز المدعوم يستخدم باستمرار لغش البنزين والسولار اللذين يستخدمان في وسائل النقل، ويستفيد من التعرف الكهربائي المنخفضة العائدات الفقيرة والميسورة على حد سواء، ولتجنب الآثار العكسية من مثل هذا النوع فإن دعم ومراقبة الأسعار يجب أن يستخدم فقط إلى الحد الذي يكونان فيه ضروريين على نحو واضح بغرض تحقيق مزيد من الأهداف الاجتماعية والبيئية، ويجب أن ينفصل تسويق الطاقة للقطاع العالمي - حيث يكون ذلك ممكناً - عن تسويقها للقطاعات الأخرى، ويجب أن تبذل الجهود لجمع المعلومات الكافية حول استخدام الوقود التجاري والتقليدي من قبل القطاع العالمي حتى يمكن مراقبة ودراسة آثار التغيرات في أسعار الطاقة.

قطاع النقل :

يقدر استهلاك قطاع النقل بحوالي ١٥ - ٢٥٪ من مجموع استهلاك الطاقة المباشر في الدول الصناعية ويقدر بنسبة مشابهة أو تزيد قليلاً في الدول النامية متوسطة الدخل، وفي المقابل يقدر الاستهلاك



إن تطوير الشبكات القومية والعلاقات البيئية الإقليمية يزيدان من كفاءة استخدام الطاقة

تتجنب الحاجة للترشيد أو استخدام الضوابط المادية والإدارية إلا أنها تميل الى انتاج تخصيص غير كفي للموارد. لهذا فإن هنالك حاجة الى مزيج من الإجراءات التي تشمل على سبيل المثال لا الحصر فرض الضرائب على المشتريات من وسائل النقل وعلى تحركاتها، وتحسين إدارة المرور وصيانة الطرق، وتحسين النقل الكثيف داخل المدن وفيما بينها. ولا بد من الحرص على تشجيع استعمال الدراجات الهوائية وسيارات الأجرة والباصات الصغيرة التي تميل السلطات المحلية الى اعتبارها نوعاً من أنواع الإزعاج.

إن زيادة كفاءة الطاقة لوسائط النقل ربما تكون الأسلوب الأكثر فعالية للسيطرة على نمو استهلاك الطاقة في قطاع النقل، وامكانيات ذلك أكثر بكثير من توجهات أخرى (إن يمكن توفير ٢٠٪ تقريباً)، وهي

النقل العام يساعد على تحول قسم من التنقل بواسطة السيارات الخاصة الى الباصات والقطارات وهما أكثر اقتصاداً في نقل المسافرين، ويمكن لعملية كهربية خدمات القطارات أو باصات الترولي أن تؤدي الى استخدام أكبر للموارد الداخلية لتوليد الطاقة الكهربائية، ويساعد التخطيط الأفضل للأمكنة في الصناعة، وتحسين أنظمة الاتصالات في جعل النقل أكثر كفاءة في استخدام الطاقة، كما أن للإجراءات الموضوعة لزيادة متوسط عامل الأحمال كالاشترك في استخدام السيارات، والاستخدام الأكفأ للطائرات، وتخفيض عدد الحمولات الراجعة الفارغة، نفس الأثر، وكذلك يسهم تحسين أنماط الاستخدام في رفع كفاءة استخدام الطاقة من خلال مراقبة أفضل للنقل على الطرق، وتقنيات سواقة أفضل، وعمليات أرضية محسنة للنقل الجوي... الخ.

وتتنوع نسبة الحمولات المنقولة بواسطة الطرق بشكل كبير فيما بين الدول النامية ولكن حصة النقل بواسطة الطرق تزداد فيها بشكل سريع، وهو في غالبية هذه الدول نمط التنقل المسيطر، وعلى الأرجح أن يبقى كذلك في الأجل الطويل، لهذا فإن أنظمة التنقل في العديد من الدول النامية كثيفة الاستخدام للطاقة وتعتمد بشكل كبير على النفط المستورد، وإذا كان لا بد من القيام بالتوفير في كل من الطاقة الكلية المستهلكة وفي المستوردات النفطية فإن هذا التوفير يمكن تحقيقه بشكل كبير بواسطة تخفيض معدل التوسع في وسائل النقل على الطرق وتحسين كفاءة استخدامها.

وما زال لدى الدول النامية وسائل نقل خاصة أقل لكل نسمة من الدول الصناعية ولهذا فإن الفرصة لازالت لديها متاحة لتجنب بعض المشاكل التي تعاني منها الأخيرة في منطقة فيها تكاليف النفط عالية والاستثمارات الرأسمالية في الطرق السريعة فيها كبيرة، ويعتبر تسعير البنزين والأسعار العالمية أو رفعها من خلال الضرائب الأداة الأسهل للحد من استخدام وسائل النقل، ومع أن سياسة التسعير

الجانبية، وتركيب طاقة توليد مساعدة، وتوفير الحرارة المفقودة في البويلرات، وعزل أفضل وقدرات احتمال أفضل.

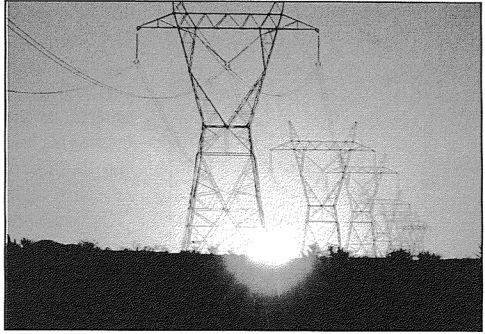
بالإضافة الى ذلك فإن اجراءات توفير الطاقة ترتب استثمارات إضافية هي في الغالب نادرة تصرف على العمليات التشغيلية في الصناعة أو المصانع المعنية، والأمثلة على ذلك تتضمن مصنع فحم الكوك لتبريد الفولاذ الجاف، والإعدادات المحسنة للمواد الخام في صناعة الفولاذ، والتحول من

العمليات الرطبة الى الجافة ومن النفط الى حرق الفحم في صناعة الإسمنت، والتحول الى العمليات المتولدة ذاتياً باستخدام حرارة المعدن المركزة في النحاس المصهور، واستعادة الحرارة الضائعة في مصانع التكرير والأمنيا.

والتدقيق المحاسبي للطاقة على مستوى المصنع ضروري لتحديد الإمكانيات الموجودة من التحسينات التشغيلية والمادية، ولتقييم توفيرات الطاقة التي تنتج، ومثل هذا التدقيق يمكن أن يوفر الأساس الضروري لتطوير برامج كفاية الطاقة، ولعدم مثل هذه الجهود عند مستوى المصنع فربما يكون هنالك حاجة الى إحداث تغيرات واسعة في سياسة تسعير الطاقة، والى الحوافز المالية للاستثمارات الموفرة في الطاقة، والى برامج المساعدات الفنية المدعومة من الحكومة، والى توفير الاموال بشروط مغرية أكثر.

قطاع الطاقة الكهربائية :

لقد نما استهلاك الطاقة الكهربائية مع عملية التنمية بمعدل ١٠٪ سنوياً من عام ١٩٥٠ الى عام



وصلت نسبة الطاقة الأولية التجارية الموجهة لإنتاج الكهرباء في الدول النامية إلى ٣٠٪ بحلول عام ١٩٩٠ م

بشكل عام عملية لا تؤثر على نوعية خدمات النقل ولا تتطلب تغييرات سلوكية من جانب المستخدمين أو من جانب المؤسسات.

قطاع الصناعة :

تعتبر الصناعة المستهلك الرئيسي للطاقة التجارية في العالم النامي، ويتراوح استهلاك قطاع الصناعة في الدول التي تتوفر فيها البيانات من خمس الى ثلثي مجموع الاستهلاك الكلي للطاقة التجارية بمتوسط يبلغ ٣٥٪ تقريباً.

إن برنامج توفير الطاقة في الصناعة يمكن أن يوفر مقادير مهمة من الطاقة في الأجل القصير وبتكلفة قليلة نسبياً، وتشير الخبرة في القطاعات الفرعية الكثيفة الاستخدام للطاقة في دول نامية عديدة الى إمكانية القيام بتوفيرات مهمة في الطاقة يمكن تحقيقها خلال سنتين أو ثلاثة، وذلك بواسطة الإدارة الجيدة، وتدريب الموظفين العاملين في الصيانة وإدارة شؤون التجهيزات، وإحداث تغييرات بسيطة نسبياً في عمليات الإنتاج الموجودة، مثل استعادة المنتجات

١٩٧٤ و٨٪ سنوياً منذ ذلك الوقت، ويتوقع أن يستمر استهلاك الطاقة الكهربائية بمعدل سنوي من ٨ - ٩٪ خلال الثمانينيات، وفي الدول النامية تزداد نسبة الطاقة الأولية التجارية الموجهة لإنتاج الكهرباء وبشكل مستمر: فحتى الخمسينيات كانت هذه الحصة تبلغ ١٠٪، وبحلول عام ١٩٨٠ وصلت هذه النسبة إلى ٢٥٪ وسوف تتخطى نسبة ٣٠٪ بحلول عام ١٩٩٠م.

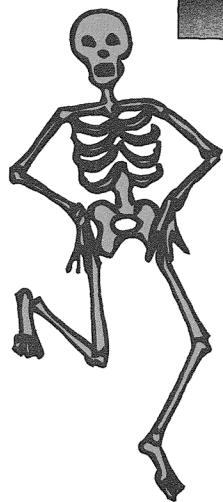
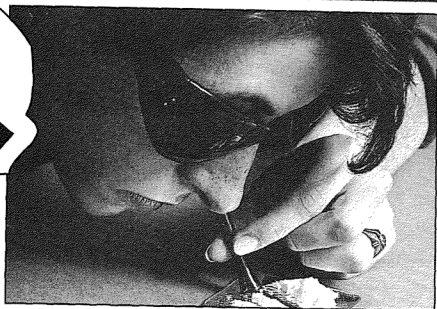
وعلى نطاق العالم نجحت محطات توليد الكهرباء في تحقيق انتقال جذري في سياساتها: بحيث اتجهت بعيداً عن استخدام الوقود النفطي إلى استخدام الغاز والفحم، مع هذا ففي عام ١٩٨٠م استخدمت الدول النامية حوالي ١٥ مليون برميل من النفط يومياً وبتكلفة تقدر بحوالي ١٦ مليار دولار لتوليد الطاقة الكهربائية، ومن المتوقع أن يزداد استهلاكهم النفطي لتوليد الكهرباء إلى ما يزيد عن مليوني برميل يومياً وبتكلفة ٣٠ مليار دولار (بدولارات عام ١٩٨٠) في عام ١٩٩٠م.

إن غالبية الدول النامية بحاجة وبشكل عاجل إلى زيادة كفاءة استخدام الطاقة الكهربائية في توليدها ونقلها وتوزيعها، وتحمل جميع أنظمة الكهرباء وبشكل متجذر خسائر من الطاقة في محطات التوليد وخسائر من المقاومة في شبكات النقل والتوزيع، وتستهلك محطات التوليد - في العادة - ما يعادل ١ - ٦٪ من الطاقة التي تنتجها، وتكون هذه النسبة باثني مستوياتها في المحطات الهيدروجينية وبأعلى مستوياتها في محطات حرق الفحم، وتستهلك الخسائر المتمثلة في المقاومة في شبكات النقل والتوزيع للدول النامية في الوقت الحالي حوالي ١٥٪ من إنتاجها الكلي من الطاقة الكهربائية، وحيث إن مستويات الخسارة المثالية هي تقريباً نصف ذلك فإن هناك حاجة إلى جهود جديدة لإعادة تأهيل شبكات النقل والتوزيع، وتركيب موصلات جديدة، وتحسين أنظمة التشغيل، ورفع مستوى نظام الشحن. إن عمليات توليد كمية أكثر وتخفيض نسب الخسائر يمكنهما

تخفيض الزيادات المطلوبة في الطاقة الإنتاجية في عام ١٩٩٠م بحوالي ٧٪ أي ما يقابل توفير مقداره ٢٠ مليار دولار (بدولارات عام ١٩٨٠)، وامكانيات توفير الوقود يمكن أن تصل إلى ما يساوي ٢ مليار دولار سنوياً، وهذا يظهر بشكل جلي أن هناك مجالا واسعا لتحقيق تخفيضات مهمة في استهلاك الطاقة في قطاع الكهرباء.

إن إحلال الوقود ما بين أنواعه المختلفة يوفر امكانيات إضافية لتخفيض متطلبات قطاع الكهرباء من المستوردات النفطية، والخصائص الفنية تحدد - جزئياً - مدى إحلال الوقود ما بين أنواعه المختلفة في محطات توليد الكهرباء المتواجدة حالياً، فعلى سبيل المثال يمكن للغاز أن يحل محل النفط كوقود توليد في جميع أنواع المحطات الحرارية مع تعديلات غير مكلفة نسبياً، لكن إمكانية إحلال الفحم محدودة أكثر بسبب صعوبة تحويل البويلرات المتواجدة حالياً إلى الفحم. ولأن الحد الإنتاجي الاقتصادي الأدنى للوحدات البخارية هو حوالي ٣٠ ميغاوات، فإن الأنظمة الصغيرة ستستمر في حاجتها إلى النفط المستورد للوحدات التي تعمل بالديزل، إلا إذا توفرت المصادر الهيدروجينية.

إن تطوير الشبكات القومية والعلاقات البينية الإقليمية سوف يزيان أيضاً من كفاءة استخدام الطاقة الأولية في الدول النامية، فأنظمة الطاقة الكهربائية الكبيرة تسمح بالتوفيرات عندما تكون قادرة بشكل أكثر سهولة أن تستفيد من تغير الأحوال، وفي الوقت، والموسمية، والعوامل الهيدروجينية. وفي التوليد الحراري فإن الوحدات ذوات الحجم الكبير لها تكاليف طاقة إنتاجية منخفضة، وكفاءة عالية، ومتطلبات صيانة رخيصة، وبإمكان الاتصالات البينية أن تحقق التطوير الأمثل للمشاريع الهيدروجينية الكبيرة جداً أو أن تحفز الاستهلاك التكميلي للموارد الهيدروجينية والحرارية.



المخدرات طريقك الى الهلاك

مع تميمات **خالد مختار** مجلة العرب الأدبية

تصدر عن دار المنهل للصحافة والنشر المحدودة

المركز الرئيسي جدة رمز بريدي ٢١٤٦١ ص ب ٢٩٢٥ ت ٦٤٣٢١٢٤ فاكس ٦٤٢٨٨٥٢

الحقيقة والمجاز
قصيدة النثر العربية
قول .. ورأي

العنف الموجه
للطفل داخل
الأسرة

مجلة شعرية ذات أداء متخصص
تعالج عقل المرأة ووجدانها



واحدة نغم

- حقيقة الانصهار
- كلانا
- رحيل قلب
- ناغم على الحياة
- فائنة .. اسمها حماة
- تلميذة أرسطو الشقية



الحقيقة والمجاز

مفهوم المجاز :

إن جميع المهتمين بالبحث في «إعجاز القرآن الكريم» تحدثوا عن الحقيقة والمجاز، وعن الاستعارة بوصفها ضرباً منه، فأما الحقيقة فهي فعلية بمعنى مفعولة ولها حدان: أحدهما في المفردات وهو كل كلمة أريد بها ما وقعت به في وضع واضح وقوعاً لا يسند فيه إلى غيره، والثاني في الجمل: وهو كل جملة وضعتها على أن الحكم المفاد بها على ما هو عليه في العقل وواقع موقعه [١].

أما المجاز فهو في الأصل مفعّل من جاز المكان يجوزه إذا تعداه وقد اشتق من التجوز، وسمي كذلك «لأنهم جازوا به موضعه الأصلي، أو جاز هو مكانه الذي وضع فيه أولاً» [٢].

وقال الدكتور الزحيلي: «هو كل لفظ مستعار لشيء غير ما وضع له لمناسبة بينهما، أو لعلاقة مخصوصة ولا بد لصحة المجاز من وجود قرينة تمنع إرادة المعنى الحقيقي» [٣].

تعرض القدماء إلى المجاز في كتاباتهم، واستعملوه في عبارات أخرى تدل عليه قبل ظهوره كمصطلح، حيث استعمل سيبويه عبارة «التوسع» ضمن صيغ صرفية متنوعة [٤]، قال في الكتاب: «وسمنا من يوثق به من العرب يقول: اجتمعت أهل اليمامة لأنه يقول في كلامه: اجتمعت اليمامة، يعني أهل اليمامة فأنت الفعل في اللفظ إن جعله في اللفظ اليمامة، فترك اللفظ يكون على ما يكون عليه في سعة الكلام» [٥].

وكان أبو عبيدة أول من استعمل مصطلح المجاز عنواناً لكتابه «مجاز القرآن» وقد ارتبط لديه بمفهوم الجواز فاصطبح بصيغة أسلوبية تفيد إعطاء المتكلم فرصة الانتقال في القول من طريقة إلى أخرى لأسباب وملايسات، وله في ذلك مطلق الحرية في تخير الألفاظ والتوسع في اللغة، والداعي إلى تأليف مجازاته كما أجمع المؤرخون أن كاتباً للفضل بن الربيع سألته عن قوله تعالى: {طلعتها كأنه رؤوس الشياطين} [٦]، وقال إنما يقع الوعد والإيعاد بما قد عرف مثله، وهذا لم

د. شمس الضحى مراكشى - المغرب.

أي أنه لم يتعد معناه اللغوي الذي يعني الانتقال والعبور وسلوك الطريق [١٣]، ولعل هذا ما دفع بآبن تيمية الى إنكار أن يكون معنى المجاز في الآية لدى أبي عبيدة قسيما للحقيقة بل هو فقط «ما يعبر به عن الآية» [١٤]، كما أن استعماله للمجاز لم يكن الشاهد الوحيد على اهتمامه بالבלغة بل كانت له وقفات ملحوظة استفيد منها في مجال الدرس البلاغي وهي متعلقة بالتمثيل والتشبيه والكتابة والتقديم والتأخير والزيادة والحذف.

وإذا كان لآبي عبيدة السبق في إطلاق مصطلح المجاز والخروج به الى معنى واضح يفيد التجوز والترخيص في الكلام والانتقال في الدلالة من معنى الى معنى - وعند الفراء يعني تكلم بالمجاز فقد كان الجاحظ فضل السبق في استعمال هذا المصطلح قسيما للحقيقة - وهو معنى أضيق من معنى المجاز عند أبي عبيدة - ومقابل لظاهر الكلام [١٥]، وذلك انطلاقا من تصويره العام حول العرب وطريقتهم في التعبير، لأنهم كانوا أهل مقدرة على اختيار التعبير الدقيق والألفاظ السليمة للمعاني المرادة؛ ذلك أن لديهم كما يقول: «أمثال واشتقاقات وأبنية وموضع كلام يدل عندهم على معانيهم وإرادتهم، ولتلك الألفاظ مواضع أخر، ولها حينئذ دلالات أخر» [١٦] وكلها أمور تمثل المجاز بمفهومه الواسع ثم يضيف قائلا: «فمن لم يعرفها جهل تأويل الكتاب والسنة والشاهد والمثل» [١٧]، وإذا كان الجاحظ كما مر سابقا يعتبر استعمال اللفظ في غير حقيقته توسعا من أهل العربية، فإن هذا التوسع كما ذهب ابن الأثير يذكر للتصرف في اللغة لا لفائدة أخرى، والسبب في ذلك هو طلب التوسع لا غير [١٨].

علاقة الحقيقة بالمجاز:

ثم تطور مفهوم المجاز في حدود القرن الرابع

يعرف، فأرسل الفضل في طلب أبي عبيدة ليستفسره عنه فقال أبو عبيدة: إنما كلّم الله تعالى العرب على قدر كلامهم، أما سمعت قول امرئ القيس:

أيقنّني والمشرقي مضاجعي

ومسنونة زرق كآثياب أغوال

وهم لم يروا الغول قط، ولكنه لما كان أمر الغول يهولهم أوعدوا به، وعزم أبو عبيدة من ذلك اليوم أن يضع كتابا في القرآن الكريم لمثل هذا وأشباهه [١٧]، فالملحظ أن الكتاب وضع من أجل مسألة تتصل بالتشبيه وكون المشبه به معلوما أو مجهولا [١٨]، ولما كان القرأ الكريم قائما على مثل هذه الأساليب التي قد يتعذر على البعض فهمها وإن كانت مما جرى على ألسنة العرب ألف الكتاب ليعرف بالخصائص الأسلوبية للقرآن الكريم ويقارنها بما يجري على لسان العرب من مثيلاتها [١٩].

واقترن ظهور الكتاب بظهور الخلاف في المجاز بسبب النزاعات المذهبية والخلافات الفكرية والسياسية التي تميز بها عصره، فكان محط جدال مثير بين علماء اللغة والتفسير أمثال الأصمعي وابن فارس والفراء [٢٠]، أدى ذلك في النهاية الى رفض ما جاء فيه، ولا يعود هذا الرفض كما رأى عبد العزيز عتيق الى الاستعمال للفظ المجاز في حد ذاته وإنما في دعوة أبي عبيدة الى التأويل [٢١] سواء على المستوى النحوي أو اللغوي أو العقدي حيث فسر أبو عبيدة بعض آيات الصفات بما يخالف تفسير السلف، لهذا كان الأصمعي يرى أن أبا عبيدة فسر القرآن الكريم برأيه [٢٢].

وبالرغم من استعماله الكثير للفظ مجاز في كتابه؛ ووصف ما جاء في بعض الآيات سجازا فإنه لم يكن يقصد به ما انتهى إليه بين يدي المتأخرين، لأن اللفظة - عنده - داخلة في طريق التعبير ومسالكه في القرآن الكريم، وهذا يعني أن استعماله للمجاز ارتبط لديه بجملة من التحولات اللغوية والتركييبية والدلالية،

المباشر لا التعبير اللفظي، وهذا ما دعا الشوكاني الى القول بعدم جواز استعمال اللفظ استعمالا مجازيا عن طريق النقل. قال في كتابه: «اعلم أنه لا يشترط النقل في أحاد المجاز بل العلاقة كافية والمعتبر نوعها ولو كان نقل أحاد المجاز معتبرا لتوقف أهل العربية في التجوز على النقل ولوقعت منهم التخطئة لمن استعمل غير المسموع من المجازات وليس كذلك بالاستقراء، ولذلك لم يدونوا المجازات كالحقائق وأيضا لو كان نقلها لاستغنى عن النظر في العلاقة لكفاية النقل والى عدم اشتراط نقل أحاد المجاز ذهب الجمهور وهو الحق» [٢٧].

إن الانتقال من الحقيقة الى المجاز لا يعني الخروج عن الأصل وإنما هو تغيير يصيب الأصل فيصبح الشكل الظاهر (الفرع) مخالفا له، وذلك أمر الى جانب العديد من الأمور التي تميزت بها اللغة العربية، هذه الأمور التي ساعدت بشكل أو بآخر على إخراج المعنى بطرق مختلفة من التعبير، الشيء الذي أكسب اللغة مقدرة ملحوظة على الخلق والابداع لمرورتها بين يدي المبدع، فالحقيقة وكما رأى الدكتور أنيس مجرد استعمال شائع ومألوف للفظ من الألفاظ والمجاز انحراف عن ذلك المألوف الشائع وهو انحراف يولد لدى القارئ أو السامع حالة من الاستغراب قال الدكتور أنيس «إذا أثار اللفظ غرابة لدى السامع أو طرافة كان استخدامه مجازيا، وإذا لم تحدث هذه الغرابة عند سماع اللفظ المعين كان استخدامه على وجه الحقيقة» [٢٨].

هذا ونحب أن نشير الى أن المجاز قسمان:

- المجاز المفرد :

وهو من أقسام المجاز النسبي الذي ينسب فيه الفعل من قبيل التجوز الى جزء من الآية، من ذلك مثلا فعل «ذاق»؛ فقد استعيرت هذه الكلمة لعدة مواضع واقتضى إيقاعها على ما ليس بمذوق.

- فجاءت من العذاب في قوله تعالى: **كَلِمًا نَضِجَتْ**

جُلُودُهُمْ بِدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ [٢٩].

الهجري - ليقف فيه البلاغيون على طبيعة العلاقة القائمة بين الدلالة الأصلية والوضعية للفظ والدلالة المجازية التي نقل إليها [١٩] فتحديثوا عن الفرق بين الحقيقة والمجاز. قال ابن جني: «الحقيقة: ما أقر في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة، والمجاز ما كان بضد ذلك» [٢٠]. أي أن الحقيقة أصل والمجاز فرع منها «بدليل أن المجاز لا يثبت إلا عند تعذر العمل بالحقيقة» [٢١] وهذا إيمان بأن اللغة تنمو عن طريق المجاز وهي حقيقة مقررة لدى علماء اللغة القدماء والمحدثين على السواء» [٢٢].

ولا يمكن الانتقال من الحقيقة الى المجاز بطريقة اعتباطية بل يتوقف الأمر في ذلك على القرائن الدالة وذلك ما جاء واضحا في تعريف الجرجاني للمجاز حين قال: «كل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها... الى ما لم توضع له من غير أن تستأنف فيها وضعا للملاحظة بين ما تجوز بها إليه، وبين أصلها الذي وضعت له في وضع واضعها فهي مجاز» [٢٣].

من هذا المنطلق تحول المجاز كما يرى نصر أبو زيد الى «عملية قياس منطقية ينتقل فيها الذهن من الواضح الجلي الى الغامض الخفي» [٢٤]، مخالفا بذلك ما دعا إليه ابن مضاء القرطبي من إلغاء القياس، لأن المنهج السليم في نظره هو السماع، يدل على هذا قوله: «والعرب أمة حكيمة فكيف تشبه شيئا بشيء وتحكم عليه بحكمه، وعلّة حكم الأصل غير موجودة في الفرع» [٢٥]، وهذا غير صحيح لأن الكلمة الفرع هي بطبيعتها منقولة عن الأصل ولابد لهذا الانتقال من رابط يدل عليه. وقد حصر البلاغيون هذا الربط في طبيعة العلاقات المتواجدة بين المعنى المنقول (الفرع) والمنقول عنه (الأصل) وهي كما أدرجها محمد غاليم في كتابه [٢٦] «المشابهة والغائية (المسببة وغير المسببة، أي المسببة والكَم، والكلية والبعضية والزمان (اعتبار ما كان أو ما يكون)، والمكان (الحالية والمحلية)؛ كل هذه العلاقات تشكل الربط بين المعاني المنقولة والمنقول إليها»، وهنا قال المعاني ولم يقل الألفاظ لأن طبيعة هذه العلاقات وثيقة الصلة بالتعبير

بالفئة التي كفرت بأنعم الله إحاطة اللباس بلباسه، وتكون فائدة الإضافة حينئذ أنها جعلت الفئة الكافرة تحس طعمها المر كما يحس المتذوق طعم ما ذاقه من مأكول أو مشروب، وفي هذا معنى التهكم حيث جعل طعاهم ولباسهم جوعاً وخوفاً وأوقع عليهما الإذاعة.

- المجاز المركب:

وهو «اللفظ المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلي تشبيه تمثيل بأن يكون وجهه منتزعا من متعدد للمبالغة في التشبيه» [٤٦]، وتعد الاستعارة أحد أنواعه أو كما وصفها ابن رشيق أفضل أنواعه [٤٧]، وهي تفيد الإيجاز لأنها تنقل المعنى من لفظ إلى لفظ لمشاركة بينهما مع طي ذكر المنقول إليه [٤٨]، كما وصفها الجرجاني بكونها أقوى فناً، وأوسع ميداناً في الإبداع والتصوير لأنها «تطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ حتى تخرج من الصنفة الواحدة عدة من الدرر، وتجنّي من الغصن الواحد أنواعاً من الثمر ٠٠ ترى بها الأعمج فصيحاً ٠٠ والمعاني الخفية بأدب جلية ٠٠ وتجد من التشبيهات على الجملة غير معجبة ما لم تكنها، إن شئت أرتك المعاني اللطيفة التي هي خبايا العقل كأنها قد جسمت حتى رأيتها العيون وإن شئت لطفت الأوصاف الجسمانية حتى تعود روحانية لا تتألهالظنون» [٤٩].

هذه الأوصاف المترابطة توحى بأن الاستعارة عبارة عن تصوير يتخطى حدود الواقع ليعبر عن مكون النفس، والداعي إلى ذلك عجز الألفاظ الأصلية عن الإيفاء بالتعبير عن المطلوب أو المراد، وعجزها أيضاً عن نقل الاحساس بصورة سليمة لقصور الألفاظ ومعانيها الحقيقية عن التعبير عما يشاهده الأديب في حياته النفسية الداخلية من مشاعر» [٥٠] لذلك لجأ إلى الاستعارة حتى يجعل بينه وبين المتلقي حركية إبداعية تستثير انفعاله وتضمن للمبدع نقل شعوره على الوجه الصحيح، وهذا ما يجعلها - الاستعارة - فناً ذا وظيفة تعبيرية أسلوبية، لأنها تشتمل على الإيجاز؛ وذلك بطي المشبه وادعاء دخوله

- ومع البأس في قوله تعالى: {كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا} [٢٠].

- ومع الشجرة في قوله تعالى: {فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما} [٣١].

- ومع النعماء في قوله تعالى: {ولئن أنقذناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني} [٢٢].

- ومع السوء في قوله تعالى: {وتذوقوا السوء بما صدقتم عن سبيل الله} [٢٣].

- ومع اللباس في قوله تعالى: {فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف} [٢٤].

- ومع الضعف في قوله تعالى: {إذا لأنفك ضعف الحياة وضعف المات} [٣٥].

- ومع العمل في قوله تعالى: {ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون} [٣٦].

- ومع الموت في قوله تعالى: {كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون} [٣٧].

- ومع الرحمة في قوله تعالى: {ثم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون} [٣٨].

- ومع الخزي في قوله تعالى: {فإذا ذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا} [٣٩].

- ومع الفتنة في قوله تعالى: {ذوقوا فتنكم هذا الذي كنتم به تستعجلون} [٤٠].

- ومع المس في قوله تعالى: {ذوقوا مس سقر} [٤١].

- ومع الويال في قوله تعالى: {فذاقت ويال أمرها وكان عاقبة أمرها خسراً} [٤٢].

فاستعمال الكلمة في هذه الآيات جاء مجازاً لأن الذوق في اللغة هو «وجود الطعوم في الفم، وأصله أن يكون بطرف اللسان فيما قل من مأكول أو مشروب، فإذا كثر فهو أكل أو شرب وليس ذوقاً» [٤٣]، والذوق في سياق هذه الآيات تعدى الذوق المحسوس باللسان إلى ذوق معنوي أي تجاوز المعنى الحقيقي المعروف إلى معنى مجازي مقصود [٤٤]، والآية الكريمة {فإذا ذاقها الله لباس الجوع} [٤٥]، تفيد إحاطة الجوع والخوف

الرماني هو الايصال وهو أبلغ لأن له تأثير كصدع الزجاج[٥٨].

ومما اقترن من آيات القرآن الكريم بالاستعارة المفيدة للإيجاز قوله تبارك وتعالى: {أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين}[٥٩]، إذ تم فيها اقتران الاستعارة بما يلائم المستعار منه، فالربح والتجارة مما يلائم (الاشراء) المستعار، قال السيوطي: «استعير الإشرء للاستبدال والاختيار ثم قرن بما يلائمه من الربح والتجارة»[٦٠]، وإنما عبر هنا بالإشرء «لأن الشراء إنما يكون فيما يحبه مشتريه»[٦١]، فمعنى اشتروا الضلالة بالهدى، استبدلوا الضلال بالهدى واختاروا الكفر بدل الإيمان؛ فهذه الاستعارة تصور شدة حبه للضلال، وبغضهم للهدى، لأن الانسان يشتري ما يرغب فيه ويحبه، ويبيع ما يزه فيه ويرغب عنه ثم جاء قوله تعالى: {فما ربحت تجارتهم} مقويا للمعنى المجازي، لأن الربح والتجارة من ملائمت الشراء ويدل التجوز في الإسناد هنا على المبالغة في الخسران والوبوار[٦٢].

وقد رأى الزمخشري في هذا النوع من الاستعارة أنه وصل بالمجاز ذرته العليا حيث قال: «هذا من الصنعة البديعة التي تبلغ بالمجاز الذروة العليا، وهو أن تساق كلمة مساق المجاز، ثم تقفي بأشكال لها وأخوات، إذ تلاحقن لم تر كلاما أحسن منه ديباجة، وأكثر ماء ورونقا، وهو المجاز المرشح»[٦٣].

الهوامش :

(١) الفوائد المشوق ص ١٣ - ١٤ (بتصرف).

(٢) بديع القرآن ص ١٧٥.

(٣) أصول الفقه الإسلامي: ص/ ٥٣.

فلسفة المجاز بين البلاغة العربية والفكر الحديث: ص ٦ - ٨.

(٤) انظر الكتاب ٢١/١ - ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢٣٥ بصيغة

الاتساع.

٥٣/١ ، ٢١٦ ، ٢١٢ ، ٢٢٠ ، ٢٢٩ بصيغة السعة.

(٥) انظر الكتاب ٥٣/١.

في جنس المشبه به وصيرورته فردا من أفرادها؛ وتلك هي الاستعارة التصريحية، أو بطي المشبه به والدلالة عليه بإثبات لازم من لوازمه للمشبه وذلك في الاستعارة المكنية[٥١].

إن الاستعارة وكما ذهب إدوارد ستانكوفيتش تعمق المعنى عبر محور الاستبدال، وهو اختيار شيء لوضعه في موضع شيء آخر - الذي يؤثر تأثيرا كبيرا في البعد الدلالي للنص فيجعل التماثل لموضوعه غير قاصر على ملاحظة الشيء الذي يتحدث عنه النص ولكنه يشمل - علاوة على ذلك - تلك العناصر التي انتقاهم البدع ليشكل منها المعاني، وهذا يعني أن النظر في مادة الموضوع تقود الى تأمل البعد الدلالي للنص مما يضع السامع أو القاري في مواجهة مع مشكلة جديدة وهي مضمون الدلالة فيما وراء الألفاظ، أو فيما يعرف باللغة داخل اللغة[٥٢]، وذلك ما قصد العسكري في سياق تعريفه لها حين قال هي: «نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة الى غيره لغرض وذلك الغرض إما أن يكون شرح المعنى وفضل الإبانة عنه أو تأكيدده والمبالغة فيه أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ أو تحسين المعرض الذي يبرز فيه»[٥٣]، وزاد عليه الزركشي ببيان الغرض منها ضمن حديثه عن حقيقتها قائلا: «وحقيقتها أن تستعار الكلمة من شيء معروف بها الى شيء لم يعرف بها، وحكمة ذلك إظهار الخفي وإيضاح الظاهر الذي ليس بجلي أو بحصول المبالغة أو للمجموع»[٥٤] وأشهر ما استدلل به البلاغيون في هذا السياق قوله تبارك وتعالى: {فاصدع بما تؤمر}[٥٥]، لعلاقته بالإيجاز المرتبط بالاستعارة، ويتجلى ذلك في صيغة الأمر الواقعة بالآية الكريمة (اصدع) وهو أمر يدعو بتبليغ الدعوة: يأمر به الخالق ويتلقاه الرسول [صلى الله عليه وسلم] ولكنه حين أتى على سبيل الاستعارة أزد المعنى قوة وتأثيرا وبقوة[٥٦]. لذلك استعمل الخالق تبارك وتعالى (اصدع) ولم يستعمل (بَلِّغْ) لأن «الصدع بالأمر لابد له من تأثير كتأثير صدع الزجاج، والتبليغ قد يصعب حتى لا يكون له تأثير فيصير بمنزلة ما لم يقع»[٥٧]، والجامع بين التبليغ والصدع كما ذهب

- (٦) الصفات، ٦٥.
- (٧) ينظر إنباه الرواة بآتياء النحاة: ٢٧٨/٣.
- (٨) المصطلح النقدي والبلاغي في الدراسات القرآنية نشأة وتطور من: ٣٦٨ - الاتجاه العقلي في التفسير من: ١٠١.
- (٩) المصطلح النقدي والبلاغي في الدراسات القرآنية نشأة وتطور من: ٣٦٨.
- (١٠) إنباه الرواة ٢٨٢/٣.
- (١١) علم البيان عبد العزيز عتيق من: ٩.
- (١٢) إنباه الرواة ٢٧٨/٣.
- (١٣) أثر القرآن في تطور النقد العربي من: ٤٢ - ٤٣.
- (١٤) كتاب الإيمان من: ٣٥.
- (١٥) انظر الاتجاه العقلي في التفسير من: ١١٦.
- (١٦) الحيوان ١٥٣/١ - ١٥٤.
- (١٧) الحيوان، ١٥٤.
- (١٨) علم البيان من: ١٠١ بتصرف.
- (١٩) المولد بعد الإسلام من: ١١٨ - ١١٩ (بتصرف).
- (٢٠) الخصائص ٤٤٢/٢.
- (٢١) أصول الفقه الإسلامي ٣٠٣/١.
- (٢٢) علم الدلالة لفريد عوض حيدر من: ٦١ - فلسفة المجاز بين البلاغة العربية والفكر الحديث من: ١٢ - ١٤.
- (٢٣) أسرار البلاغة من: ٢٨٥.
- (٢٤) إشكالية القراءة وآليات التأويل من: ١٤١.
- (٢٥) كتاب الرد على النحاة من: ١٣٤.
- (٢٦) التوايد الدلالي في البلاغة والمعجم محمد غالب من: ٢١.
- (٢٧) انظر إرشاد الفحول للشوكاني من: ٢٤.
- (٢٨) دلالة الألفاظ من: ١٢٨.
- (٢٩) سورة النساء/ ٥٦.
- (٣٠) سورة الأنعام/ ١٤٨.
- (٣١) سورة الأعراف/ ٢٢.
- (٣٢) سورة هود/ ١٠.
- (٣٣) سورة النحل/ ٩٤.
- (٣٤) سورة النحل/ ١١٢.
- (٣٥) سورة الإسراء/ ٧٥.
- (٣٦) سورة العنكبوت/ ٥٥.
- (٣٧) سورة العنكبوت/ ٥٧.
- (٣٨) سورة الروم/ ٢٣.
- (٣٩) سورة الزمر/ ٢٦.
- (٤٠) سورة الذاريات/ ١٤.
- (٤١) سورة القمر/ ٤٨.
- (٤٢) سورة الطلاق/ ٩.
- (٤٣) خصائص التعبير القرآني ٤٠٣/٢.
- (٤٤) انظر القرآن والصورة البيانية عبد القادر حسين، ص ١٣٥.
- (٤٥) سورة النحل/ ١١٢.
- (٤٦) شرح عقود الجمان من: ٩٧ - انظر الايضاح من: ٣١٢.
- (٤٧) العمد ٤٦٠/١.
- (٤٨) المثل السائر ٨٣/٢ (بتصرف).
- (٤٩) أسرار البلاغة: ٣١.
- (٥٠) في النقد الأدبي من: ١٥.
- (٥١) من بلاغة النظم القرآني ص ٣٤٦ (بتصرف).
- (٥٢) علم اللسان ودراسة اللغة الشعرية عن - الأسلوبية ونظرية النص من ٩٨ - ٩٩ (بتصرف).
- (٥٣) الصناعتين من ٢٩٥.
- (٥٤) البرهان ٤٣٣/٣.
- (٥٥) سورة الحجر/ ٩٤.
- (٥٦) الإيجاز في كلام العرب ونص الاعجاز من ٢٥٨ (بتصرف) - انظر أيضا الصناعتين من: ١٨٢، البرهان ٢٦٦/٣.
- (٥٧) ثلاث رسائل من: ٨٧.
- (٥٨) نفسه من: ٨٧ ونهاية الإيجاز من: ٣٦٧.
- (٥٩) سورة البقرة/ ١٦.
- (٦٠) الاقان/ ١٢٨/٣.
- (٦١) الجامع لأحكام القرآن ٢١٠/١.
- (٦٢) من بلاغة النظم القرآني ص ١٤٦.
- (٦٣) الكشف ١٩٢/١ - ١٩٣.

قول .. ورأي

قصيدة النثر العربية

الحقيقي لانطلاقة (قصيدة النثر) ولم يكن ما قدمه من شعر ونظريات متبنيا قصيدة النثر وملتزما بها بشكل واضح بل جمع «مجمع الشعر» حركة متنوعة وغنية لكل التجارب والاختبارات كان فيها السياب وجبرا ابراهيم جبرا وتوفيق صايغ ويوسف الخال ونذير العظمة ودونيس[١]، كان الهدف هو الحمل على الشكل القديم وتقويض أركانه داعيا الى التحرر منه وابداع أشكال جديدة مستمدة من عبقرية اللغة وراثتها الشعري والاستفادة من تجارب الشعراء المعاصرين.

وقد تمكن كل من يوسف الخال وأدونيس من رسم علاقات «مجمع الشعر» وتحديد الإطار النظري له وإغنائه بالمساهمات العالمية كخطوة أولى في نشوء الصراع الثقافي الدائر ولم يكن هذا الانفتاح يعبر عن تجانس رؤية المساهمين وعروبتهم إذ سرعان ما تفجر الصراع وبدأت الأفكار المتضمنة في النفوس تتكشف من خلال الممارسة، وظهر التباين جلياً واستطاعت «قصيدة النثر» بفعل روح التصميم الحداثي أن تقيم في مدينة الشعر - تقنية الصدمة، والتأثير الى جانب الصورة والعناصر الجمالية/ كان ذلك بمثابة مشروع توصيلي وبوابة عبور للثقافة الغربية الى المنطقة العربية انطلاقاً من متطلبات الحياة العصرية وما تتطلبه من تغيير وتحديث بالمعنى التدميري لمواصلة الوعي الثقافي

إذا كان الإحساس بالزمن هو التغيير، وحين يتعثر أو ينحرف عن مساره يحصل الجمود والتخلف، وبهذا المعنى تكون الحداثة نشاطاً بشرياً يجسد حركة التغيير نحو الأرقى أو الأخط.

فإن ما أصابته قصيدة النثر العربية من تغيير كمي في كسب أنصار لها على الساحة العربية كظاهرة أدبية فإنها ما تزال تشكل إشكالية بارزة من إشكاليات الشعر العربي وموضوعاً جديراً بالبحث... فالحوار الحاد الذي دار بالأمس بات اليوم أقل حدة وهيجاناً من ذي قبل لا لأن مادة الصراع في الشعر/ القصيدة، تراجعت: بل لابتعاد الشعر كمادة فنية عن المسارات الصراعية ولتطور تقنياته السمعية والبصرية في الاستحواز على اهتمام الجمهور والاقتراب من حاجاته الحسية والمعرفية من جهة وابتعاده عن كونه صوتاً يقول الهموم بطابعه الفني والاتجاه الى صوت الفرد والتعبير عن قلقه وحسه الداخلي حاملاً رؤيا شعرية تتجه الى الالتباس والغموض وجعل الدلالات التعبيرية للتراكيب اللغوية مفتوحة من جهة أخرى.

القول:

وإن ما نشره (مجمع الشعر) شكل الإطار

والتقدم التكنولوجي المعاصر .

فقد جذبهم بريق الحضارة الغربية وخلق لبهم أنموذجات تنويرية وإصلاحية وجذرية وشبه جذرية في ابداع الآخر - الغرب - ولم تلبث أن بحثت رموز مشابهة ومقاربة في التراث العربي لتسوغ اختيارها وخاصة عندما اتهمت بأنها - هجينية أو عميلة - فجابته سلطة الشكل العربي في القصيدة العربية القديمة (إذ مثل لسلطة التراث الشعري بسلطة الشكل، ولسلطة الشكل بسلطة اللغة المقدسة ولسلطة العروض - وشاعت مفهومات القطيعة والثورة على التراث وتحطيم العقل السلفي ثم اكتشاف بلاغة عربية مختلفة عن بلاغة الأقدمين واقتُرَحَ عناصر لشعرية يختلط فيها الشعر بالنثر وكان النص ينتج شعريته بمعزل عن الإيقاع الذي يتضمنه الوزن[٢] .

ثم جابته سلطة الاتباع بسلطة الإبداع لتنتهي الى زمن العالم المعاصر، ومن هنا كان الحوار والنقاش الحاد بين أنصار ونقاد ما تحويه هذه القصيدة في بعدها الشكلي والبنوي من إيقاع موسيقي معين وصور شعرية خاصة وما أحدثته من تحطيم وإيجاد مدلول معرفي خاص بها كونها لا تقنن ولا تنتظم في أي هيكل نظري وخارجة عن كل قانون كتجربة مفتوحة على أفق واسع وعلى تجارب ذاتية كثيرة التنوع ومنفتلة عن أي إطار ينظمها أو يحددها .

وإن ما نلاحظه اليوم من نماذج شعرية متناقضة دليل تفاوت وجهات النظر لدى الشعراء وفهمهم للتطور والتقدم، وليس هذا هو التغيير الأول من نوعه في تاريخ الشعر العربي، فعندما تختمر الأنماط الحضارية

تختمر معها الأنماط الشعرية . فكان شعر الصعاليك نموذج شعر حدثي في العصر الجاهلي بالخروج على تقاليد القبلية وكل من أبي تمام وبشار بن برد وأبو نواس علائم بارزة في التجديد بالعصر العباسي فالظروف وإيقاع الحياة نفسها تتحول تلقائياً الى آلية فرضت علينا عصرًا بنماذج جديدة من التفكير والتعبير لتحل المفاجئة - الصدمة - الاختصارات الشديدة محل ترابط الأفكار وتدرجها المتباطيء، والتأليف الخلي المتوازن ولتموت القافية القديمة على صخب الحياة وضجيجها .

فعلى الإنسان العربي أن يميت تراث الماضي في صورة الأب لكي يستعيده في الحاضر بصورة الابن . وكما كان للشاعر الجاهلي شكله الشعري للتعبير عن حياته علينا أن نبذع شكلنا الشعري لحياتنا بالخروج على الشعر فنيا واجتماعيا في رفض القديم وإعادة النظر فيها، إذ أصبح عمل الشعر إبداعا داخليا يجد فيه الشاعر تعزيتة وخلصه، ولغة خاصة به غير لغة الجمهور من متقنين وغيرهم، حتى غدت القصيدة وحدة مندمجة وملتحمة وحية يخترق شكلها ومضمونها أحدهما الآخر الى حد استحيل الفصل بينهما ككل غير قابل للانقسام الى شكل ومضمون دون أن تسكن ابداً في أي شكل معين وهي جاهدة دوما في الهرب من كل أنواع الإنحباس في أوزان أو إيقاعات محدودة بحيث يتاح لها أن توحى بالإحساس وجوهر متموج لا يدرك إدراكا كليا أو نهائيا[٣] .

فواقع قصيدة النثر لغة غير منفصلة عما تقوله ومضمون ليس منفصلا عن الكلمات فالشكل والمضمون

** الانفتاح

الابداعي على

أدب الغرب

ذهب

بتجانس

المبدعين

وعروبتهم

وحدة في كل شعر
وحدثتها لا تتوقف على
شكلها الخارجي، فتطور
القصيدة من الشكل جاء
من وحدة البيت الى وحدة
القصيدة في الموضوع
ووحدها العضوية ومن
القصيدة العمودية الى
اختراقات للعمود، أبرزها
الموشح، الى اختراقات
عصر النهضة كالشعر
المهجري ووصولا الى
القصيدة الحرة وقصيدة

النثر كما طال هذا التطور بنيتها الداخلية والعلاقات
التي ينتظم فيها الدال والدلول واللفظ أو الشكل
والمضمون. فالرمز فيها قبل كل شيء معنى خفي
وايحاء، إنه اللغة التي تبدأ حيث تنتهي القصيدة
واضاعة للوجود المعتم واندفاع صوب الجوهر وإدراك
ما وراء النص[٤].

من هنا رفض الحداثيون نقد نصوصهم من
الداخل لكونها عامل فصل بين الداخل والخارج
وفرضوا نظاما رمزيا صارماً على بنيتها لتشكيل كلا لا
يتجزأ واضفاء طابع الضبابية والغموض منعاً للتأويل
والنقد «فالمستتر والمضمّر والمكون مصطلحات حديثة
في القصيدة النثرية» يمكن تفسير الأولين بواسطة
كلمة أو لفظ الدال أو جداول قياسية أما المكون فلا
يمكن استخراجها أو ترجمته الى ذاته وهو السر بمعناه
المقدس.

والرأي:

الحداثة العربية غريبة المنشأ وتفتقر الى

الخصوصية وأسبابها الحضارية وهي مستبضعة في
أدبنا العربي ومستزرعة في غير بيئتها ومناخها
الفكري وقد صدمتنا ظواهرها الإبداعية في قصيدة
النثر خاصة فأنكرناها لعدم تواصلنا معها فكراً ونوقاً
لأن ما انتقل اليها من مفهومها الشكل التمردى على
الواقع بكل جوانبه ٠٠ وكانت الخطوة الأولى لهذا
التيار الوافد، بوصفها حركة فكرية ينبغي أن تبسط
نفوذها على الساحة الأدبية وصرف العرب عن تراثهم
ولفتهم الفصحى، لغة القرآن الكريم، لتصبح بعد عدة
أجيال سفراً مكتوباً بلغة ميتة، وجود بعض الظواهر
الفردية كخصوصية سلوكية، في كل عصر أو بيئة تمثل
بوارد شاذة اتخذها انصار الحداثة كونها رموز
حداثة بوصفها تمردا وثورة وخروجاً على القصيدة
الدينية والاجتماعية من مختلف العصور الأدبية.
فالحرية من صميم مبدأ الحداثة العربية وتشكل
«باحية اللذة - المجون - ثم الخمرة» كبؤرة للتحويلات
إنها الرمز - المتاح - فالمجون - في القصيدة الحداثيّة
(يظهر ويحرر على حد قولهم)[٥]، والإبداع هو
اللامحدود اللانهائي إذ يسقط عندهم الموضوع ٠٠
والغرض من القصيدة يتجه نحو التكثيف والغموض
وتتحول الكلمات الى رموز والعبارات الى دلالات
مستغلقة على الفهم.

أما موقفهم من اللغة فهم يرفضون مهمة اللغة
التوصيلية ويرونها لغة مكسدة محشوة بالسلطة من
قوى الفكر التراثي السلطوي. فقلة الحداثة هي اللغة
النقيض لهذه اللغة الموروثة ومحاولة لإعادتها الى بناها
اللاقاعدية اللامتشكلة يتم ذلك عن طريق تدمير بنية
الجملة الدالة بما هي نسق واضح من القواعد المنفذة
وتحويل الجملة الى سلسلة من الإمكانيات

*** ما أسموه

(قصيدة)

(النثر) مخلوق

هجين

منفلت عن

القيود

والنظم.

الشعر الحدائي صار
بضاعة من لا يملك في
الشعر موهبة وهو خارج
على الميراث اللغوي، مغيب
عن العقل والوعي يجرى
وراء سراب التجديد وما هو
ببالغه فإذا قلنا إن الحدائ
انفض سامرها لم يكن ذلك
تفاؤلاً بل هو إيمان بقدرة
أدبنا على تجاوز هذه
النزوة وتمثله معنى
المعاصرة وتحقيقه البعد
الحضاري لأمتنا العربية.

«فالذوق العربي لا يستمري ثقافة مبتورة عن
جذورها العربية ولا يستسيغ شعراً، نبت في تربة
الغرب وخالطه النفسية وبما تحمل ثقافته من غربة
وتغريب وفوضى وتشويش وتناقض وسفسطة وتهتك
خلقى وتفكك أسري». الغرب الذى لم يترك في أعرافه
وسلوكه وأسس الروحية وقيم الأخلاقية وبالتالي في
ثقافته العامة ما يرضي الله».

الهوامش :

(١) قصيدة النثر العربية - دراسة - أحمد بزون - مؤسسة
دار الفكر، لبنان - بيروت - الطبعة الأولى ١٩٩٦، - ص
٧ - ٣ - ٤٦ - ٤ - ص ٥٠.

(٢) الحدائ كسؤال هوية ، دراسة مصطفى خضر، دمشق
، اتحاد الكتاب العرب ١٩٩٦، ٢ - ص ١١٢ - ١١٥.

(٣) مجلة الموقف الأدبي، العدد (٢٠٥) ايلول ١٩٩٦، - ص
٢٤ ، ٦ - ص ٢٧.

(٤) أطياف الحدائ، محمد جمال بارون - الطبعة الأولى

والتدخلات[٦]، ثم يتعدى ذلك الى تدمير التراكيب
اللغوية وإهمال عناصر الربط في الجملة وإساءة البنية
اللغوية والنحوية وبعبارة الأفكار وتقطيعها بحيث يحتاج
القارئ الى تشكيلها وهو أمر صعب يشبه المطالبة
بتحويل ركام الى بناء ويبقى الإنغاز والفكر المشوش
من صميم قصيدة النثر.

وللإيضاح نورد ٠٠ البعض من مفردات القصائد
(القار الأبيض - أو الخدر ينساب من ثدى السفينة -
الجرح في ركبة الشمس بعرض الرياح - أو زهرة
الكيمياء في الشفاه اليتيمة).

وتبرز الحدائ اليوم ليس بوصفها طاقة تحرير
بل بوصفها طاقة تهميش وإقصاء للأغلبية الاجتماعية
فتنحل تلك الكلمات الى أطياف وشارات ورموز تميز
النخبة عن العامة أو عن الكتلة المليونية وتحمل أحياناً
العامة وجهالاتها وعقمها ومجتمعها الأصلي الراسخة
فيه مسؤولية إضعاف مشروع الحدائ وانتهائه المتعين
على نقائصه بدلا من المراجعة الجذرية والنقدية لهذا
المشروع وتفكيك ألياته الفوقية والبروقراطية المشوهة
التي أدت الى خراب عام شمل المجتمع والفكر والقيم
الى إنتاج دولة لا تعترف بمجتمعها بقدر ما تحرقه
وتمزقه تقصيه وتهمشه[٧].

إن ما يميز قصيدة النثر - الفوضى - اللاوعي
واللاعقل والانحراف في كوابيس الأحلام والتخيلات
والجنس والمخدرات، توحى بالغبرة والتفكك وانحلال
الشخصية الأدبية والبعد عن الواقع وخلوها من
المضامين الإنسانية، ثم الضعف المزرى في صورها
الفنية وخيال شعرائها وتفاهة لغتهم - وغياب الرؤية
المتفردة لكل منهم حيث الغموض كغاية والرموز
والأساطير بدعوى عالمية الثقافة. وغاية الكلام:



١٣٩ هـ



العنف

الموجه للطفل داخل الأسرة

إن مفهوم العنف الجسدي الموجه ضد الطفل يثير بعض نقاط سوء الفهم وخصوصاً أن العديد من الناس ما زالوا يعتقدون أن الأبوين ليس لهما فقط الحق في استخدام العقاب الجسدي ولكنه واجب حيال أطفالهم ليحسنوا تربيتهم. ولقد قام الكونجرس الأمريكي عام ١٩٧٤م بتشكيل لجنة خاصة لتوضيح هذا المفهوم. حيث تم إصدار مرسوم رسمي خاص عن حقوق الطفل وعن طريق مكافحة سوء استخدام السلطة الأبوية فعرفت اللجنة العنف الجسدي على أنه «التسبب بالجروح أو الكسور أو الحروق نتيجة الرفس أو اللطم أو العض».

يميز آدم فروتيتشك ثلاثة أشكال من العنف الموجه ضد الأطفال:

أولها: هو إهمالها وعدم الاهتمام من جهة والديهم. وهو ما يشكل تخطيئاً من الأبوين عن واجباتهم الوالدية المتعارف عليها في الأعراف الاجتماعية السائدة في مجتمع ما.

وثانيها: هو العقوبات وخاصة الجسدية منها ذات الشدة العالية.

وثالثها: هو الاضطهاد والتعذيب من قبل الوالدين لأطفالهما (Frachek, 1992). وهذا التصنيف للعنف ضد الأطفال هو عملي ونافع في تخطيط البحوث حول هذه الظاهرة.

د. آمال يوسف غراب - مصر

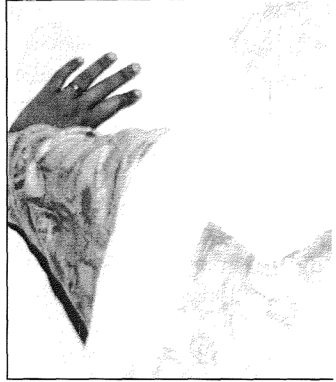
١- العنف عند الطفل (Violence against child).

وغيرها .

ان عدم تحديد تلك المصطلحات بدقة مع ازدياد الاهتمام الجماهيري حالياً بقضية العنف الأسري، يؤدي لمزيد من العنف والقوضى وسوء الفهم سواء بين المناظرين أو العاملين في المجال الميداني ومن جهة أخرى فان معظم الباحثين حالياً في شئون العنف الموجه ضد الطفل ينطلقون أساساً من موقف أخلاقي يقوم على استنكار بل وإدانة كل مظهر من مظاهر الشدة في التربية ولكن من الواجب هنا التنبيه الى خطر ما يقوم على أنه في ضوء التعريفات العريضة للعنف ضد الطفل - سيكون من الصعب أن نميز بوضوح بين ما هو عنف تجاههم والسلوك الجازم للوالدين تجاه أبنائهم؛ إن من الضروري في سياق عملية التنشئة الاجتماعية أن يتم استخدام شيء من الضبط والتحديد لسلوك الطفل . من أجل أن يعتاد احترام القوانين والقيم الاجتماعية . وهو ما يعني ضرورة إلزام الأطفال باحترام القواعد العامة المتعارف عليها في مجتمعاتهم وتكمن المفارقة حين يعتمد بعض الباحثين تعريفاً واسعاً للعنف ضد الطفل ويقتنعون رغم ذلك على موقف أخلاقي (أيدلوجي) رافض لكل أشكال العنف ضد الطفل .

العنف حيال الأطفال: (المعطيات الإحصائية):

تنص وثيقة حقوق الطفل التي تم التصديق عليها في هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٥٩م على ما يلي:
أ - ينبغي تأمين ظروف النمو الصحي والطبيعي



غير أن مثل هذا التعريف يثير كثيراً من الشكوك، فهو لا يأخذ بعين الاعتبار أنواع مختلفة من الأذى الجسدي الذي يتعرض له الطفل، فنجد أن الطفل الذي كسر من الضرب هو الطفل المضطهد تبعاً للتعريف أما الطفل الذي ظهرت بجسده كدمات وألوان زرقاء في أجزاء جسمه لا يعتبر كذلك . لقد تعرض القانون الإنجليزي الذي يحتوي على تحديد مشابه للعنف الجسدي لانتقاد عنيف من قبل عالم التربية (Neil) الذي كتب قائلاً: يمكن للأهل أن يضربوا أطفالهم كما يشاؤون إذ حرصوا على ألا يتركوا على أجسادهم آثار واضحة يمكن للمحكمة أن تراها ومن الواضح أن هناك فوضى شديدة في أدبيات الظاهرة وهي ناتجة بالدرجة الأولى عن استخدام عديد من الألفاظ المقاربة المعني، التي تستخدم بشكل اعتباطي مثل التحديدات التالية:

- سوء معاملة الطفل (Child abuse).

منخفضة وان بعض تلك الإحصاءات تشير الى أن عدد هذه الظواهر يتناقص عاماً بعد عام. وفي رأيه أن ذلك ناجم عن السيطرة السياسية على الإحصاءات وعن أن هذه الإحصاءات غير حقيقية».

وينبغي أن نوضح أن العدد الحقيقي للحالات العربية للأطفال المعرضين للعنف الأسري - ورغم عدم وجود إحصاءات رسمية - لا تبتعد كثيراً عن مثيلاتها من الإعداد في البلدان الأوروبية الأخرى وأن مشكلة اضطهاد الأطفال موجودة بحجم يثير القلق.

الآباء الذين يضطهدون أطفالهم:

هل الشخص الذي يضطهد هو شخص طبيعي؟ هل تظهر له اضطرابات خاصة أو على على الأقل صفات شخصية خاصة؟ إن الاجابات تتعدد وتختلف للإجابة على تلك التساؤلات:

الاضطرابات العصبية النفسية:

تدل بحوث Elhat على وجود اضطرابات عصبية نفسية مختلفة مثل انخفاض القدرة على الضبط الانفعالي، اضطرابات الشخصية ذات الطابع المعادي للمجتمع، صعوبات في تركيز الانتباه، تترابط جميعها مع سلوك اضطهاد الأهالي لأطفالهم. وتضيف (اليوت) أن بعض الاضطرابات المعرفية مثل محدودية الذخيرة اللفظية، وبطء عمليات التفكير تحد من قدرة الآباء على التواصل الفعال مع الطفل. ويلخص هذا الباحث الى أن الصعوبات العصبية النفسية يمكن لها أن تزيد من احتمالات ظهور أنماط السلوك غير الملائم عند الابوين وتقود بالتالى لسوء معاملتهم لأطفالهم.

ويشير باحثون مختلفون لوجود علاقة بين انخفاض مستوى الذكاء عند الآباء وبين سوء معاملتهم للطفل.

للطفل سواء أكان هذا النمو عقلياً أخلاقياً أم اجتماعياً. وإن يتحقق له هذا النمو في جو من الحرية والاحترام لكرامته الشخصية.

ب - ينبغي أن تضمن للطفل حقه في الاستفادة من خبرات التأئين الاجتماعي، وللطفل حق قبل ميلاده كذلك له الحق في أن يشب وأن ينمو في ظروف صحية مناسبة، وله الحق في التغذية المناسبة وفي السكن المناسب وفي الرعاية الطبية المجانية.

ج - للطفل الحق في أن يتلقي تربية تزوده بالحد الأدنى من الثقافة والتعلم، وتمكنه كذلك من تنمية قدراته واستقلالية في التفكير وتسمح له أن يصبح عضواً نافعاً في مجتمعه. ولا بد أن يكون التعليم مجانياً.

د - للطفل في كل الأحوال الأفضلية للحصول على الحماية والمساعدة.

هـ - تجنب حماية الأطفال من كل أشكال الإهمال والاستغلال والانتهاك. ولا يسمح في أي ظرف من الظروف أن يتم تشغيل الطفل أو استخدامه بهدف الربح المادي إذا كان هذا العمل ضاراً بصحته أو تعليمه أو يعرقل نموه.

وعلى العموم يمكن لنا أن نؤكد أن عدد الأطفال المضطهدين هم اكبر من العدد الذي تقدمه الإحصاءات وإن العدد الأكبر من الحالات يظل في الكتمان. إن هناك الكثير من الأبحاث المجراه في البلدان العربية - فإنها علي قلتها - تدل بوضوح على وجود مشكلة سوء معاملة الأطفال والعنوان الجسدي ضدهم كذلك في البيئة العربية، على أن من اللازم الإشارة لعدم وجود إحصاءات أو سجلات موثوقة في هذا المجال حيث إنه لا توجد إحصاءات رسمية عربية بهذه الظاهرة.

ويقول مصطفى التير «إن الإحصاءات العربية الرسمية عن حجم ظواهر الجنوح هي إحصاءات

المشكلات الانفعالية :

يكون لدى هؤلاء الأشخاص عادة مشكلات تتعلق بتناول الكحول أو أنها توجد لديهم بدرجات اقل مما توجد لدى الفئات الأخرى ويكون لديهم مستوى تحصيلي اقل ممن سواهم ويشكل العدوان الجسدي على الأطفال بالنسبة لأفراد هذا النمط محصلة طبيعية لسوء تكيفهم الاجتماعي.

النمط الثاني:

وهو أكثر سوءاً ويكون لهم مستوى تحصيلي مرتفع وعدد اقل من الأطفال بالمقارنة مع أفراد الأنماط ولا تبدو انفجارات العنف لدى هؤلاء ناجمة عن صفات شخصياتهم ولكن تنجم عن العوامل الضاغطة.

النمط الثالث:

يتميز بالاندفاع وهم مسيطرون في البيت ويتمتعون بشخصياتهم قوية وتظهر عليهم ميول قوية للسيطرة على الآخرين في طريقة تعبيرهم عن ذواتهم.

النمط الرابع:

اندفاعيون ويتصفون بالميل للسلبية والخضوع في علاقاتهم بالآخرين ويغلب أن يكون هؤلاء قد تربوا في أسر كان فيها الأبوان يمارسون العدوان الجسدي ضدّهم.

النمط الخامس:

ويتصف أفراد هذا النمط بالعزلة والانغلاق على الذات ويبدون مستوى مرتفعاً من القلق والتوتر وتبدو عليهم علامات التناقض الانفعالي وبمقارنة هؤلاء الأشخاص مع بقية الأنماط نجد أنهم هم الأقل اتزاناً من الناحية النفسية.

يبدو لدى مضطهدي الأطفال - كما يثير عديد من الباحثين ضعف قدرتهم على الضبط الخارجي: إن هؤلاء الآباء بالذات يبحثون عن تبرير لتصرفاتهم في الظروف الخارجية وقد أظهرت دراسات عديدة قام بها (Zeskind) ومساعدوه على أن الأهالي الذين يضطهدون أطفالهم ويتصفون بانخفاض قدرتهم على تحمل صوت بكاء مرتفع. ودلت ملاحظاتهم أن هؤلاء الآباء يظهرهم في مثل هذا الموقف بفرط الاستجابات الفيزيولوجية لصوت بكاء الطفل وقد تكون كل هذه المؤشرات عندهم أعلى بشكل ملحوظ مما عند الأهالي الآخرين.

العمليات المعرفية:

بيّنت فحوص عيادية أن الأهالي العدوانيين يتصفون بأدراك خاص لصفات سلوك الطفل وقد أكدت الدراسات أن الأمهات العدوانيات يدركن سلوك الطفل على أنه سلبي وعدائي وقصري بشكل أكبر مما تفعل الأمهات الأخريات. وعلى أساس هذه الدراسات يمكن لنا أن نستنتج أن الأهالي المضطهدين للطفل يتجاهلون أو لا يرون الصفات الإيجابية فيه وأنهم يتركزون في نظرتهم اليه على صفاته السلبية.

ولقد ميز فرانسيس وفريقه خمس أنماط من الأهالي المضطهدين لأطفالهم وقد تم التوصل لهذا التصنيف بعد دراسة شملت ثمانين من الآباء المضطهدين لأطفالهم. تم تحليل نتائجهم إحصائياً حيث تميز أن الأهالي يضطهدون أطفالهم جسدياً.

النمط الأول:

هم الأهالي العدوانيون الخجولون القلقون ولا



حقيقة الانصهار

وتتجدد ، نبحت في أعماق نفوسنا عن ما يمكن أن يكون الأقوى والأفضل، نبحت في نفوسنا عن البذور الصالحة للإنبات من جديد ثم نحصد الثمار البهيجة بعد ذلك وقد يكون تحدى الحياة ومواجهتنا لازماننا مناخ صالح، سليم .. لكى نستثمر تربة نفوسنا وتجديد طاقتنا للمزيد من الحياة ومواجهة تقلباتها قد يختلف مناخ كل فرد منا بأعاصيره وسكونه ورياحه ومطره وبرقه عن الآخر .. لكن المعاناة واحدة والانصهار هو ذاته! فقط نختلف في قدرتنا على إعادة البناء واستخلاص الثقة من جديد .. هذا الجديد من الوقت من الزمن من العمر .. الذي نطبق عليه رؤيتنا الجديدة للحياة.

السؤال هو :

هل نشق اننا نملك الوقت الكافي للاستفادة من هذه الإيجابيات جميعها؟
هل نملك الحياة .. والعمر .. لتنتقل هذه الأفكار وهذا الطموح الجديد لأفاق رحبة ومواتية؟
ما دمنا نملك يوماً بمساحته واتساعه وبفضل من الله تعالى فنحن أقدر بعونه تعالى على اصلاحه واستثماره وجعله افضل من الأمس .. وإن لم نملك فحسبنا اننا اجتهدنا ولم نتخاذل.

هند هرساني - جدة

قد تكون قوة الانصهار قاسية في تفاعلاتها مؤثرة في المادة التي تتلقى هذا التفاعل والانصهار . قد تكون قوية وصارمة ولكنها تتحمل معها الصدق الذي يتضح جلياً بعد تجربة الانصهار .

الصدق الذي يتجلى في هذه الحقيقة الصافية الخالية من الشوائب والتي تترجم الى مادة نشق في تركيبها الجديد وواقعها الحديث . الانصهار الذي ينفي الخبث ويستصل الغث ليجلو لنا نقاء المعدن وصلابة المنتج وأهليته لمهام جديدة ورفيعة اكثر اهمية من ذي قبل، هذا الانصهار كان في قسوته الحكمة والحنان وفي غضبه العطف والرفق .

تماماً كما تصهرنا الأحداث وتحديات الحياة وأزماتها وكما تزمجر العواصف تهدم .. وتقصف .. ولكنها تترك لنا واقعاً صادقاً يحتاج للترميم والإصلاح والتجديد، وتعلن عن أن الأسس الواهية لم تصمد وأن كثيراً من الحقائق لم تكن في الواقع حقائق! انها مجرد اشياء فارغة المحتوى لم تصمد أمام التحدي .. وانتهت .

قد يكون هذا المعنى صعباً غير سهل موجه ولكنه يتحمل في طياته البحث عن مصادر قوة جديدة حقيقية وتجديد الوضع وتصحيح الأسس التي يقوم عليها البناء ..

هكذا نحن من بين كل ظاهرة عنيفة في حياتنا لابد ان نجد في انفسنا ما هو سليم لا يترحزح وما هو هشيم تذروه الرياح .. فنجدد ..



رحيل قلب

أودعتهُ سجناً في صدري منذ زمن
فلما قاربت الثلاثين أحسستُ بلذع وحشته فأخرجته
ووعدتهُ بأن أمنحهُ حريته للأبد
أخرجتهُ ووشوشت في أذنه بقصة طالما انتظرها
وشوشت في أذنه بقصة حب
فأريته ذاك الذي أحبُّ
أنظر إليه ملياً .. أنظر إليه حتماً ستحبه
لا أخفي .. لا يبدو وسيماً لكنني أحببته
أحببتُ صوته ونبرة حنونة لي غير معهودة
لأجلك يا حبيبي أخرجت سجينني
أنظر إليه يا قلبي أنظر إليه وحدق ستحبه
أخفق وانبض
انبض بحبه في كل عرق وعصب
صرخ قلبي «امنحني له»
«امنحني له ليلة»
بل ستكون له ألف ليلة
أطلقت سجينني وذهب
لم أنم تلك الليلة .. ظلتُ أفكر
ماذا يفعل قلبي الليلة ماذا تراه يفعل؟
حتماً «يغني ويرقص ويترنم»
لأول مرة أرجو الفجر وشقشقة عصافيره
أضيت ليلتي الطويلة بتعليل نفسي بقاء منتظر
ليتني ألتقيه كما التقى قلبي قلبه
انطلقت مجنونة الى حيث تركت قلبي
كم ستكون سعادتي مضاعفة .. برؤية قلبي وحبيبي
مجتمعين ..

رأيت حبيبي لكنه كان متجهماً الوجه يزار
ألقي بقلبي وولّى
وقفت مشدوهة لا أفهم!
تدحرج قلبي الى حيث قدمي فحملته

فإذ به طعنة وطعنة وطعنة
قتلك الغادر!!!

لم أدرك أن تلك النبرة تقطر خبثاً
صدقني لم أعلم
سامحني يا قلبي سامحني
سأعيدك الى سجنك .. لكن لا تمت
أسرعت به وخبائثه في زاوية من زوايا حجرتي
خبائثه في مدفئة
لم يكن بمدفئتي نار
لكنه احترق
بحثت عنه في كومة رماد .. لقد فقدت قلبي
ولما لم اعثر له على أثر
نثرت الرماد في فناء بستانني الصغير
لنستقر هناك يا قلبي في كينونة وردة أو في اقحوان
لنستقر هناك ساكناً للأبد
لم يعد لك بي حاجة فارحل
ارحل وحيداً كما كنتُ
ارحل ..

ظبية الوادي - جدة



ناقص على اليد

كتبي من بيع الصحف وتنظيف السيارات، وكان حلمي الأجل هو أن أخرج من الجامعة فأحصل على وظيفة جيدة ويكون لدي بيت وأسرة وأطفال.. وكنت أتزود بالقوة والأمل والقدرة على التشبث بالحياة من رفقة دربي وحبيبة قلبي تلك التي كنت أتحمل لأجلها ليالي الشتاء الباردة على الأرض الجرداء في غرفة مظلمة وأنا أحلم باليوم الذي يضميني وإياها فيه بيت واحد ويكون لنا أسرة دافئة وكنت كلما استبد بي الضعف تذكرت دموعي المناسبة حزنا على حالي وعلى إصابتي بالسل من شدة البرد وكثرة العمل وسوء الغذاء، فاطمئننا بقولي أن كل بلايانا سنتنتهي بمجرد حصولي على عمل وإنشائي لعش حبا.

وحتى ذلك اليوم كنت أدعو كل ليلة الهي وأرجوه أن يوفقني ويعوضني عما عانيت بأيام سعيدة أعيشها مع مهجة فؤادي فحين وجدت الوظيفة ذات الراتب الحسن بعد سنين من الكدح في الجامعة وفي ذلك اليوم الذي رحت فيه أمسح دموع الفرح عن وجهي وأنا أحمل أول راتب لي إلى بيت محبوبيتي لأخبرها أنه لم يبق إلا استئجار الشقة ليكون عرسنا في الأسبوع القادم.. إذا بي أجد أن الموت يسبقني إليها فينتزعها من بين يدي في نفس اليوم بحادث سيارة أمام عيني كتب لي الشقاء فغشت فيه طول حياتي ولا اطمح إلى سواه.. رأيت بعيني أحلامي تنهش تحت سيارة سوداء.. رأيت بعيني حبي وحياتي وأملتي يتحول من تركيبة باهرة من السحر والإبداع إلى كوم من لحم ممزق ودم مسال.. رأيت الوجه الآخر للحزن.. رأيت يقهقه ضاحكا على مشهد بكائي وعويلي.. رأيت.. وغطى صاحبي وجهه بيده وكأنه يريد أن يتخلص من منظر بشع وهو يبكي بكاء مريرا.. ووجدت دموعي تنساب مع دموعي.. كنت أريد أن أقول له الكثير لكن دموعي كانت أبغ من لساني الذي قال له: «إنك تعلم أنك لم تأت إلى الدنيا رغما عنك وأنت أنت من اخترت المجيء إلى الحياة في هذا الدور وإن لم

كنت أنظر بحزن دفين إلى وجهه الأبيض الشاحب الذي أسدلت عليه خصلات من شعره الأسود الناعم وإلى عينيه الغائرتين اللتين لا تستقران في مكان وإلى شفثيه المختلجتين وهو يقول:

«لماذا لم يسألني أحد قبل أن يأتي بي إلى هنا!!»

لماذا أوجد في حياة لا أعلم لبقائي فيها سببا إلا أن يدا خفية قدرت لي هذا البقاء!! ولماذا يتوجب علي أن أعاني منذ مولدي وحتى وفاتي بل وربما في آخرتي.

لا تقل لي (.....) فإن من يصاب بمصابي لابد أن يفكر بهذه الطريقة..

إنك لم تأخذ دوري في مسلسل الحياة.. لقد كان حظك جيدا فأخذت دور الإنسان الساذج السعيد الذي يعيش في ظل النعمة.. أسألك أين العدل إذا كان السعداء أمثالك يعيشون في نعمة الصحة والمال والحب، والتعساء أمثالي يجرمون من كل شيء، بل وحتى من التشكي من سوء حالهم.. أي عدل هذا الذي يصرم علينا حتى الهروب من معاناتنا ويتوعدنا بسوء العاقبة إن فعلنا في أنفسنا شيئا.. لا تحاول أن تقاطعني بكلام أحفظه من كثرة تكراره واسمع قصتي وقل لي هل أستحق هذا العذاب!!

ولدت في يوم نحس بين أب سكير مقامر وأم مسكينة لا تجد ليومها قوتا فكان مجيئي نكبة لكليهما وما أن رأني أبي حتى تركني وأمي وحيدتين ورحل عن البيت بلا رجعة بعد أن أخذ معه كل غال ونفيس وما لبثت أُمِّي أن رحلت هي الأخرى ولكنها رحلت إلى الدار الآخرة.. وعشت حياتي بين دور الأيتام وبيوت الأقارب أكل يوما وأجوع أياما وأنا أحمد الله في كل يوم رغم عذابي وألمي وأدعو لأمي بالرحمة ولأبي بالهداية ولكي يقين أن الرب الرحيم لن يضيعني أبدا.. وبهذا الاعتقاد أتممت دراستي والتحقت بالجامعة وكنت بالكاد أحصل على قوت يومي وثمان



تذكر اليوم الذي فعلت فيه ذلك..

إنك تعلم أنك نفخة من روحه .. إن الخلق عيال الله فكيف يقسو الأب على بنيه؟ .. هل تعلم يا صديقي لم أتيت الى هنا؟ .. أتيت بدعوة محبة من الله .. كنت

في البداية عندما فراد الله أن يمين عليك وأن يذيقك السعادة .. سعادة الوجود وسعادة الإرادة فاختر أن يخلقك إنسانا لتكون خليفته في الأرض ولم يطالبك إلا بأمر واحد وهو أن تعيش حياة سعيدة توفي فيها مطالب روحك وجسدك .. ولما كان هو خالق الجسد ونافع الروح فقد علم أن هذه السعادة لن توهب لك إلا بعبادته فأنا وأنت بدونه نرات تائهة لابد لنا من الاتصال بمركز الكون ومنبعه والدوران في فلكه حتى نعيش في سلام.

ووضعت يدي على كتفه النحيل المرتعش من البكاء وقلت: «لم يطلب الله منا إلا أن نعيش بسلام مع بعضنا وتوافق وألفة فيما بيننا وأن ندور جميعا متشابكي الأيدي في فلكه هو .. لا لأنه بحاجة لتعبدنا ولكن لأن سعادتنا لن تتم إلا بهذه العبادة».

أما عن نار الجحيم فتلك ليست سوى لمن أنكر الجميل وأكل من نعم الله وعاش تحت سمائه وفوق أرضه وجحد فضله وعصاه عنوة لا لضعف لحظة بل لتكبر وتعتت.

تذكر يا صاحبي أن الإله الذي لم تعرف له حقه هو الذي خلق حبيبك وهو الذي كتب لك أن تلقاها وهو الذي هون عليك همك بأن أوجد في قلبك حبها وهو الذي ألهمها أن تبادلك الحب وتخلص لك في عالم ينذر فيه الإخلاص وهو كذلك الذي سخر لك أقارب أعانوك في بعض شؤونك ووهبك القوة لتكمل دراستك .. وما أنت قد صرت اليوم إنسانا مرموقا لا يعوزك إلا القليل

من الأمل لتبدأ حياة جديدة.

أما عن الأيام السوداء في حياتك التي انتهت بموت حبيبك، فإن الله لربه لك أراد أن يبتليك ويختبر ولاك له.

ألا يختبر المحب حبيبه ليعلم هل حبه كلمة لسان أم خفقة قلب .. فكذلك الله اختبرك ليعلم هل ستصبر على بلائه وتقول يكفيني يارب أن هذه المصيبة من عندك حتى أرضى بها وبحكمك فيها فأني أعلم أنك أكرم من أن تأخذ مني شيئا سبق أن أعطيتني إياه إلا لتبدلني خيرا منه .. فإن قلت هذا وأيقنت به كانت لك جنة الخلد أبد الدهر تعيش فيها مع محبوبتك الحياة الأبدية السرمدية.

أما حديثك عن الانتحار فأنت تعلم خيرا مني أنه وسيلة الجبناء يهربون به مما لا يستطيعون مواجهته، ويركلون بأقدامهم أعظم هبة وهبها الله إياهم وهي هبة الحياة، وكانهم يقولون له أهذه هبتك لنا؟؟ خذها فأنا لا نريدها وينسون تماما أنهم هم الذين تذللوا حتى ينالوها.

وشعرت أنني أكثر من الفلاسفة فأمسكت عن الكلام وأخذت أمسح عنه دموعه الملتهية، التي كانت في نظري دموع الإنسانية جمعا إلا ما رحم ربي.

نور البار - جدة



** مهداة الى مدينتي الجميلة (حماة) ٠٠ مع

الحب كله .

مشططي شعرك بالنجم ٠٠ وأضواء القمر

واغسلي وجهك بالعطر ٠٠ وأنداء الزهر

يا «حماة» الغالية

أنت في قلبي ربيعُ غامرُ الأطياب هلا

أنت أحلى من كروم الحسن ٠٠ أحلى

أنت أغلى من نجوم الكون ٠٠ أغلى

أنت ٠٠ يا «أمّ النواعير» التي تشدو على مرّ

الزمان

والتي تحلمُ بالسَّبق ٠٠ ولا تخشى رهانُ

والتي أبدعها الرحمنُ - في الرِّقة والفتنة - آيات

حسانُ

أه ٠٠ كم أهواك ٠٠ كم أهوى مغانيك مياهاً ٠٠

وشجرُ ٠٠!

و«النواعير» ٠٠ وأنسام النُّهر ٠٠!

أه كم أهواك يا أنت ٠٠٠! أجيبني ٠٠!

أه كم يُسعدي لُقياك ٠٠٠؟

لقيا الزهر ٠٠ والأطفال ٠٠ والشاطيء في

عُرس الغروب

أه ٠٠ كم يحلو لشغري أن يناديك: «صباحُ

الخير» يا غاليتي الحسنة .

يا بنت العلا والمجد ٠٠

يا عُرْس الطُّيُوب ٠٠!

أنت يا أخت اللاّلي ٠٠ والنُّجوم

أنت يا «بابلُ» ٠٠ سحراً ٠٠ وكُروم

يا بنة «العاصي» التي تزهو بماضيها ٠٠

وبالحاضر ٠٠ تزهو بالغد الآتي ٠٠

فلا ليلُ كُتِيب ٠٠ أو هُمُوم

لا ٠٠ ولا رؤيا لإشعاعات «ميدوزا» [١]

ونيران «سدوم» [٢]

يا يراعي ٠٠ لا تسلني عن مغانيها العذاري ٠٠

عن جمالات ٠٠ ببالي سكنتُ

فاستيقظت كلُّ الكُروم

عن نجوم الشعر والفكر ٠٠ وعن دنيا العُلُوم

يا يراعي ٠٠ لا تسلني اليوم عن حُسن

سماوي الرؤى

قد عاش في كل القلوب

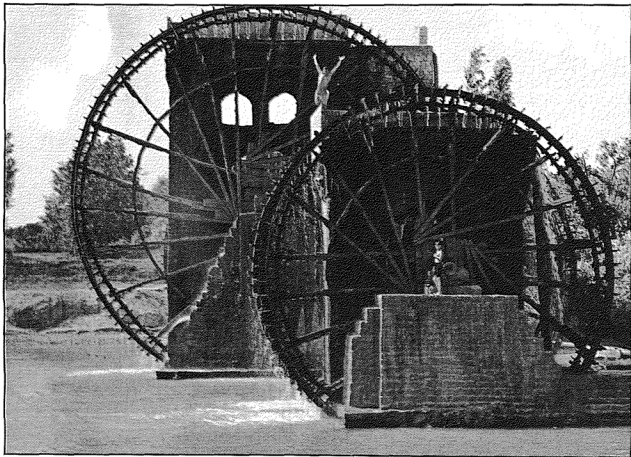
عن رياض ٠٠ عن بساتين ٠٠ إذا مرَّ بها

» ٠٠ «

ماجتُ بالأغاني ٠٠ والطُيُوبُ

لا تسلني يا يراعي ٠٠ لا تسلني

اسمعوا حكايات



تملك عيناً سحرية ترسل أشعة لها القدرة على تحويل
الكائنات الحية إلى تماثيل حجرية.

(٧) سدوم .. مدينة قديمة في فلسطين .. تقع على
شاطئ البحر الميت .. ذكرت بعض الكتب المقدسة
أن (الله) أمطرها مع مدينة (عامورة) ناراَ محرقة ..
قصاصاً على خطايا أهلها .

إنها في شفتي لحنٌ .. رطيبٌ

إنها في خافقي وجدٌ رحيبٌ

إنها أعلى من الحب .. ومن كل حبيب ..!

إنها أعلى من الحب ..

ومن كل حبيب ..!

الهوامش :

(١) (ميدوزا) كما ورد في الاساطير اليونانية .. كانت

تغريد منذر لطفى - سوريا

تلميذتنا

واحدة تضم

أرسطو التنقية

لم تكن تدري، حين دخلت قسم الفلسفة، عن رغبة جامحة وشوق لجوج للمعرفة - أنها ستواجه اعصارا رهيبا في شكل كتاب عنوانه: «ما بعد الطبيعة» لأرسطو. كانت في قراءته الأولى شيء من العذوبة والعذاب... شيء يشبه معاشة النمرة كما قال الشاعر الروائي اليوناني كازانتسكيس عن رفيقته النمرة/ الكتابة.

وقررت... قررت أن تقرأ المجلدات السبعة كلها:

- سأضع جمجمتي في هذا الآتون اللاهب... سأعيش هذا الصخب الفلسفي، ولن تصحبني «ليليات شوبان» هذه المرة!
حين ساد الصمت في الغرفة، جلست واضعة المجلد الأول علي ركبتيها.

- هكذا كانت تتخيل ابن رشد يفعل حين يقرأ كتب أرسطو... وراحت



كلانا تنام في صوته

زنايق المدينة

وتغادر شواطئ غربتها

فيحل الصمت

تلويحة على ثغر الغياب

كلانا غريبان على رصيف الانتظار

تمحونا عواصف الفراغ

ويعبث بحضورنا المكان

... رحيل ...

في الرحيل الأكثر اقتراباً

ثمة من يحفر بمعوله

كلانا

كلانا تحمله أصابع الدهشة

لفضاء تتكسر في أحداقه

ملامح السؤال

الذي ارتدى أكثر من قناع

ليجد نفسه

ملقى على رصيف الغياب

منذ شهر؟ ثم ماذا عن كانط، هيجل، شوبنهاور، و... ؟

قاطعته بابتسامة خجلي، وفي عينيها ألف
اعتذار:

- سامحني أرجوك .. صحيح أن الميتافيزيقيا
أغرقتني في مقولاتها وأنساقها و... ولكن كنت
دائما حاضرا، صدقتي. أما عن الكتب الأخرى فانا
مصرة على فهمها أيضا، هل عندك اعتراض يا
صديقي؟

- كلا أبدا، والدليل أنني جئت ومعني مجموعة من
الكتب هدية لك، أعرف أنها من مباهج الروح عندك،
وهذه باقة ياسمين لتهمس في أذنك كل مساء: ها أنا
أمنحك كثيرا من الحب لتفهمي قليلا من الفلسفة يا
تلميذة أرسطو الشقية.

فاطمة بلفوضيل - الجزائر



تلتهم السطور بشغف وحماس سنينها العشرين.

- إنه فعلا عمل «بلا رحمة» هكذا وصف فلويبر
عملا من الأعمال الأدبية الجليظة في عصره، وهكذا
كانت تقول عند نهاية كل سطر.

أن تعرف من منبع الميتافيزيقيا في سن العشرين
معناه أن تعيش كما عاش «بوذا»

و «كونفشيوس» و... و...

لا متسع للهو والضياع الجميل .. لا وقت للسفر
مع «زوريا» و«أوليس»!

فجأة دق الباب .. فتحت .. وبدهشة قالت:

- أهذا أنت؟! أجل هو، خطيبها الذي كان أيام
الجامعة ينقذها من حيرتها وذ هولها لتسمع الى
«محاضراته» في العولة والنظام العالمي الجديد.

- ها قد جئت لأسأل هذا الفرع من عينيك - يقول
بصوت مثقل بالحزن والحنين - أتسينا صلاية الإرادة
وعلو الهمة من نح؟ أم أن التحليق في سماء
الميتافيزيقيا أنساك هذا الذي يبحث عنك فوق الأرض؟
أما زلت مصرة على فهم هذا الكتاب الذي حدثتني عنه

فناء الانتظار

وخاطرة ترسم خريفاً من الوجع

لنهر ينسل كطيف من الهتاف

وذاكرة توشى بموت مهودر

وأخرون يمشون

حيث لا صمت يرتوي من نرف

ولا صهيل يعتلي

عرش المسافات

نورة خضر خليف - سوريا



شغرات الذهب

أربعة رجال

٥٣٣. (خل مُسمّم) :

لكل إنسان أجل، ومن العجائب أن تحدث من الأهوال ما يعتقد معه حدوث الموت المحتوم، ثم ينجو الإنسان مما يكتنفه من موت محقق، لقد جرت أحداث واقعية تنطق بذلك.

قال الأمير أسامة بن منقذ في كتاب الاعتبار: تقدّم رجل مريض الى الطبيب المعروف في عصره يوحنا بن بطلان وعلائم الموت تلوح بين عينيه، إذ كبرت بطنه وتورمت، واصفر لونه، وتغيرت سحنته، وعُرف أن به داء الاستسقاء فقال له الطبيب قد بلغ بك الداء مبلغاً لا يرجى منه الشفاء، وكل نفس ذائقة الموت.

واعتقد ابن بطلان أن الرجل سيموت اليوم أو الغد، ولكنه شاهده بعد عدة أيام وقد استرد صحته، وأصبح شاباً صحيحاً لا يوجد به أثر من المرض. فقال له: أأنت الذي جئتنى تشكو من الاستسقاء، قال أنا؟ قال الطبيب: فمأذا صنع الله بك حتى غوت صحيحاً. وبماذا تداويت؟ فقال الرجل أنا فقير ولست أملك شيئاً أتداوى به، وليس لي من الدنيا إلا والدّة ضعيفة، كانت تأتيني كل يوم بشراب من الخل أشرب منه، وأكّله بالخبز الجاف، وشعرت أن المرض

يزول شيئاً فشيئاً بعد الشراب، فأسرع الطبيب يقول: هل بقي شيء من الخل لأفحصه، قال نعم، فأسرع الطبيب الى دار الشاب ليرى بقية الخل في القدر، وأفرغه في قدر أخرى فوجد في الأسفل رأسَي ثعبانين ميتين، فعرف أن سم الثعبان هو الذي أكل الورم، ورزق المريض الصحة! ولكن من الذي يقدر على وصف السم مجازفاً؟ فأخذ ابن بطلان يقلب كفه ويقول: ما كان أحد يقدر على شفاك بسمّ ثعبانين إلا الله عز وجل. لو زادت الكمية لقتلت.

٥٣٤. (من فوق الجبل) :

عزم الرحالة الشهير (انتوني ينسن) على أن يصعد الى أعلى قمة في جبال (الآب) وطلب من المرشد المهيأ للمساعدة أن يكون رفيقه في الصعود، وكانت العادة أن يُحضرا حبلاً متيناً طويلاً، يربطان به وسطهما، ويذهب كل صاعد في طريقه والحبل مشدود عليه فإذا - احدهما عثر بهوة نادى صاحبه المشدود معه في حبل واحد، ليسحبه بقوته فينجو، تلك كانت طريقة متبعة في اجتياز قمم الجبال، وصعد الرجلان، وفي لحظة عصفت الريح عصفاً شديداً، وسقطت صخرة ثلجية كبيرة من تحت قدم

د. أبو حسام - المنصورة

الثلج قد كانت معجزة الإنقاذ؛ ولولاها لصار من الهالكين.

٥٣٥ - (آجال):

تحدث القاضي الفاضل الأستاذ حسن جلال بمجلة الثقافة عن أحداث عجيبة تدل على أن الأجل له ميعاد لا يسبق ومن هذه الأحداث، وجميعها غريبة في بابها:

كان القطار الحديدي يمر فوق كوبري (طلخا) ذاهباً إلى المنصورة، وكان به سيد ثري يركب في الدرجة الأولى، ومعه خادمه يركب في الدرجة الثالثة، فحين قربت المدينة أراد الخادم أن يلحق بسيده في مكانه، فاجتاز العربة إليه، ولكن قدمه قد زلت في الفرجة بين العربتين فوقع تحت القطار، ومن تحته البحر، وكلاهما موت محقق، ذلك بالسحق تحت العجلات، وهذا بالغرق في الماء، ومعروف أن القضبان التي يجرى عليها القطار تحملها (فلنكات) من الخشب متباعدة بعض الشيء، وماء النهر يجري من تحتها إلى غايته! وهنا حدثت المعجزة فإن الخادم وقع بين المتسع المنفرج في الفلنكات فسقط في سفينة كانت تعبر الماء، وخرج سليماً إلى المحطة ليلحق سيده، فوجده ثائراً غاضباً لتأخره عن لقائه قبل أن يقف القطار، وصرخ في وجهه كيف أحمل الحقيبة إلى الرصيف، وأنت معي ولا تسرع إلي!

المرشد، فأصبح معلقاً في الفضاء، ونظر فإذا هو سحيقه كانت الثلوج تسترهما، ولن تمضي ساعة حتى يهوى فيها إلى غير رجعة، وسمع انتوني صراخ المرشد، فتقدم نحوه فوجده يصيح: اقطع الحبل، اقطع الحبل، وإلا جررتك معي فنهلك معاً. والأفضل أن يهلك واحد فقط، ولكن الرحالة أكبر موقفه وصمم على إنقاذه قدر ما يستطيع، فبادر إلى أعلى القمة، ونظر إلى صاحبه فوجده أمام خطر محقق لا منجاة منه، وهو يقول: اقطع الحبل لا فائدة قد انتهى الأمر.

وكانت العواصف تشتد، والمرشد في أسوأ حالة من شدة البرد وارتطام قطع الثلوج فوق رأسه حتى ود أن يستريح بالموت، فجعل يصرخ أريد أن أهوى لاستريح، والرحالة حزين لا يدرى ماذا يصنع، ثم أتى الليل بظلام فخاف المرشد أن يستقبله الظلام ببرر أشد، فجعل المرشد يحاول قطع الحبل بأسنانه، ما دام الرحالة مصمماً على معونة ميثوس منها، ثم قطع الحبل، وأدرك الرحالة أن صاحبه قد سقط في الهوة، ولكنه نظر فوجد الجبل قد حرك قطعة ثلجية كبرى، جاءت فسدت الهوة، ووقع المرشد فوقها خائر القوى، فأسرع إليه، وحمله فاقد الوعي، حتى انتهى إلى السطح، وبادر بعلاجه، فافاق المرشد ليرى نفسه نائماً في مستشفى يعالج به من آثار البرد، فلم يدر تعليلاً لما حدث، وجاء الرحالة فأخبره بأن صخرة

أو تزيد، واستحالت الجزيرة كلها الى قطعة من
اللهيب بما فيها ومن فيها .

وقد ذكرت الصحف أن عدد سكان الجزيرة
كان يقدر بثلاثين ألفا، هلكوا جميعا، هؤلاء هم
الأناس، عدا الحيوانات والطيور والحشرات والهوام،
إذ كان الثوران من الرهبة بحيث لم يستطع أحد أن
يقاومه، وقد أحجمت البلاد المجاورة عن تقديم أية
معونة، إذ لم يتصور الناس أنه قد بقي أحد يتنفس .

وبعد أن همدت النيران وهدت حدة الجمرات،
ورجع البركان الى هدوئه، جال العلماء من أنحاء
الأرض يبحثون عن آثاره المدمرة لعلهم يعرفون
جديداً لا يتخلونه، وانطلقت البعثات العلمية في كل
مكان تنقب وتجمع الغرائب، وتدون الملاحظات، ولكن
بعض أفرادها أخذوا ينصتون الى طرق ينبعث من
بعض الحفر المسدودة، فأسرعوا الى مصدر الطرق،
وبعد أن أزالوا فوهة الحفرة - وجدوا سرداباً طويلاً
مشوا فيه، فرأوا إنساناً آدمياً لا يزال على قيد
الحياة، فعنوا به، ونقلوه الى مكان أمين، وعالجوه
بالطعام والشراب حتى استرد صحته بعد أيام،
ويسأله عن أمره، ذكر أنه كان مسجوناً في هذا
السرداب، وقد حكم عليه بالإعدام لجريمة مؤلة
ارتكبها، وقبل التنفيذ بيوم ثار البركان، فذهب أهل
الجزيرة جميعا، غير أنه رأى في السجن بقايا طعام
أعد لزملائه المسجونين مع أنية شراب ممثلة بقدر
كبير من الماء، ففرغ أن مأساته في هذه السرداب
ستطول، ولا بد أن يقتصد ما أمكن في الزاد شراباً

فأخذ يعتذر إليه، ثم أخبره بما كان فذهل، وأدرك
أنها معجزة! تلك التي جعلت السقوط بين الفرجة
المتسعة أولاً، ثم جعلت السقوط على ساحة السفينة
ثانياً! أليس هذا مما يكاد يستحيل، ولكنه تحقق
فعلاً! .

٥٣٦- (ثورة البركان) :

أما الحادث الثاني الذي أشار اليه الأستاذ
حسن جلال فهو ثورة بركان (كرا كانوا) سنة
١٨٨٣م وكراكانوا جزيرة صغيرة إسيوية تقع بين
جزيرتي جاوة وسومطرة، وكانت في ذلك الحين
مستعمرة هولندية، وتبلغ مساحتها خمسة أميال،
وكان على شاطئها الجنوبي جبل شاهق ينطح
السما، والناس يعرفون عنه أنه موضع بركان خامد
كان يثور في السنين الماضية، ولكنه الآن هامد ميت،
يقول الأستاذ جلال:

لم يكن البركان هامداً كما تصور ساكنو
الجزيرة، ففي السادس والعشرين من أغسطس
١٨٨٣م هب البركان مذعوراً من نومه الطويلة كأنما
ألهبته سياط الجن، وشهد العالم من عريضة هذا
المستيقظ المذعور أضخم ثورة بركانية تعيها بطون
التاريخ، فإن الجبل انشق انشقاقاً من مفرق رأسه
الى طرف قدمه، وطار في الفضاء في كل مكان
فأغرقت حممه الملتهبة كل مكان بالجزيرة وبلغت
كثافة هذا الطفح المدمر في بعض الأماكن مائة قدم

الذي هداه الى الارتضاع من لبن الكلبة، ولو لم تكن الهداية شيئاً مجعولا في طبيعته لما مص الإبهام، وحلمة الثدي، فلما أفرط عليه الجوع واشتدت حالته، وطلبت نفسه، وتلك الطبيعة فيه، دعت تلك الطبيعة، وتلك المعرفة الى الطلب والدنو من الكلبة.

فسبحان من دبر هذا، وألهمه وسداه ودل عليه.

أقول: وفي قصة حي بن يقظان للفيلسوف الأندلسي (ابن طفيل) حادثة كهذه الطرفة إذ روى المؤلف قصة رضيع ماتت أمه فعطفت عليه ظبية وجعلت ترضعه حتى استوى واستعان على قوته بنفسه.

٥٣٨ = (من شعر المتنبي):

لا بد للإنسان من ضجعة
لا تقلب المضجع عن جنبه
نحن بنى الدنيا فما بالنا
نعاف ما لا بد من شربه
يموت راعي الضأن في جهله
ميتة جالينوس في طبه
وربما زاد على عمره
وزاد في الأمن على شربه
فلا قضى حاجته طالب
فؤاده يخفق من رعبه
فغاية المفطر في سلمه
كغاية المفطر في حربه

وطعاما فقد يتاح له الخلاص إذ هيأت الأقدار من يزيع هذه السدود، وقد تحقق أمله حين سمع الحركة من حوله، فأخذ يواصل الطرق ليهتدي إليه الباحثون!

وكان حادثاً عجباً تحدثت عنه الصحف، وظل موضع استغرابها شهوراً طويلاً، ولكنه أمر واقع!!

٥٣٧ = (مما روى الجاحظ)

نقل الجاحظ في كتاب الحيوان هذه النادرة:
وزعم علماء البصريين أن طاعوناً جارفاً جاء على أهل دار، فلم يشك أحد من تلك المحلة، أنه لم يبق فيها صغير ولا كبير، وقد كان فيها صبي يرتضع ويحبو، ولا يقوم على رجليه، فعمد من بقي من المطعونين من أهل تلك المحلة، الى باب تلك الدار فسدده، فلما كان بعد ذلك بأشهر، تجول فيها بعض ورثة القوم، ففتح الباب فلما أفضى الى عرصة الدار إذا هو بصبي يلعب مع أجراء كلبته، وقد كانت لأهل الدار، فراعه ذلك، فلم يلبث أن أقبلت كلبة كانت لأهل الدار، فلما رآها الصبي حبا إليها، فأمكنته من ضرعها فجعل يعيش على لبنه، فظنوا أن الصبي ما بقي في الدار وصار منسيا واشتد جوعه، ورأى أجراء الكلبة تستقي منها حبا إليها فعطفت عليه، فلما سقته مرة أدامت ذلك له، وأدام هو الطلب.

يقول الجاحظ:

والذي ألهم هذا المولود مص إبهامه ساعة يولد من بطن أمه، ولم يعرف كيفية الارتضاع، هو

نحن نهر بأزمة

بقلم :

محمد حمد الصويغ
المملكة العربية السعودية

أظن أن عالماً العربي بأسره يمر بأزمة نقدية، وهو أمر لا يمكن تجاهله على الإطلاق، فالإبداعات الأدبية في مجال الرواية والقصة القصيرة لا تقابلها حركة نقدية يمكن أن تغطي بها المساحة الإبداعية في المجالين معاً، فالمقالات النقدية العابرة لا تشفي الغليل، فرغم أنها قد تحقق شيئاً من «التغطية» إلا أننا لا نستطيع الاعتماد عليها اعتماداً كلياً لمواكبة الإبداعات الروائية أو القصصية، لأن تلك التغطية عادة إن جاز أن نسميها «بالتغطية النقدية» ليست في مستوى الدراسات المتخصصة في مجال النقد، وإنما هي في الواقع «اجتهاد» قد نخطيء فيه أو نصيب، ولا أحسب أننا في هذا الميدان سوف نمضي في هذه العملية «المزاجية» إلى ما لا نهاية، ولا أظن من جهة أخرى أن هذه «الاجتهادات» قد تملأ الفراغ الكبير المتنامي على ساحاتنا الإبداعية العربية.

نحن بحاجة إلى متخصصين في هذا المجال الهام، أعني مجال النقد، وغياب هؤلاء عن الساحة جعلنا الآن نعيش في حالة من الفوضى النقدية إن جاز القول، وأصبحت الساحة لخلوها من النقاد الكبار مسرحاً يستعرض فيه «المستعرضون» عضلاتهم علينا، وكأنني بلسان حالهم يقول: «خلا لك الجو... فيبضي واصفري». وكما قلت بأن المقالات النقدية الصحفية الخاطفة لا تغني ولا تسمن من جوع، فهي «تغطية وقتية» لا أكثر ولا أقل، فنحن بحاجة إلى نقد متخصص يغطي مساحة الإبداع في عالماً العربي في مجالين هامين هما مجال الرواية والقصة القصيرة، فالاجتهادات النقدية من خلال صحفنا ومجلاتنا العربية لا تخوض في النصوص الأدبية خوفاً «علمياً» للوقوف على محاسنه ومساوئه، وإنما هي في معظم الحالات والاحوال مجرد «آراء» قد تخطيء حيناً، وتصيب حيناً، وحتى إن جانبتي الصواب في معظم الحالات أو جانبتي الخطأ كذلك فستظل دون مستوى النقد بمعاييره ومقاييسه وقواعده المتعارف عليها، ويبدو من وجهة نظري الخاصة أن هؤلاء المجتهدين يبحثون عن الأضواء والنجومية ولا يبحثون عن نقد رصين لما يتعرضون له من عمل يظنون أن في تناوله «السهولة واليسر» كما هو الحال عندما يتناولون أية قضية أدبية ساخنة أو باردة.

فنحن إذن نعيش في أزمة حقيقية لا بد من الاعتراف بسلبياتها المتعددة، وهي سلبيات انعكست للأسف الشديد على حركتنا الإبداعية العربية في مجالي الرواية والقصة بشكل أثر تأثيراً مباشراً على حركتنا الثقافية والفكرية داخل أقطارنا العربية دون استثناء، ومما زاد الطين بلة أن

مذهلة تؤكد أن النقد هناك بخير، ويتمتع بكامل صحته وسلامته، اما في عالمنا العربي فهاهي المطابع تلفظ بعشرات من الادباعات الروائية والقصصية ولكن لا تقابلها حركة نقدية تتساوى معها، مما يؤكد بالفعل اننا نعاني من أزمة نقدية لا يمكن تجاهلها .

صحيح أن النقد لا يسبق الابداع، وانما يسير معه على خط متوازن، ولكن اعطني نقدا جيدا لكثير من الروايات والقصص العربية المنتشرة الآن بين ظهرائنا، فهل هناك بالفعل حركة نقدية يمكن القول بأنها مساوية مع الحركة «الابداعية» السائدة في عالمنا العربي اليوم؟
لا أظن ذلك .

اختفاء النقد يعد مشكلة من أهم المشاكل التي تواجه ثقافتنا العربية اليوم، ولا أعنى انها مختفية «تماما» وانما اعنى أنها غير متوازنة مع الحركة الابداعية التي نعيشها ونتعيش معها الآن، وإلا فأننا نشهد بين حين وحين مولد ناقد جديد يسبر لنا معطيات أدبنا الجديد .

انا هنا لا ادعى أن النقد يتمتع «باجازة طويلة» في عالمنا العربي، فقد تظهر بين فترة وفترة بعض الاعمال النقدية الجيدة التي قد تسد شيئا من الفراغ الكبير الذي تشعر به في هذا المجال، غير أن المشكلة التي نعاني منها الأمرين هي أن النقد لا يواكب الحركة الابداعية المنتشرة في عالمنا العربي كله، وهذه مسألة لابد من علاجها علاجاً جذرياً وناجعاً، فالواكبة بين النقد والابداع مفقودة، ولا يمكن أن تقوم لحركتنا الابداعية قائمة في ظل غياب النقد، فكيف يمكن معالجة هذه المشكلة؟

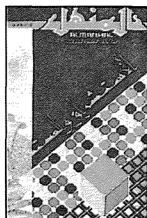
سؤال هام، والأهم منه هو هذا السؤال:

- من يستطيع الاجابة على هذا السؤال؟

بعض «المجتهدين» سامحهم الله من أولئك الذين تأثروا بمدارس النقد الغربية «القديمة» التي أكل الدهر عليها وشرب مازالوا يرددون تلك المصطلحات النقدية التي تجاوزها الغرب نفسه منذ مدة طويلة، فاضحى هؤلاء للأسف الشديد «بنفخون في الهواء» .
إن النقد النزيه هو ذلك الذي تقوم على كلماته أركان العلاقة الوطيدة بين المبدع والمتلقي، فهو همزة وصل ضرورية، واكاد اقول «اساسية» فبدونها تختل الموازين الابداعية، ويغدو المتلقي حائراً أمام هذا السيل الجارف من الاصدارات، فليس بمقدوره أن يضع يده على المحاسن الابداعية في أي عمل أدبي في ظل الأزمة النقدية التي يعيش في عالمها، فالأزمة موجودة، بل متنامية ايضا .

ولست أركن الى صحة ما يقال بأن عالمنا العربي يعاني من «أزمة ابداعية» في مجال الرواية والقصة، فمن «يلاحق» معي ما تلفظ به مطابعنا من روايات واقاصيص لاساطين الروائيين وكتاب القصة العرب يدرك تماماً اننا لا نعاني في حقيقة الأمر من «ازمة ابداعية» ولكننا نعاني من «ازمة نقدية» تكاد تطفح على سطح عالمنا الثقافي بشكل واضح وملحوظ .

من حيث الكم والكيف فاننا لا نعاني من ازمة ابداعية ابداء، ولكننا نعاني من غياب نقد لا يتساوى مع حركتنا الابداعية المشهودة، فمن الاخطاء السائدة التي مازالت تتردد في صحفنا ومجلاتنا ودورياتنا العربية القول بأن غياب النقد الهادف عن الساحة مرهون بغياب الابداع نفسه، وهي مقولة لا يستطيع الجنوح الى تأييدها أو التصاديق بها، فصحيح أن الابداع والنقد مسالتان متلازمتان مترابطتان، وهذا ما يحدث كما نرى في الغرب، فحين خروج رواية هناك يتصدى لها النقاد بسرعة



تاريخ صدوره

- شعبان ورمضان ١٤٠٤هـ
- شعبان ورمضان ١٤٠٥هـ
- ربيع الأول والثاني ١٤٠٦هـ
- شعبان ورمضان ١٤٠٦هـ
- ربيع الأول وربيع الثاني ١٤٠٧هـ
- رمضان وشوال ١٤٠٧هـ
- ربيع الأول وربيع الثاني ١٤٠٨هـ
- رمضان وشوال ١٤٠٨هـ
- ربيع الثاني وجمادى الأولى ١٤٠٩هـ
- رمضان وشوال ١٤٠٩هـ
- ربيع الأول والثاني ١٤١٠هـ
- شوال وذو القعدة ١٤١٠هـ
- ربيع الثاني وجمادى الأولى ١٤١١هـ
- ربيع الأول والثاني ١٤١٢هـ
- شوال وذو القعدة ١٤١٢هـ
- ربيع الأول والثاني ١٤١٣هـ
- شوال وذو القعدة ١٤١٣هـ
- ربيع الأول والثاني ١٤١٤هـ
- جمادى أول وجمادى ثان ١٤١٥هـ
- شوال والقعدة ١٤١٦هـ
- شوال والقعدة ١٤١٧هـ
- شوال والقعدة ١٤١٩هـ
- شوال والقعدة ١٤٢٠هـ
- شوال والقعدة ١٤٢١هـ
- شوال والقعدة ١٤٢٢هـ
- شوال والقعدة ١٤٢٣هـ

اسم العدد

- الفن
- الأمن والأمان
- الهجرة، اللغة، التراث، الحضارة
- الثقافة العربية
- الدعوة والدعاة
- الأثر والآثار
- المبادئ البناء والدعوى الهادمة
- العادات والتقاليد
- مناهل الاضلاع الاسلامي
- الاسترقاق والمستشرقون
- مكة المكرمة .. الحظام والارتحال
- الابداع والجدعون
- الحديث النبوي والقدسي .. رواية ودراية
- القرآن الكريم .. الهدى والاعجاز
- الهجمة الفكرية والتصدي الحضاري
- المدينة المنورة .. دار الهجرة ومآزر الايمان
- اللغة العربية .. آفاق مستقبلية
- القدس .. عروس المذاهب
- العارة والمدينة الاسلامية .. عطاء ومداول
- النقد والنقاد
- الجغرافية والجغرافيون
- المملكة العربية السعودية في مرآة المنهل
- الاسرة والمجتمع
- التراث المعماري في الحضارة الإسلامية
- الاعلام .. الواقع والمستقبل
- البيئة .. توازن ام اختلال

الاصدانات السنوية الخاصة

« متوفرة لمن يرغب في اشتراكها » - الاتصال : ٦٤٣٢١٢٤ العلاقات العامة (جدة)



للجاريدين
فى الشراء
.. والحريصين
على التميز

شقة فاخرة فى ارقى المواقع المطله على النيل الخالد بالقاهرة

- تطل على النيل مباشرة (كورنيش المعادي) .
- تطل على جزيرة الذهب ولها اطلالة على الاهرامات .
- موقع مثير يجمع بين الراحة والمتعة .
- تشاهد مدينتي القاهرة والجيزة حتى مابعد الاهرامات .

موقع يدرّك ولا يترك

- مجهزة تجهيزاً كاملاً : أثاث فاخر ، ديكورات حديثة ،
تكييف هواء كامل ، أجهزة كهربائية .

للمعاينة الاتصال بجوال رقم (٠٠٢٠١٢٢٢١١٨٣٥) عناية المهندس ماهر (القاهرة)

للاستفسار الاتصال هاتف (٦٤٣٢١٢٤) ٠٠٩٦٦٢ جدة

معنا أنت الفائز



للسنة الثانية على التوالي

البنك الأهلي التجاري يفوز بجائزة أفضل خدمات بنكية إلكترونية

تجسيدا لروح التطور.. وبيدافع خدمتك يشم البنك الأهلي التجاري دائما لكي يقدم أفضل الخدمات التي تضمن لك الراحة التامة في كل عملياتك البنكية. وفوز البنك الأهلي التجاري بجائزة أفضل خدمات بنكية إلكترونية للعام الثاني على التوالي تقديراً لإسهامه المتميز بالاقتصاد السعودي الحديث، هو نتيجة طبيعية لجهود البنك الذي يقدم لعملائه أكبر باقة خدمات بنكية إلكترونية شاملة، وأولاً وأخيراً.. راحتك هي فوزنا الحقيقي.



جوال الأهلي المصرية



هاتف الأهلي المصرية



الأهلي أون لاين



صراف الأهلي الأني

اشترك اليوم مجاناً بهذه الخدمات المبتكرة عبر موقعنا www.alahli.com أو لدى أقرب فرع لديك.

خدمات الأهلي الإلكترونية

البنك في راحة يدك